المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية الثقافية

العدد (٥٨٧) المجلد (٦٥) العام [٦٩] جمادى الآخرة ورجب ١٤٢٤ هـ ـ اغسطس وسبتمبر ٢٠٠٣ م

مسابقة المنهل الثقافية

قسيمة المسابقة داخل العدد





الطب المثيل .. البديل المتاح

الخط العربي بين الفن والحرفة

- التراث والمعاصرة .. المعادلة الصعبة
- تناقض المتنبي .. تناقض الامة

التوأمان .. (مجلة المنهل ـ

القدوس الانصاري)

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

ملكها ورأس تحريرها

المغفور له

نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

من العام ١٤٠٣ هـ/ حتى ١٤٢٤ هـ

غلاف العدد





مما قال

كل نفس ذائقة الموت

.. إن الله تعالى في كتابه الحكيم نفى معرفة الإنسان بسر الوقت الذي تنتهي به الدنيا، وتقوم فيه الساعة حين قال عن الساعة (لا تأتيكم إلا بغتة) والله أصدق القائلين، إنه الخالق الذى خلق الدنيا، وعلم وقت بدايتها ووقت نهايتها .. واستأثر بعلم خلق الدنيا وعلم وقت بدايتها، ووقت نهايتها وحجب خلقه عن معرفة ذلك الوقت بنص كتابه الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

«عبدالقدوس الأنصاري»

جمادى الأولى والآخرة ١٤٠٣هـ
مارس وابريل ١٩٨٣م

المركز الرئيسي

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥
رمز بريدي ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣
تليفون: ٦٤٢٧٨٣١ ٦٤٣٩٧٦٥
٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
الرياض: ص.ب ٢٩٠
تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر جنيهان تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

أما بعد

الشخصية الإنسانية

من يصنع المعروف لا يعدم جوازيه..

لا يذهب العرفُ بين الله والناس..

أيادى الخير تبقى منائر فضل، وذرائع المعروف، تبقى موصولة العرى غير منفصمة..

والأمة التى تربت على هذا الدين القيم يبقى الخير مركوزاً في نفسها ووجدانها..

تتلمس أماكن الحاجة، وتسعى اليها، وتصلها في أماكنها، بَعُدَت أم قَرُبَتْ ..

هذه الأيادي الخيِّرة: تؤسس مدرسة هنا، وجامعة هناك، ومستشفى، ومسجداً .. وهم سعداء بذلك كل السعادة، وما ذلك إلا لأنهم قضوا حاجة محتاج أو محتاجين.

هنا في المملكة العربية السعودية، وسع الله على أهلها، وأفاض عليهم من الخير.. وبحس الخير المستبطن في دواخلهم رأوا وعملوا على اسعاد الآخرين من أصحاب الحاجات في كل انحاء العالم..

أسسوا المؤسسات الخيرية، والهيئات والجمعيات بغرض أن يكون هذا العمل منظماً.. تحكمه النظم والقوانين حتى يصل عمل الخير الى أهله.. وبفضل الله تعالى وتوفيقه حققوا الكثير .. وأنجزوا الكثير.. وتبقى كل أعمالهم شواهد معروف أبد الدهر..

وإن كان في أيامنا هذه، قد طاشت بعض العقول عن رشدها وادعت كذباً وبهتانا عن مسارات صرف أموال الخير هذه.

وحسبنا الله .. ونعم الوكيل، من دندنات المرجفين.

وتأتى جائزة الشيخ راشد للشخصية (الإنسانية) للعام ٢٠٠٢م، في الامارات العربية المتحدة لتمثل رداً قوياً مفحماً على كل تلك الاباطيل إذ اختارت صاحب السمو الملكى الامير سلطان بن عبد العزيز (الشخصية الانسانية) ومنحته جائزتها.. وهو أهلها وأحق بها.

والأمير سلطان يمثل أنموذجاً خيراً فاعلا لكل أهل الخير والانسانية والمعروف في هذه المملكة الحبيبة.

المحـــــرر

العنوان البريدي : E-mal: ALManhal@Al-manhal.Com.sa

عنوان موقع الإنترنت : URL: WWW.AL-Manhal.Com.Sa

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب. ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

فهرس العدد

الاشتراكات

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال. قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات: يراجع بشأنها الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ـ جدة تليفون : ٦٣٩٦٠٦٠ ـ فاكس : ٦٣٩٤٠٩٥

العدد ٥٨٧ ـ المجلد: ٦٥ ـ العام: ٦٩



فقرات مستقلة

الاضـــاءة في الكائنات الحيــة

لاحظ الإنسان منذ أقدم الأزمنة ظاهرة الإضاءة الحيوية، ونجد في نصوص بعض الأساطير عند شعوب مختلفة، ما يشير الى وجود كائنات مضيئة كالطيور النارية مثلا، لها صفات عجيبة، وقد أثارت ظاهرة الإضاءة في الكائنات الحية فضول الإنسان في كل مكان، فالضوء ينبعث من الأجسام الساخنة، أو المحترقة، فكيف يصدر من كائنات حية باردة؟.

لقد فسر الإغريق ظاهرة الوهج الحي في البحار، بأنها كظاهرة البرق، وفسرها آخرون بتأثير أشعة الشمس، فالبحر يمتص أشعة الشمس في النهار، ويطلقها ليلا في أماكن معينة وبعد اكتشاف عنصر الفوسفور، وملاحظة ظاهرة الفسفرة (الضوء المنبعث من الفوسفور نتيجة الاكسدة باكسجين الهواء). اعتبر بعضهم أن الضوء الحي شكل من أشكال الفسفرة واعتقد البعض أنها ظاهرة كهربائية، ومنهم العالم الأمريكي بنيامين فرانكلين (مخترع الواقية من الصاعقة)، ولكنه تأكد من عدم صحة اعتقاده عندما أخذ عينة من ماء البحر في قنينة زجاجية ورجها، فشاهد توهج الماء لفترة وجيزة، وكرر التجربة فاستنتج أن الماء يحتوي على حيوانات أولية صغيرة لا ترى بالعين، وهي تصدر الضوء عندما تتعرض للإثارة، وكان رأيه مصيباً كما ثبت فيما بعد.

وبدأت أسرار الظاهرة تتكشف بالبحث وتطور وسائل الدراسة، ونعرف اليوم لماذا تتوهج قطعة اللحم المخزونة في مكان بارد أحياناً، ولماذا تصدر إضاءة خفيفة من أجنحة بعض الطيور الليلية (كالبومة)، بل ولماذا تضيء الجروح وجثث القتلى في ظروف معينة!

إنها البكتيريا المضيئة، تتكاثر على اللحم أو في الجروح أو الجثث، وقد تتعلق باعداد كبيرة بريش الطائر الذي يختبىء في وكر داخل جذع شجرة متعطنة، فتنبعث إضاءة خفيفة ليلا من اللحم أو الجرح أو الجثث، وكانت هذه الظواهر مثار دهشة ومبعث معتقدات وتفسيرات غير علمية.

الأحياء المضيئة :

يعرف حالياً اكثر من الف ومائة نوع من الأحياء المضيئة، تلك التى تصدر الضوء البارد في ظروف معينة ولأغراض مختلفة، والإضاءة الحيوية موزعة في عالم الأحياء بشكل عشوائي كما يبدو، ففي الجنس الواحد، نجد أنواعاً مضيئة وبعضها لا يمتلك القدرة على الإضاءة. ومعظم الأحياء المضيئة حيوانات، وفي

اعداد : محمد فيض الله الحامدي

- سوريا -

عالم النبات بعض أنواع البكتيريا مضيئة، وبعض الفطريات الدعامية التى تشبه فطر عيش الغراب. ومن الحيوانات التى تبعث الضوء نذكر ما يلي على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ بعض قناديل البحر : Jelly Fish

٢ ـ حاملات الزراق : Siphono Phores

٣ ـ الهلاميات المشطية : Comb Jellies

٤ ـ بعض أنواع الهيدرا: Hydra

٥ ـ أقلام البحر : Sea Pen

٦ ـ بعض الديدان البحرية: Marine Worms

٧ ـ بعض الديدان الخرطومية: Memer times

٨ ـ بعض القواقع البحرية: Marine Smails

٩ ـ بعض الحبارات : Squids

١٠ ـ أنواع من الجمبري: Prawns

١١ ـ جراد البحر : Skrinp

١٢ ـ عدد كبير من الأسماك البحرية التى تعيش في أعماق لا تصلها أشعة الشمس وأحياء دقيقة وحيدة الخلية من السوطيات وغيرها .

١٣ ـ بعض الحشرات والديدان الجلدية التى تعيش في البحر.

وبشكل عام توجد الإضاءة في معظم فصائل الأحياء البحرية، وبعض فصائل الأحياء البرية، والبحث في الأساس التطوري للإضاءة الحيوية والأعضاء المضيئة يضعنا في مأزق حرج، لا يقل عن سر ظهور الحياة على الأرض، وقد أشار الى ذلك دارون في كتابه (أصل الأنواع)، تحت فقرة (مشكلات خاصة بنظرية الانتخاب الطبيعي): «إن الأعضاء المضيئة التى توجد في بعض الأنواع من الحشرات التى تتبع من الفصائل ما يتباعد نسبه في التصنيف العضوي، وتظهر في مختلف الأنواع مركزة في أجزاء مختلفة من الجسم، لتزودنا على ما نحن فيه من مستوى الجهل بهذه الحالات، بمشكلة تشابه من اكثر وجوهها تلك المشكلة التى تعترضنا إذا ما تصدينا للبحث في الأعضاء الكهربية في الاسماك».

وقال عن هذه الأخيرة أي (الأسماك الكهربية): «إنها تزودنا بمشكلة جديدة إذ ليس في مستطاعنا أن نكتنه تلك الخطى التحولية التى تدرجت فيها تلك الأعضاء حتى بلغت من الكمال ما بلغت»، إنها مشكلة بمقاييس العلم، لكنها شواهد على إبداع الخالق الحكيم، والذي يثير الاستغراب لدى العلماء أن الإضاءة الحيوية موزعة في عالم الأحياء بشكل غير منتظم ودون قاعدة، يمكن الإستناد عليها كأساس في تفسيرها كما أن مناطق الجسم المضيئة وأعضاء الإضاءة هي الأخرى تشكل لغزاً محيراً.

والعالم نيوتن هارفي ، وهو من كبار العلماء الذين اهتموا بالإضاءة الحيوية، شبه توزع الإضاءة الحيوية في الأحياء، كما تتوزع حبيبات الرمل عندما تقذف في الماء، فتصيب بالصدفة أحياء من أنواع مختلفة وأجزاء مختلفة من الجسم في نفس الحيوان، حيث قال في ختام تقرير له حول ظاهرة الإضاءة في الأحياء «وحيثما تقع حبيبة من الرمل، يظهر نوع من الكائنات المضيئة».

كيف يتولد الضوء في الأحياء ؟

قبل توضيح أسباب انبعاث الضوء من الأحياء من المفيد الإشارة الى أسباب انبعاث الضوء عند تسخين الأجسام أو عند احتراق بعض المواد، كل

المواد تتكون من ذرات والذرة لها نواة موجبة الشحنة، تدور حولها الكترونات سالبة الشحنة في سويات من الطاقة ومدارات معينة، وعند تسخين مادة تمتص الالكترونات السطحية طاقة حرارية فتقفز من سويات أدنى الى سويات أعلى، وتعود بسرعة الى سوياتها الطبيعية مطلقة الطاقة التى امتصتها على شكل حرارة وأشعة ضوئية، والضوء طاقة ويمكن أن يتحول الى حرارة، فهل يتولد الضوء في الأحياء بنفس الطريقة؟ أول من أشار الى الطبيعة الكيميائية للإضاءة الحيوية هو العالم الفيزيولوجي الفرنسي رفائيل دوبوا عام ١٨٨٧م إذ أجرى تجاربه على الرخوي الثاقب فولاس داكتيلوس الذي ينفث سائلا مضيئاً عندما يستثار وذلك عبر ممر خاص في جسمه، فأرجع الإضاءة الى اكسدة مادة كيميائية أسماها اللوسفرين بوجود انزيم خاص أسماه اللوسفيراز، وفيما بعد أجرى عدد من العلماء تجارب كيميائية على المواد المولدة للضوء في اكثر من نوع في البكتيريا المضيئة والذباب الناري والقشريات من جنس سيبريدينا، ففي البكتيريا المضيئة يوجد إتحاد من المركبات العضوية مثل (مونونكليوتيد الفلافين المختزل مضافاً إليه الدهيد).

وهذه المادة خارج العضوية إذا تأكسدت بوجود اللوسفيراز تنبعث منها الإضاءة وفي الذباب الناري تنتج الإضاءة من التفاعل بين اللوسفرين الخاص بالذباب الناري ورمزه الكيميائي الإجمالي C13 H12 N2 S2 O3 مع اللوسفيراز والأوكسجين ومركب حامل للطاقة هو أدينوزين ثلاثي الفوسفات (ATP) بالإضافة الى شوارد المغنزيوم (Mg++) فإذا مزجت هذه المكونات في انبوبة اختبار انبعث منها الضوء.

وفي القشريات من جنس سيبريدينا يحدث *التفاعل خارج الجسم حيث يقذف القشري اللوسفرين* واللوسفيراز ويتم تأكسد اللوسفرين فتصدر إضاءة.

وليس غريباً أن تصدر الإضاءة من بعض المواد الكيميائية في درجة الحرارة العادية فالفوسفور يتأكسد ببطيء ويصدر إضاءة خافتة، والمادة العضوية ليومينول وهي «هيدرازيد أمينوفيثاليك» تشع الضوء في درجة الحرارة العادية، وبعض المواد إذا تعرضت للأشعة فوق البنفسجية تتألق، وبشكل عام يمكن تحديد المواد التى تشترك في التفاعلات الحيوية المنتجة للضوء وهي :

١ ـ مواد عضوية مثل اللوسفرين Lucifrin

٢ ـ انزيم اللوسفيراز Lucifrase

٣ ـ أدينوزين ثلاثي الفوسفات ATP

٤ ـ بعض الشوارد المعدنية مثل Mg++

٥ ـ الأوكسجين المنحل في الماء أو أوكسجين الهواء.

٦ ـ الماء H_2O.

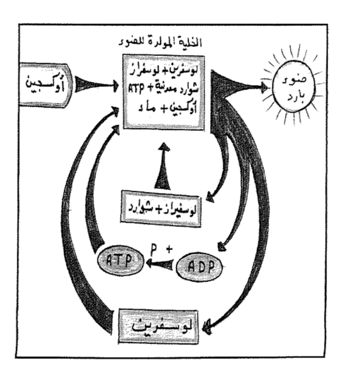
وينشأ الضوء من اكسدة اللوسفرين بوجود اللوسفيراز والشوارد المعدنية في وسط مائي، ويحصل التفاعل على الطاقة من المركب ATP الذي يتخلى عن جذر من الفوسفات ويتحول الى أدينوزين ثنائي الفوسفات ADP ويعود ليرتبط بجذر فوسفات بامتصاص الطاقة في مكان آخر ويخزنها من أجل تقديمها عند الحاجة.

والضوء الحيوي يصدر بأطوال موجية مختلفة حسب نوع اللوسفرين، فيظهر بألوان مختلفة وقد تتولد إشعاعات غير مرئية، ولا يمكن كشفها إلا بأجهزة حساسة.

والاعتقاد السائد حالياً أن كل خلية حية، وكل كائن حي يصدر الضوء ولكن بدرجة غير محسوسة، وقد أجريت تجارب على اللوسفرين فتبيّن أنها مادة نوعية مثل البروتينات فلوسفرين نوع حيواني معين لا *يتفاعل مع لوسفيراز (انزيم) نوع آخر، وإذا حدث* التفاعل لا يترافق بانبعاث الضوء.

والعلماء جادون في عزل اللوسفرين واللوسفيراز لإجراء تجارب مستفيضة عليهما وأمكن بلورة اللوسفرين المستخرج من القشري سيبريدينا وفي المستقبل يمكن الحصول على هذه المواد كيميائياً في المخبر واستعمالها لإنتاج الضوء في ظروف خاصة.

وما تجدر الإشارة إليه أن معظم الكائنات تصدر الإضاءة بلون واحد، قد يكون أخضر أو أصفر أو أحمر برتقالي باستثناء بعض الأحياء ومنها الحشرة التابعة لجنس فريكسوثريكس وتعرف بدودة السكك الحديدية في أمريكا الجنوبية. فأنثى هذه الحشرة تصدر إضاءة بلونين، يصدر من نقطة على الرأس ضوء أحمر ومن نقاط على جانبي الجسم ضوء بلون أخضر ضارب للصفرة، على حلقات بطنها الثمانية، وعندما تسير تشبه قطاراً يتحرك متراجعاً، وهذا يؤكد لنا أن الحشرة تمتلك نوعين من المركبات المولدة للضوء، كما نجد في بعض الأسماك اعضاء تصدر الضوء وبألوان مختلفة في نفس السمكة الواحدة.



مخطط انتاج الضوء البارد (الضوء الحي)

يحدث التفاعل بين اللوسفرين والأوكسجين بوجود اللوسفيراز وشوارد المغنزيوم ++Mg ويقدم ATP الطاقة اللازمة للتفاعل، فينتج الضوء البارد، ولا يتخرب اللوسفيراز فهو انزيم يساعد على التفاعل في درجة الحرارة العادية، وحامل الطاقة ATP يتحول الى ADP، ثم يمتص الطاقة ويرتبط مع جذر فوسفات (P) فيعود الى ATP ليدخل في دورة جديدة. هذا هو الشكل النموذجي لإنتاج الضوء البارد، وهناك عوامل أخرى تساهم بقدر ما في انتاج الضوء فتحدد شدته ولونه.

حاملات الضوء :

تدعى الأعضاء التي يصدر منها الضوء الحي (حاملات الضوء) والإشعاع الصادر منها خارجي أو داخلي، فالإشعاع الخارجي: ينشأ من امتزاج اللوسفرين واللوسفيراز خارج الخلايا إذ هناك خلايا حاملة لمادة اللوسفرين وخلايا أخرى حاملة لانزيم اللوسفيراز، وعندما يثار الحيوان أو تدعو الحاجة للإضاءة، يضغط الحيوان على الخلايا فتتحرر مادة اللوسفرين واللوسفيراز خارج الخلايا ويتم التفاعل بسرعة ونلاحظ هذه الحالة في الحبَّار الذي ينفث السحب المضيئة في الأعماق المظلمة في البحار.

والإشعاع الداخلي : ينشأ من تفاعل اللوسفرين واللوسفيراز داخل الخلايا بآلية دقيقة وبوجود العوامل الأخرى.

ونستطيع أن نحدد أعضاء الإضاءة (حاملات الضوء) في أربعة مجموعات هي:

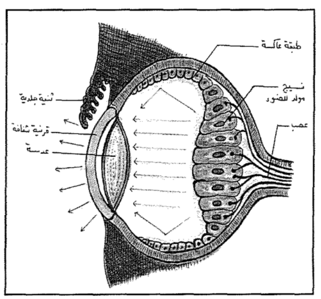
١ ـ مصابيح ضوئية.
٢ ـ أعضاء نافثة للسحب الضوئية.
٣ ـ أعضاء حاضنة للبكتيريا المضيئة.
٤ ـ أعضاء وكتل غدية مضيئة.

أولا: المصابيح الضوئية :

تشاهد هذه الأعضاء في بعض أنواع الأسماك، والجمبري والحبار وغيرها من الأحياء، وهي موزعة على الجسم، وبشكل خاص في الرأس وقرب العين. تصدر هذه المصابيح الضوء بعدة ألوان «كل مصباح بلون واحد» والألوان هي (الأزرق ـ الأخضر ـ الأصفر ـ الأحمر) وبدرجات مختلفة، وقد توجد عدة أنواع من المصابيح في حيوان واحد فيبدو منظره خلاباً.

ولوحظ في بعض الأنواع أن الضوء المنبعث من المصباح أبيض، لكن وجود قرنية شفافة ملونة يجعل الضوء المنبعث من المصباح بلون معين، أي ينتج المصباح ضوءاً بلون أبيض ويتلون بفضل القرنية الشفافة، وهذا التعضي يضعنا أمام تساؤل هام وهو: ما أهمية هذه المصابيح؟ ولماذا هذه الألوان؟ والمصابيح الضوئية مختلفة الأشكال، وأرقاها تركيباً يشبه العين البدائية حيث يتكون المصباح من تجويف كروي مغلف بطبقة داخلية عاكسة للضوء ونسيج مخاطي مولد للضوء، يقابل شبكية العين، ويتصل هذا النسيج بنهايات عصبية وللمصباح فتحة مزودة بعدسة مكثفة للضوء، تغطيها طبقة قرنية شفافة وقد تكون ملونة وفي بعض الأنواع توجد ثنية جلدية، باستطاعتها الإطباق على القرنية لإخفاء الضوء، وفي بعض الأنواع يتحرك المصباح ليدخل في جيب خاص، فيحتجب الضوء.

تتولد الإضاءة عندما تثار الطبقة المخاطية في المصباح بفعل التحريض العصبي، ولذلك تستطيع الأحياء التحكم في الإضاءة حسب الحاجة، وفي الأنواع التى تصدر الإضاءة من مصابيحها باستمرار، تستطيع حجب الضوء بالثنيات الجلدية أو بآلية الحجب داخل الجيب الخاص. (انظر الشكل ـ الرسم التخطيطي).



رسم تخطيطي (مقطع قائم) لنموذج من المصابيح الضوئية في الأسماك.

ثانيا: الأعضاء النافثة للسحب الضوئية :

في بعض الأنواع من الحبار والأخطبوط والأسماك والرخويات توجد أعضاء غدية بإمكانها إطلاق السحب النارية عندما تتعرض للخطر وتكون الإضاءة من النوع الخارجي.

أي أن التفاعل يتم خارج الغدة في مكان داخل الجسم، ثم تنطلق السحب الى الوسط الخارجي والعدو يهاجم في هذه الحالة السحب المضيئة وينشغل بها، فيلوذ صاحب الضوء بالفرار.

ثالثا: الأعضاء الحاضنة للبكتيريا :

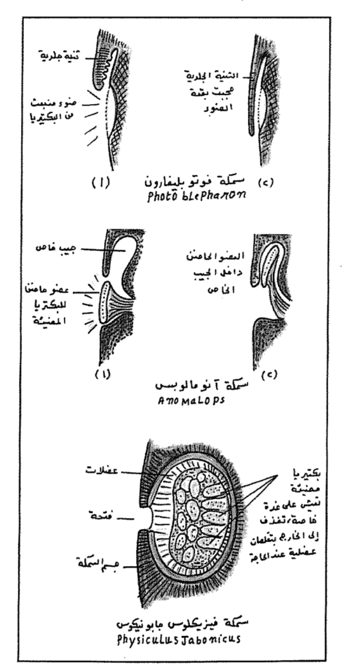
توجد في بعض الأسماك أماكن خاصة، لاحتضان البكتيريا المضيئة، حيث يتم نوع من التعايش بين السمكة والبكتيريا، فتقدم السمكة الغذاء المناسب للبكتيريا وتقدم البكتيريا خدمات ضوئية للسمكة. وتستطيع السمكة أن تتحكم في الإضاءة بالثنيات الجلدية أو آلية الحجب.

ففي سمكة فوتو بليفارون توجد ثنيات جلدية فوق العضو الحاضن للبكتيريا كالجفن، يغطي البقعة

المضيئة عند الحاجة.

وفي سمكة أنومالوبس ، يتحرك العضو الحاضن في جيب خاص فيحتجب النور.

وفي سمكة فيزيكلس ، غدد خازنة للبكتيريا المضيئة تستطيع السمكة أن تنفث البكتيريا في الوقت المناسب بانقباض عضلي يؤثر في الغدة. (انظر الأشكال المرفقة).



الأعضاء الحاضنة للبكتيريا المضيئة.

رابعاً: الأعضاء والكتل الغدية المضيئة :

بالإضافة الى الأعضاء المضيئة السابقة، توجد أعضاء وكتل غدية مضيئة في عدد كبير من الأحياء البحرية، مثل شفاه قناديل البحر، والأذرع المضيئة في بعض نجوم البحر في الأعماق والكتل اللحمية الغدية عند بعض الاسماك وهي تستخدمها كطعم لجلب الأسماك والحيوانات لافتراسها، وفي البر نجد البقع الضوئية في مؤخرة الحشرات أو على جانبي الصدر ونجد البقع الضوئية على يرقات هذه الحشرات وبعض الديدان إذا قطعت تنبعث إضاءة من مكان القطع، وقد تنبعث الإضاءة من جسم ضفدع تناول حشرة مضيئة. وهذه الظاهرة تدعو للتعجب.

أهمية الضوء للكائن الحي :

ما الغرض من وجود الإضاءة الحيوية في الأحياء؟

إذا كانت الإضاءة في بعض الأحياء كالبكتيريا لا تحدد الغرض من وجودها في هذه الأحياء التى لا تمتلك جهازاً عصبياً، ولا ترى بالعين المجردة، فإن الإضاءة في الأحياء الراقية، ووجود مصابيح الإضاءة والأعضاء الأخرى في أماكن خاصة، تحقق أهدافاً معينة للحيوان. ومن المشاهدات والملاحظات المختلفة يمكن تحديد الأغراض من الإضاءة الحيوية في الأحياء على النحو التالي :

١ ـ الإضاءة ناتج نشاط كيميائي حيوي كالحرارة.

٢ ـ الإضاءة رد فعل على المؤثرات الخارجية.

٣ ـ الإضاءة مرشد للهجرة الجماعية.

٤ ـ الإضاءة وسيلة للدفاع والتخفي.

٥ ـ الإضاءة وسيلة للقنص والتغذية.

٦ ـ الإضاءة نداء للجنس من أجل حفظ النوع.

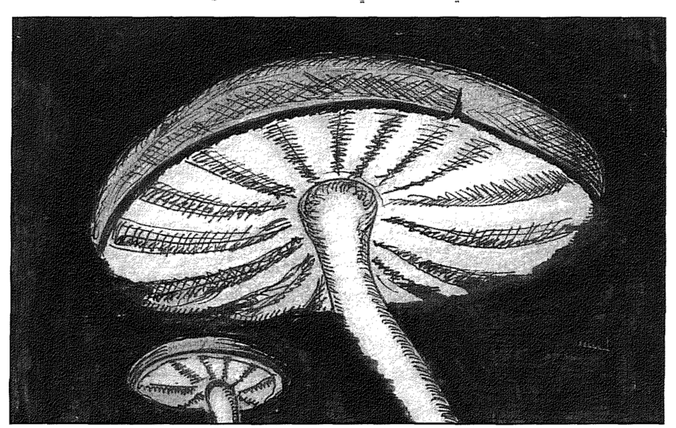
أولا : الإضاءة ناتج نشاط كيميائي حيوي كالحرارة :

أغلب التفاعلات الكيميائية ناشرة للحرارة، والضوء المنبعث من نشاط التفاعلات الكيميائية في بعض الأحياء يعتبر ناتج ثانوي كالحرارة.

فالبكتيريا المضيئة لا يحقق لها الضوء الحي أي غرض كالتغذية أو التكاثر أو الدفاع عن النفس، وهناك فطريات تعيش في أدغال البرازيل تشع الضوء من أسفل قبعتها ويستخدمها السكان الأصليون للإنارة، لتلمس طريقهم، وهذه الإضاءة لا تحقق أي غرض للفطر ، فالضوء ناتج ثانوي، من تفاعلات حيوية في هذه الفطريات.

والسمكة المعروفة ببطة بومباي واسمها العلمي Harpadon تعيش في الأعماق وعند انتزاعها من الماء يظل جسمها يشع الضوء بعد موتها لفترة من الزمن. وتعيش البكتيريا المضيئة في كل الأمكنة، وقد استطاع العالم الأمريكي (زوبل) من جامعة كاليفورنيا بالسفينة (جالاتيا) عام ١٩٥٣م أن يجلب من أعماق (٣٥) الف قدم، أنواعاً من البكتيريا المضيئة تعيش تحت ضغط يقدر بـ (٨٠٠) ضغط جوي وحرارة تعادل (٢ ـ ٣) درجة مئوية،

وقد احتفظ بها بعد إخراجها ووضعها في نفس الشروط. وقد أثارت البكتيريا المضيئة تساؤلات محيرة فهي سبب إضاءة الجروح والجثث والأشجار المتعطنة في بعض الأوقات وقد تحقق الإضاءة للبكتيريا فرص البقاء عندما تتعايش مع كائنات أخرى كما هو فى بعض الأسماك التى تمتلك أعضاء حاضنة للبكتيريا.



فطر مضيء من الفطر البازيدية من جنس (عش الغراب).. تصدر الإضاءة من الأبواغ (الوجه السفلي) للقبعة ومن القدم (حامل القبعة). فماذا تحقق الإضاءة لهذا الفطر؟.

ثانيا: الإضاءة رد فعل على المؤثرات الخارجية:

بعض الأحياء لا تطلق الضوء إلا إذا استثيرت، من ذلك وحيد خلية سوطي يسمى نوكتليوكا، فإذا أخذنا ماء البحر في قنينة ورججنا الماء وكان يحتوي على هذه السوطيات، يصدر وهج باهت من الماء بسبب الضوء المنبعث من آلاف السوطيات المستثارة، وربما كانت تجربة فرانكلين على هذه السوطيات. وقد وصف تشارلز داروين في رحلته التاريخية على ظهر الباخرة (بيجل) ما رآه قائلا : «كانت الباخرة تدفع في مقدمتها موجتين من الفوسفور السائل ويتبعها ذيل بلون الحليب» ولا شك أن ما رآه داروين هو الإضاءة المنبعثة من وحيدات الخلية نوكتليوكا، وتلاحظ في البحر ليلا آثاراً مضيئة إثر اختراق سمكة سطح الماء بسرعة، أو وهجاً فوسفورياً أثناء تحريك المجداف بقوة، وتلاحظ تألقات خفيفة للرذاذ المتطاير أثناء اصطدام أمواج البحر بصخور الشاطىء، وبعض الديدان الجلدية Parchment Worms تعيش في أنفاق بشكل الحرف (U) على الشاطىء قرب حد الماء، فإذا وقع عليها القدم ليلا، تصدر الإضاءة منها كرد فعل على الضغط الواقع عليها.

وأذكر من أيام طفولتي ما شاهدته في إحدى الليالي الماطرة، قرب شجرة توت إذ لاحظت وهجاً ضوئياً عندما تعرضتُ لانزلاق على الوحل، فلفت ذلك نظري وكررت حادثة الإنزلاق مرات عديدة وكنت أشاهد وهجا ضوئياً متقطعاً ولم أعرف السبب، وفي الصباح أسرعت الى المكان فشاهدت مزقاً من الديدان وهي تشبه ديدان الأرض (الخرطون) والمكان بلدة الدرباسية في شمال سورية وهي تبعد عن البحر اكثر من (٦٠٠) كيلومتر.

وثاقب الصخور ذو المصراعين المسمى فولاس ينفث الضوء من انبوب خاص إذا استثير وتعرض للإزعاج.

وبعض الهلاميات المشطية وقناديل البحر تصدر الضوء أثناء اصطدام مجذاف بها أو مؤثر خارجي آخر.

وبعض القشريات الصغيرة يلقي بها الماء على رمال الشاطىء، فإذا وطئها الإنسان ليلا بدأت باطلاق الضوء، فتظهر آثار الأقدام مضيئة، وهذه الظاهرة تركت لدى بعض الشعوب قصصاً خيالية وأساطير غريبة.

والغرض من الإضاءة كرد فعل على المؤثرات الخارجية يمكن اعتباره بشيء من التحفظ وسيلة للدفاع عن النفس، علماً بأن هناك إضاءة حيوية تحقق غرض الدفاع عن النفس بشكل مؤكد في بعض الأحياء.

ثالثاً : الإضاءة مرشد للهجرة الجماعية:

تلعب الإضاءة الحيوية فى بعض الأنواع دوراً مساعداً للهجرة الجماعية، فقد لاحظ «وليم بيب» وهو أحد رواد غزو أعماق المحيط عام ١٩٣٤ على عمق (٥٠٠٠) قدم، لاحظ جماعات من الأسماك تهاجر مع بعضها مسترشدة بالضوء، إذ كانت المسافة ثابتة بين كل سمكة وأخرى وتقدر بـ (٥) أمتار، وقد علل (بيب) ذلك بأن الحد الأقصى لرؤية الضوء من قبل عين السمكة هو خمسة أمتار، فتحافظ على هذه المسافة أثناء الانتقال الجماعي.

وقد لاحظ البحار الإنكليزي جون كولمان ، هجرة نوع من القشريات الصغيرة من الأعماق الى السطح، عند حلول الظلام على دفعات، وهي من جنس كريل فتصعد مجموعة من قشريات الكريل، تتبعها اسماك مصباحية، وعندما تصل الى ارتفاع معين، تصعد

مجموعة ثانية من القشريات المضيئة، تليها أسماك مصباحية وهكذا تتم الهجرة من الأعماق الى السطح، على دفعات وبمسافات محددة، ويعتقد كولمان أن الضوء هو المرشد.

وقبل بزوغ الشمس تعود قشريات الكريل والأسماك المصباحية الى مواقعها في الأعماق حيث الظلام. وتبين أن الضوء المنبعث من الفرد لا قيمة له إلا إذا تجمعت الإضاءة من آلاف القشريات.

وبعض الديدان البحرية تهاجر بشكل جماعي باتجاه السطح بدءاً من أعماق معينة قاصدة المكان الملائم للتلقيح. فالديدان المضيئة التى تعيش في المياه قرب جزر برمودا بين الشعاب المرجانية تصعد إناثها بشكل مائل نحو السطح ليلا وهي محملة بالبيوض وكأنها تصعد جبلا، وتسترشد بالضوء المنبعث منها، أما الذكور فهي تنطلق كالأسهم النارية تحت سطح الماء، وفي بقعة محددة يتم السفاد باصدار ومضات مشتركة وبعد ذلك تضع الإناث بيوضها الملقحة لتهبط ببطىء الى القاع، ويغيب الأبوان فى ظلام الماء الأبدي.

وقرب الجزر اليابانية أنواع من الأخطبوط تطفو مرة في السنة بشكل جماعي وهي تسترشد بالضوء المنبعث من أذرعها وجسمها، وتسير باتجاه واحد ولا شك أن الإنبعاث الضوئي في هذه الأحياء يصدر بنبضات معينة وشدة معينة وبذلك تتعارف الأنواع على بعضها كي لا تقع هذه الأحياء في أخطاء قاتلة، إذا ما ضللتها أحياء مفترسة مضيئة.

إن الهجرة الجماعية توفر حماية أفضل للفرد، إذ يتردد الحيوان المفترس في الهجوم فتكون فرصة النجاة اكبر مما لو كان الحيوان المضيء وحيداً.

رابعاً: الإضاءة وسيلة للدفاع والتخفي:

الحبار الذي يعيش في الأعماق يمتلك أعضاء نافثة للسحب المضيئة فإذا تعرض للخطر من مهاجمة سمكة مفترسة أو صوت، يطلق سحابة مضيئة ويلوذ بالفرار، في الوقت الذى ينشغل الحيوان المهاجم بالسحابة بحثاً عن مصدرها، وبذلك تتأمن فرص البقاء للحبار، وبعض الديدان البحرية إذا قطعت الى قسمين من قبل حيوان مفترس تنبعث إضاءة من مقطع القسم الخلفي، فيصرف الحيوان المفترس نظره عن القسم الأمامي والرأس ويلتهم القسم الخلفي وبذلك تنجو الدودة من هلاك محقق وتكتمل الدودة في وقت لاحق بالإستعاضة.

وبعض الأحياء تصدر الضوء إذا وقعت بين فكي حيوان مفترس، فيلفظها الحيوان في أغلب الأحيان.

خامساً: الإضاءة وسيلة للقنص والتغذية:

تساعد الإضاءة الحيوية بعض الأحياء البحرية على اقتناص الفريسة، وبذلك تلعب دوراً في التغذية، ففي بعض أجناس الميدوسات من معائيات الجوف، يصدر الضوء من الشفاه المتدلية ومن المظلة، فتأتي الأسماك الصغيرة والقشريات، قاصدة الضوء فتصبح وجبة دسمة للميدوسا، ومن الأجناس المعروفة بيلاجيا الذي يصدر ضوءاً أبيض، والجنس سيانيا أرتيكا يصدر ضوءاً بلون أخضر خافت، ويبلغ قطر مظلته ثلاثة أمتار، وله لواحق تصل الى ثلاثين متراً.

وشيطان البحر Melama Cetus يعيش في الأعماق، وله فم واسع وأسنان مقوسة، يحمل رأسه زائدة طويلة كالسنارة، في نهايتها بصلة منتفخة تحتوى على غدد تفرز مواد مضيئة تجلب الأحياء الأخرى، وبمجرد اقتراب الحيوان الضحية من الطعم يصبح في جوف سمكة شيطان البحر. وبعض الأسماك لها أعضاء مضيئة متدلية من سقف الفك

العلوي داخل تجويف الفم، وتفتح السمكة فمها الواسع وتنتظر الفريسة.

ومن وجود المصابيح الضوئية في الرأس وقرب العين نستدل على أهميتها كعامل هام للقنص بهدف الإغتذاء، إذ عندما تقترب الاسماك الصغيرة أو حيوانات أخرى من البقع الضوئية تكون فرص الإقتناص اكبر.

وفي بعض أنواع الأسماك لوحظ أن العضو المضيء مسلط على عين السمكة وقد علل العلماء أهمية هذه الظاهرة بأن شبكية العين تحتاج لوقت معين من أجل التنبه بالضوء، وفي هذه الحالة بوجود الضوء تبقى شبكية العين في حالة تنبه دائم فتبصر كل ما يقترب منها، وتقتنص أو تهرب.



بعض الأسماك المضيئة في أعماق البحار والمحيطات لاحظ الأعضاء المضيئة والمصابيح والعيون الواسعة.

سادساً : الإضاءة نداء للجنس وحفظ للنوع:

تساهم الإضاءة الحيوية في بعض أنواع الحشرات كعامل مساعد لالتقاء الذكور بالإناث حيث تبث الذكور أو الإناث نبضات ضوئية معينة، وهي طريقة طريفة في المغازلة:

- فحشرة سراج الليل: تصدر اناثها من حلقات البطن الثلاثة الأخيرة وهجاً مميزاً، وهي بطول لا يتجاوز (٣) سم والذكر أقصر، تقف الأنثى على غصن وتبث الضوء فتأتي الذكور من نوعها، والذكور لا تصدر الضوء.

- والذباب المضيء المعروف باسم لامبريس، يقف على الأشجار ويصدر الإضاءة من طرفه الخلفي بنبضات معينة، والأنثى هي التى تصدر الضوء فتأتي الذكور من نوعها، وإذا غيرت الانثى ايقاعات الإضاءة ربما تأتي ذكور من أنواع أخرى فتلتهما الإناث إذا كانت مفترسة.

- وفي بورما والشرق الأقصى تعيش بعض الحشرات المضيئة وتلجأ ذكورها الى وسيلة جماعية لحماية نفسها، إذ تقف على الأشجار بشكل جماعي، وتصدر النبضات الضوئية المحددة فتأتي الإناث لمغازلة الذكور والسفاد.

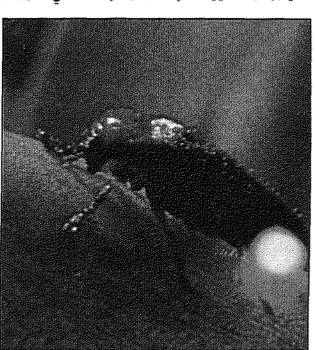
- وفي الولايات المتحدة الأمريكية تعيش خنافس النار وهي صغيرة الحجم بنية اللون وعلى جانبي الصدر توجد بقعتان بيضويتان بلون أصفر باهت، وأخريان على السطح السفلي للبطن، والإناث تصدر الضوء الأخضر بينما تصدر الذكور اللون الأبيض وتصدر الإضاءة حسب الرغبة ولها دور كبير في المغازلة.

- وفي السمكة ستومياس يلاحظ وجود صفين من الأعضاء المضيئة المرصعة كالجواهر ويبدو أنها للتعرف على نوعها أو ليتعارف الذكور والإناث في الأعماق بفضل تلك الأعضاء المضيئة.

إن ما ورد من أغراض الإضاءة الحيوية لا يمكن حصره في هدف محدد، فيمكن أن تحقق الإضاءة للحيوان اكثر من هدف.

لكن الغرض الواضح والمباشر هو الذي يحدد الهدف الأساسي من الإضاءة عند هذا الحيوان أو ذاك. ولابد من التنويه أن ما نراه من بريق في عيون الأغنام أو القطط أو الكلاب ليلا أثناء تعرضها لضوء السيارة هو بريق ناشيء من انعكاس الضوء على شبكية العين، بفعل أصبغة معينة ولا علاقة له بالضوء الحي.

ولم تلاحظ الإضاءة الحيوية في الزواحف أو الطيور أو الثدييات وإذا ظهرت إضاءة في حيوان



حشرة ترسل نبضات ضوئية بانتظار الزوج من أجل السفاد

ينتمي إلى هذه الصنوف الثلاثة، فتكون بسبب جراثيم مضيئة عالقة بجسم الحيوان أو أبواغ مضيئة لفطر مضيء عالقة بجسم الحيوان ولله في خلقه شؤون.

حاسة البصر في أسماك الأعماق :

إذا كانت الإضاءة الحيوية وسيلة من وسائل الاتصال، فلا شك أن حاسة البصر عند الأنواع المضيئة متطورة بشكل معين ولها أعضاء حساسة لالتقاط الضوء من مسافات بعيدة نسبياً، وقد درس العلماء عيون الأسماك التى تعيش في الأعماق المظلمة ووجدوا أنها تختلف عن مثيلاتها التى تعيش على السطح، وفيما يلي صفات العيون في معظم أسماك الأعماق:

١ - العيون كبيرة الحجم، فقطر عين سمكة الحساس السوداء يزيد على نصف طول الرأس.

٢ - وجود عدسات كروية ضخمة، ومقل بشكل اسطواني تشبه التلسكوب والعدسة الكروية تجمع الضوء.

٣ - لا توجد قزحية لذلك تستقبل العين اكبر كمية من الأشعة من فتحتها.

٤ - العدسة شفافة اكثر من عدسة العين البشرية لعدم وجود أشعة فوق بنفسجية، والمعروف أن عدسة العين البشرية تمتص الأشعة البنفسجية التى ترد إليها بكميات قليلة بسبب عدم شفوفيتها تماماً.

٥ - الصبغ في شبكية عين اسماك الأعماق لونه ذهبي مائل الى الوردي الفاتح يمتص فوراً الطاقة الضوئية في منطقة اللون الأزرق المائل للخضرة وهو الطيف الذي تصدره أحياء الأعماق.

٦ ـ وجود طبقة مصقولة كالمرآة خلف الخلايا الحساسة بالضوء، تزيد من إمكانية الرؤية في الضوء الخافت.

تلك بشكل عام صفات العيون في أسماك الأعماق. في مقابل ذلك توجد أسماك لها عيون صغيرة جداً وتكاد تكون عمياء، وتعتمد على طرق أخرى في الاتصال وهي في هذه الحالة لا تعتمد على الضوء في الاتصال.

التوزع البيئي للأحياء المضيئة:

توجد الأحياء المضيئة في كل مكان، ولكن بشكل نادر في البر والمياه العذبة، ففي البر يمكن مشاهدة بكتيريا مضيئة بشكل بقع على جذوع الأشجار أو اللحوم، كما توجد فطر مضيئة، وفي المياه العذبة يعيش البطلينوس لاتيا وبعض يرقات معينة من ذباب النار، وفي البرتعيش أصناف من الديدان المضيئة وذوات المائة قدم والألف قدم والقواقع الأرضية والذباب بعوض الفطر Fungus gamatsوذوات الذنب القافز Springtails، وفي البحار والمحيطات تشاهد الإضاءة في معظم أصناف الأحياء من اسماك ورخويات وقشريات وهلاميات وبشكل خاص التى تعيش في الأعماق المظلمة.

الإضاءة الحيوية في خدمة الإنسان:

إن الضوء الحيوي بارد، فهو لا يشع من الحرارة اكثر من (١٪) في حين أن مصابيح الإنارة العادية تسخن إلى درجة لا تتحملها حاسة اللمس، فإذا تمكن الإنسان من إنتاج الضوء الحي وعلى نطاق واسع يمكن أن تكون له تطبيقات مفيدة.

وقد استخدم الجيش الياباني في الحرب العالمية الثانية، السرطانات البحرية المضيئة كفوانيس لقراءة الخرائط ليلا، أو كتابة التقارير، فكان كل ضابط يحمل مجموعة سرطانات في علبة زجاجية، والضوء المنبعث منها لا يكشف من قبل العدو.

وفي عام ١٩٣٥ أنيرت قاعة الاجتماعات في معهد الأوقيانوغرافيا بباريس عند انعقاد المؤتمر العالمي للعلماء المختصين بعلوم البحار، وذلك بمصابيح بكتيرية مضيئة إذ تم تجميع عدد كبير منها في أوعية زجاجية.

وفي الوقت الحاضر يغزو الإنسان أعماق البحار والمحيطات ويحتاج للضوء في هذه الأعماق، ولا شك أن الضوء الحي أسهل استعمالا وأقل خطورة وأوفر اقتصادياً.

وبدأت تجارب العلماء على مستوى الوراثة الجزيئية، فقد تم زرع مورثة مسؤولة عن انتاج مادة مضيئة في نبات أخضر من ثنائيات الفلقة فكان يصدر من النبات وهج واضح، ولوحظ أن الضفادع التى تلتهم الحشرات المضيئة يتوهج جسمها وبشكل خاص البطن بعد اتمام عملية الهضم.

فهل سيتمكن الإنسان من التحكم في الإضاءة الحيوية مستقبلا؟.

التجارب مستمرة والمستقبل يحمل لنا المفاجآت السارة وستبقى الإضاءة الحيوية إحدى الأسرار العظيمة التى أودعها الخالق في بعض الأحياء.

التفاؤل والتشاؤم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان وسلم تسليما.. أما بعد..

من العقائد الجاهلية، والعوائد الفاسدة البدعية، والظنون الكاذبة، اعتقاد الشؤم بزمان كيوم أو شهر او سنة، أو اعتقاد الشؤم والتطير ببعض الناس كالأعمى والأبرص والأعور أو بعض المخلوقات كالغراب والبوم من الطيور، أو العقرب والفار من الزواحف، أو الهواء والبرد والحر ونحو ذلك.

ومن الناس من يتعلق قلبه بالتشاؤم من يوم الجمعة، لأنه يتلوه يوم السبت وفيه العمل والدراسة، أو يتشاءم من يوم السبت كونه أول أيام الوظائف في الأسبوع.

وهذا كله مخالف للعقيدة الإسلامية، باعتقاد التطير والتشاءم من الأزمان أو بعضها أو من المخلوقات.

ولقد كان من عوائد الجاهلية الأولى التطير واعتقاد الشؤم والنحوس بشهر صفر بعد شهر الله الحرام محرم، وكان لهم في شهر صفر فعلان محذوران، يقدحان في إيمانهم بالله وبقضائه وقدره، والتوكل عليه:

أولهما: أنهم كانوا يؤخرون وينسئون شهر الله المحرم الى شهر صفر ليحلوا شهر الله المحرم ويذهبوا عنه حرمته على الشهور، فيقعوا في ظلم أنفسهم، وظلم غيرهم، وظلم ربهم، وهو ما عابه الله عليهم بقوله تعالى من سورة التوبة {إنما النسيء زيادة في الكفر، يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاماً، ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله، زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين}.

ثانيهما: من فعل الجاهلية، أنهم كانوا يتشاءمون من شهر صفر وأنه شهر مشؤوم، فكانوا يمنعون السفر فيه، أو الحرب فيه، وأن من سافر فيه لقي حتفه أو ما يضره. وقد أبطل النبي

بقلم : على بن عبدالعزيز الشبل

مدرس بقسم العقيدة بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

{صلى الله عليه وسلم} ذلك، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال:

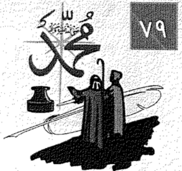
«لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»، فقال أعرابي: يارسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء، فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟! فقال {صلى الله عليه وسلم} فمن أعدى الأول؟!.

والتشاؤم بشهر صفر أو بيوم الجمعة أو يوم السبت أو غيره من الأوقات أو بالمخلوقات أو بالطيور كله من جنس الطيرة والتطير التى نهى عنها النبي {صلى الله عليه وسلم}، وعدّها شركاً، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: «الطيرة شرك» رواه أهل السنن الا النسائي، وروى الامام أحمد وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي {صلى الله عليه وسلم} أنه قال: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» قال: وكفارة ذلك أن يقول أحدهم: اللهم لا طير الا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك.

أو يقول كما جاء في حديث عروة بن عامر رضى الله عنه قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك» رواه أبو داود والبيهقي والبغوى، وغيرهم وصححه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيره.

وما هذا العلاج والدواء بهذين الدعائين الجامعين منه {صلى الله عليه وسلم}، إلا لعلاج ما قد يطرأ على الخاطر من أمر التطير والتشاؤم، فيدافع بالاعتقاد الحق في الله وقدره، ويترك الحول والقوة بغيره سبحانه. والواقع أن الذنوب أعظم شؤم وأعظم خطر ويجب على المسلم أن يحفظ دينه وقلبه وعقيدته من هذه القوادح والخوارم التى تخرم إيمانه وتوحيده بالله، كما يجب عليه أن يصحح قصده وتعلقه بربه من شوائب الجهل والعوائد الفاسدة، ويتواصى بذلك مع أهله وإخوانه المسلمين، دعوة ونصحاً ومجاهدة لما يرد من هذه البدع والمخالفات.

وفق الله المسلمين لذلك وأعاننا وإياهم علي حسن عبادته وكمال التعلق به، وحذرنا من صد ذلك مما يقدح في مقاصدنا وأقوالنا وأفعالنا وهو سبحانه ولي التوفيق.



قصة هود (عليه السلام)

موطن عاد قوم هود :

أكثر آراء الباحثين من المؤرخين والمفسرين وكُتَّاب السِّير على أن موطن عاد قوم هود في بلاد اليمن، وأن منازلهم موزعة بين الشحر والأحقاف من عُمَان الى حضرموت، وكانت «الشَّحْر»[١] تطل على ساحل البحر، وأنهم عرب يتكلمون اللغة العربية، وكثيرا ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة، وهم من قبيلة يقال لها: عاد بن عوص بن نوح. وعاد من العرب العاربة التى ينتمى إليها من هم قبل إسماعيل ـ عليه السلام ـ كثمود وجرهم، وطسم وجديس، وأميم، ومدين، وعملاق، وجاسم، وقحطان، وبنى يقطن، وغيرهم. وجاء في القرآن الكريم إنهم يسكنون الأحقاف: ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾[٢] جمع حقف، وهو ما استطال واعوج من الرمل، وهي منازل عاد. ويقال لها: رمل عالج، وكانوا مع ذلك فشوا في الأرض، وكثروا وقهروا أهلها، لفضل قوتهم التى آتاهم الله[٣].

وقال عكرمة: الأحقاف الجبل والغار، وقال على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ الأحقاف واد بحضرموت، يدعى برهوت، فيه أرواح الكفار، وقال قتادة: ذكر لنا أن عادا كانوا حيا باليمن، أهل رمل، مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر. ونقل ابن كثير[٤] عن ابن ماجة، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «يرحمنا الله وأخا عاد».

ونقل ابن كثير عن أبى الطفيل عامر بن وائلة: سمعت عليّا يقول ارجل من حضرموت: هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مدرة حمراء. ذا أراك وسدر كثير، بناصية كذا وكذا، من أرض حضرموت، هل رأيته؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، والله إنك لتنعته نعت رجل قد رآه، قال: لا، ولكنى قد حدثت عنه. فقال الحضرمى: وما شأنه يا أمير المؤمنين؟ قال: فيه قبر هود ـ عليه السلام ـ

ومن أخبارهم في القصص النبوى ما جاء في مسند الإمام أحمد[٥]: عن أبى وائل عن الحرث بن



بقلم: أ. د. عبدالباسط حمودة - مصر

يزيد البكرى، قال: خرجت أشكو العلاء بن الحضرمى الى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فمررت بالربذة، فإذا عجوز من بنى تميم منقطع بها، فقالت لى: يا عبد الله إن لى الى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} حاجة فهل أنت مبلغى إليه؟ قال: فحملتها فأتيت المدينة، فإذا المسجد غاص بأهله، وإذا راية سوداء تخفق، وبلال متقلد السيف بين يدى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فقلت ما شأن الناس؟ قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها، قال: فجلست، قال: فدخل منزله أو قال رحله، فاستأذنت عليه فأذن لي، فدخلت فسلمت، فقال: هل كان بينكم وبين بنى تميم شيء؟ قال: فقلت: نعم، قال: وكانت لنا الدائرة عليهم، ومررت بعجوز من بنى تميم منقطع بها، فسألتنى أن أحملها إليك، وها هى بالباب، فأذن لها، فدخلت، فقلت يارسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين بنى تميم حاجزا فاجعل الدهناء، فحميت العجوز واستوفزت، قالت: يارسول الله، فإلى أين تضطر مضرك، قال: قلت إنما مثلى ما قال الأول: معزاء حملت حتفها. حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لى خصماً، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد.

قال : هيه، وما وافد عاد - وهو أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه - قلت: إن عادا قحطوا فبعثوا وافداً لهم يقال له قيْل، فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر، وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان، فلما مضى الشهر خرج الى جبال تهامة، فنادى اللهم إنك تعلم أنى لم أجيء الى مريض فأداويه، ولا إلى أسير فأفاديه، اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه، فمرت به سحابات سود، فنودى منها: اختر، فأومأ الى سحابة منها سوداء فنودى منها: خذها رمادا رمددا، لا تبقى من عاد أحدا، قال: فما بلغنى أنه بعث عليهم من الريح إلا قدر ما يجرى في خاتمى هذا حتى هلكوا. قال أبو وائل: وصدق، فكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا: لا تكن كوافد عاد.

وقد نقل هذه الرواية ابن كثير في قصصه وتفسيره.

ووصف القرآن مساكنهم وحضارتهم وصفاتهم في كثير من الآيات التى سنتعرض لها - إن شاء الله - وقال النجار عنها: (كانت مساكن عاد في أرض الأحقاف، وهى تقع في شمال حضرموت، وفي شمالها الربع الخالى، وفي شرقها عُمَان، وموضع بلادهم اليوم رمال ليس بها أنيس بعد ذلك العمران والنعيم المقيم، ولم يتعرض أحد من الأوربيين الباحثين والمنقبين الى الكشف عن بلادهم، ولعل تحت الرمال من الثروة العلمية ما لو كشف لكان عظيم القيمة في عالم الآثار، وأبان عن مدينة عظيمة مطمورة تحت تلك الكثبان، وقد أخبرنى السيد عبد الله بن أحمد بن عمر بن يحيى العلوى - من أهل حضرموت - أنه قام في جماعة الى إحدى المدن البائدة في شمال حضرموت، ونقب فيها وعثر على بعض الآنية من المرمر، عليها كتابة بالخط المسمارى، ثم ترك التنقيب لضايقة البدو وإثقال كاهله بالمطالب المالية)[٦].

نسب قوم هود وصفاتهم :

قوم هود من العرب العاربة التي تضم قبائل شتى منها قبيلة عاد، ومن هذه القبيلة هود ـ عليه السلام ـ وهو نبي عربي كما في صحيح ابن حبان عن أبي ذر: «منهم أربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيك يا أبا ذر» ويقال إن هودا أول من تكلم بالعربية. وقيل: نوح.

وذكر ابن كثير[٧] أنهم أول الأمم الذين عبدوا الأصنام بعد الطوفان، وأنهم أشد أهل زمانهم في الخلقة والشدة والبطش وأنهم كانوا جفاة كافرين، عتاة متمردين في عبادة الأصنام. وأنهم كانوا غاية من قوة التركيب، والطول المديد، والأرزاق الدارة، والأموال والجنات والأنهار، والأبناء والزروع والثمار. وكانت أماكنهم مرتفعة عند جواد الطرق المشهورة، ويبنون بنيانا محكما هائلا باهرا، ولهذا قال الله تعالى: **{أتبنون بكل ريع آية تعبثون}** وإنما يفعلون ذلك عبثا لا للاحتياج إليه، بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة، ولهذا أنكر عليهم نبيهم ـ عليه السلام ـ ذلك؛ لأنه تضييع للزمان، وإتعاب للأبدان في غير فائدة، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال: **{وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون}**، قال مجاهد: والمصانع البروج المشيدة والبنيان المخلد.

وقد أنكر أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ لما رأى ما أحدث المسلمون في الغوطة من البنيان ونصب الشجر، وقام في مسجدهم فنادى: يا أهل دمشق، فاجتمعوا إليه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا تستحيون، ألا تستحيون، تجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، إنه قد كانت قبلكم قرون يجمعون فيوعون، ويبنون فيوثقون، ويأملون فيطيلون، فأصبح أملهم غرورا وأصبح جمعهم بورا، وأصبحت مساكنهم قبورا، ألا إن عادا ملكت ما بين عدن وعمان خيلا وركابا، فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين؟.

ويقول النجار في قصص الأنبياء: ومن المحتمل أن عادا كانوا أطول أعمارا، كما كانوا أكبر أجساما.

وقال الشوكاني في فتح القدير: كانت عاد ما بين اليمن إلى الشأم مثل الذر.

وأخرج ابن عساكر عن وهب قال: كان الرجل من عاد ستين ذراعا بذراعهم، وكانت هامة الرجل مثل القبة العظيمة، وكانت عين الرجل لتفرخ فيها السباع، وكذلك مناخرهم وعن قتادة قال: ذكر لنا أنهم كانوا اثنى عشر ذراعا طولا.

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن ابن عباس قال: كان الرجل منهم سبعين باعا، وكانت البرة فيهم كَكُلْيَة البقرة، والرمانة الواحدة يقعد في قشرها عشرة نفر.

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، وابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: إن كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراع من الحجارة لو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الأمة لم يستطيعوا أن يقلوه، وإن كان أحدهم ليدخل قدمه في الأرض فتدخل فيها.

لغة قوم هود :

ذكرنا في قصة نوح ـ عليه السلام ـ أنه حين هبط أسفل الجودي فابتنى قرية وسماها ثمانين، فأصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت ألسنتهم على ثمانين لغة، إحداها العربية. ويذكر ابن كثير في قصصه أن هوداً ـ عليه السلام ـ أول من تكلم بالعربية، وزعم وهب بن منبه أن أباه أول من تكلم بها، وقال غيره: أول من تكلم بها نوح وقيل: آدم، وهو الأشبه، لأن اللسان العربي قديم قبل

نوح - عليه السلام - ولأنه لسان أهل الجنة التى سكنها آدم - عليه السلام - وقد روى عن أبى هريرة أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال[٨]: (أحبوا العرب لثلاث: لأنى عربي، والقرآن عربى، ولسان أهل الجنة عربي)٠ وهذا الحديث صححه السيوطى٠ وقال المناوى: إن ستة من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - من العرب: نوح، وهود، واسماعيل، وصالح، وشعيب، ومحمد٠

وقال : يقال: العرب العاربة هم الذين تكلموا بلسان يعرب بن قحطان، وهو اللسان القديم، والعرب المستعربة هم الذين تكلموا بلسان إسماعيل بن ابراهيم وهي لغة الحجاز٠

وقال عبد الملك بن حبيب[٩] : كأن اللسان الأول الذى نزل به آدم من الجنة عربيا، الى أن بَعُد العهد وطال، فحُرِّف وصار سريانيا، وهو منسوب الى أرض (سورنة) وهى أرض الجزيرة، بها كان نوح - عليه السلام - وقومه قبل الغرق، قال: وكان يشاكل اللسان العربي، إلا أنه محرف، وهو كان لسان جميع من في السفينة إلا رجلا واحدا يقال له: جرهم، فكان لسانه اللسان العربي الأول، فلما خرجوا من السفينة تزوج إرمُ بن سام بعض بناته، فمنهم صار اللسان العربي في ولده عوص أبى عاد وعبيل، وجائر أبى ثمود، وجديس٠ وسميت عاد باسم جرهم لأنه كان جدهم من الأم٠

وبقى اللسان السُّريانى في ولد أرفخشد بن سام الى أن وصل الى يشجب بن قحطان من ذريته، وكان باليمن، فنزل هناك بنو إسماعيل، فتعلم منهم بنو قحطان اللسان العربي٠

ويحاول بعض الباحثين أن يقارب بين العربية والسريانية فيقول[١٠]: (ولعل في هذا ما يدل على أن أسلافنا توسعوا أكثر مما ينبغى حين درسوا الدخيل في عربيتنا، فوقفوا عند ألفاظ كثيرة وقالوا إنها سريانية آرامية، غير ملتفتين الى طائفة من هذه الألفاظ ترجع الى الأصل السامى القديم، فلا يقال: إن العرب أخذوها من السريان ولا إن السريان أخذوها من العرب)٠ والأمر واضح فيما تقدم من عراقة اللغة العربية٠

ويقول العقاد في بحثه العلمى الدقيق: (الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين): وهذه الثقافات الثلاث هى: (العربية واليونانية والعبرانية أقدمها في التاريخ هى الثقافة العربية، قبل أن تعرف أمة من هذه الأمم باسمها المشهور في العصور الحديثة٠٠ فالأبجدية اليونانية عربية بحروفها وبمعانى تلك الحروف وأشكالها، منسوبة عندهم الى قدموس الفينيقى، وهو كتاب مؤرخهم الأكبر «هيرودوت» أول من علمهم الصناعات٠ وسفر التكوين وسفر الخروج صريحان في تعليم الصالحين من العرب لكل من إبراهيم وموسى - عليهما السلام - ٠٠ ولا خلاف في علاقة العرب الأقدمين بالجزيرة العربية، ولا في قدم العمران بهذه الجزيرة٠

ولا خلاف كذلك في قدم اللسان العربي فيها، ولا في أنه أقدم لسان تكلم به سكانها الأقدمون، ولم يعرف لهم لسان قبله مخالف له في أصوله وخصائصه التى تميز بها بين اللغات٠

أكان المتكلمون بهذا اللسان قبل ثلاثين قرنا مقيمين بالجزيرة العربية، أم كانوا مقيمين في موطن آخر ثم هاجروا إليها؟٠

وقد كان أشهر اللغات السامية وأشيعها في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ثلاثا بين جنوب الجزيرة وشرقها الى الشمال وغربها الى الشمال، وهي:

اليمنية، والآرامية، والكنعانية، مما يدل على أنها نبتت من الجنوب الى مواطن الهجرة التى درجت القبائل عليها منذ فجر التاريخ، في طريق بحر العرب شرقا الى وادى النهرين أو طريق البحر الأحمر غربا الى فلسطين..).

وقد ظهرت في العصر الحديث بحوث كثيرة في فروع متعددة تثبت تأثير العرب بلغتهم في لغات العالم القديم والحديث، الأمر الذى يشهد بصحة أقوال المفسرين أن الله علم آدم الأسماء باللغة العربية.

عبادة قوم هود :

من الواضح أن عادا كانت تعبد غير الله، وأنهم يسيرون على طريقة آبائهم في اتخاذ آلهة من دون الله، ولذلك بادروا باتهام هود بالسفاهة وتعجبوا من دعوته لهم بعبادة الله وحده، وبلغ بهم التحدى أن يأتيهم بعذاب الله إن كان صادقا في دعوته: **{قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونَذَر ما كان يعبد آباؤنا، فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين}**[١١]، يقول الثعلبي[١٢] «قال محمد بن اسحق بن يسار: أمرهم هود أن يوحدوا الله - تعالى - ولا يجعلوا معه إلها غيره، وأن يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما يذكر بغير ذلك، فأبوا ذلك عليه، وكذبوه، وقالوا من أشد منا قوة، وبنوا المصانع، وبطشوا فيها بطش الجبارين».

وقال ابن كثير في قصصه: (إن عادا كانوا جفاة كافرين، عتاة متمردين في عبادة الأصنام، فأرسل الله فيهم رجلا منهم يدعوهم الى الله والى إفراده بالعبادة والإخلاص له، فكذبوه، وخالفوه. فلما أمرهم بعبادة الله ورغبهم في طاعته واستغفاره ووعدهم على ذلك خير الدنيا والآخرة، وتوعدهم على مخالفة ذلك عقوبة الدنيا والآخرة: **{قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة}**[١٣]، أى هذا الأمر الذى تدعونا إليه سفه بالنسبة الى ما نحن عليه من عبادة الأصنام التى يرتجى منها النصر والرزق، ومع هذا نظن أنك تكذب في دعواك أن الله أرسلك.. وما جئتنا بخارق يشهد لك بصدق ما جئت به، وما نحن بالذين نترك عبادة أصنامنا لمجرد قولك، بلا دليل أقمته ولا برهان نصبته، وما نظن إلا أنك مجنون فيما تزعمه. وعندنا أنه إنما أصابك هذا لأن بعض آلهتنا غضبت عليك فأصابك في عقلك، فاعتراك جنون بسبب ذلك..).

ونقل النويرى[١٤] عن وهب: كان ملك عاد الأكبر اسمه الخلجان بن عاد بن العوص بن إرم بن سام، وكان قومه يرجعون الى فصاحة وشعر، وكان له ثلاثة أصنام: صداء، وهباء، وصمود، وكان ملكهم قد حلّى هذه الأصنام بأنواع الحلى وطيبها. وجعل لها عدة من الخدم بعدد أيام السنة، فعتوا في المعاصى، وانهمكوا على عبادة الأصنام.

ويقول النجار في قصص الأنبياء: كان قوم هود أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله - تعالى - ضاهوا في عبادتها قوم نوح حين عبدوا ودّا وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا.

وفي أثر مروى عن ابن عباس إنهم اتخذوا صنما يقال له: صمود، وصنما يقال له: الهتار، فبعث الله إليهم هودا، وكان هود من قبيلة يقال لها: الخلود، وكان من أوسطهم نسبا، وأصبحهم وجها، وكان في مثل أجسادهم أبيض بادى العنفقة، طويل اللحية، فدعاهم الى عبادة الله، وأمرهم أن يوحدوه وأن يكفوا عن ظلم الناس، فأبوا ذلك وكذبوه.

وقد آمن لهود أناس من قومه، وصدقوا برسالته، وعرفوا أن لهم إلها غير هذه الأصنام، وكانوا يمتنعون عن الظلم والطغيان على عباد الله، وهم الذين نجوا مع

هود، وهم الذين نقلوا الأخبار والأحاديث والأشعار والأحداث التى حدثت لعاد قبل العذاب وبعده، فإن كان الله قد أهلك عادا ولم يبق لها باقية، فإن ما جرى لهم نقل رواية عن المؤمنين الناجين، ليكون عبرة لمن بعدهم، فذلك مقصد عظيم في القصص القرآنى والقصص النبوى على النحو الذى سنبينه - إن شاء الله - والذى أشرنا إليه في قصة نوح - عليه السلام -

ونذكر من المؤمنين الذين آمنوا لهود - عليه السلام - مرثد بن سعد بن عفير - وكان مسلما كتم إسلامه - وقد علمت عاد بذلك، وكانوا لا يريدونه في وفدهم الذى سيذهب الى مكة للاستسقاء، ولكنه خرج بعدهم وأدركهم بمكة[١٥].

ومن أوائل المؤمنين لهود رجل من قومه يقال له جنادة بن الأصم وأربعون من بنى عمه، ثم غدا جنادة وبنو عمه حتى وقفوا على جماعة من سادات قومه، فقال: يا قوم لا تمنعنكم مرارة الحق أن تقبلوه، ولا حلاوة الباطل أن تتركوه؛ وهذا ابن عمكم هود قد عرفتم صدقه، وقد أتاكم من عند الله رسولا وواعظا، فاتقوا الله وأطيعوه، وحذرهم، فحصبوه وشتموه، فرجع الى هود.

ويقال سبب إيمان مرثد بن عاد، أنه ذهب إلى هود وقال: يا هود إنى جئتك في أمر، فإن أخبرتنى به فأنت رسول الله، قال له هود: يا مرثد كنت البارحة نائما مع زوجتك فواقعتها، فقالت لك: أتظن أنى قد حملت؟ فقلت لها: إنى صائر غدا الى هود، فإن أخبرنى بهذا الكلام آمنت به، فقال مرثد: أشهد أنك رسول الله حقا، ولكن أخبرنى هل حملت؟ قال: نعم حملت بولدين ذكرين يكونان من أمتى، سيخرجان من بطنها سليمين مؤمنين، وستلد لك عشرة أبطن في كل بطن ذكران، ويكونان من أمتى، فوثب مرثد وقبل رأس هود وكان من خيار أصحابه، وجعل مرثد يقول:

من كان يصدق يوما في مقالته
فإن هودا رسول صادق القيل
نبي صدق أتى بالحق من حكم
وقد أتانا ببرهان وتنزيل
فالحمد لله حمدا دائما أبدا
مضاعفا شكره في كل تفصيل

ثم انصرف مرثد الى امرأته وأخبرها؛ وكان مرثد يكتم إيمانه ويجالس قومه فإذا سمعهم يذكرون هودا بسوء يقول: مهلا يا بنى عم فإنه كأحدكم وابن عمكم.

- للحديث صلة -

الهوامش :

(١) القاموس المحيط.
(٢) سورة الأحقاف/ ٢١.
(٣) الثعلبي : قصص الأنبياء ص ٣٦.
(٤) جـ ٤ ص ٢٠٢ وجـ ٢ ص ٣٠١.
(٥) جـ ٣ ص ٤٨١.
(٦) قصص الأنبياء ص ٧١.
(٧) قصص الأنبياء ص ٩٨ - ٩٩ وتفسيره جـ ٣ ص ٤٥١ - ٤٥٢.
(٨) منتخب كنز العمال جـ ٥ ص ٣٠٨ وفيض القدير جـ ١ ص ١٧٨ وجـ ٣ ص ٩٢.
(٩) البلاغة في أصول اللغة: السيد محمد صديق حسن خان القنوجي.
(١٠) د. شوقي ضيف: العصر الجاهلي ص ١٠٤.
(١١) سورة الأعراف/ ٧٠.
(١٢) قصص الأنبياء ص ٣٦.
(١٣) الأعراف/ ٦٦.
(١٤) نهاية الأرب جـ ١٣ ص ٥١ وتاريخ الطبري جـ ١ ص ٢١٦.
(١٥) الثعلبي : قصص الأنبياء ص ٣٧.



شاعر العقيق
(الشاعر محمد هاشم رشيد)

من مواليد المدينة المنورة عام ١٣٤٨هـ حفظ آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية في مكتبة والده/ رشيد بك الغزي، الذى كان مهندساً لسكة الحديد، كما حفظ في هذه المكتبة قصائد حماسية واطلع بأمر والده أيضاً على محتويات دوريات المكتبة واسفارها، خاصة أنها تحتوي على عدد من المجلات العلمية والأدبية، مثل مجلة المقتطف والمناهج والرسالة ومجموعة من الكتب التى تعتني باللغة العربية وآدابها، والأسفار المليئة بحوادث العصور الماضية وتراجم ملوكها ووزرائها وأعيانها، وأدى هذا الاطلاع المستمر الى تنمية مواهبه الأدبية وتوسعة مداركه العلمية.. وكان يؤدي صلواته في المسجد النبوي الشريف مما دفعه الى التعارف بعلمائه الأجلاء والحديث معهم في فنون الأدب ومسائل الدين.. حتى لقى منهم التوجيه الدينى والرعاية الأدبية وفي مقدمتهم فضيلة السيد أحمد ياسين الخياري، وزميله فضيلة الشيخ محمد الحافظ موسى، وكان يعرض مرة في الأسبوع مقطوعاته الشعرية للأديبين على وعثمان حافظ، فوجد منهما ترحيباً بالغاً وتشجيعاً مستمراً، إذ كانت جريدتهما (المدينة المنورة) تنشر نتاجه الشعري دوماً.

مارس العمل الصحفي في بدء حياته الأدبية إذ كانت جريدة البلاد اليومية تنشر له أحاديث صحفية وتقارير اخبارية من المدينة المنورة، وعندما أصبح مديراً لإدارة المطبوعات بفرع وزارة الإعلام بالمدينة المنورة ساهم في العديد من البرامج الإذاعية والحلقات التلفزيونية وله مشاركات فعالة في الأمسيات الشعرية والندوات الثقافية داخل المملكة وخارجها.. طوال حياته الأدبية.

حصل الشاعر على الوسام الثقافي التونسي عام ١٣٩٣هـ كما حصل على ميدالية المتنبى للشعر بالعراق عام ١٣٩٩هـ، كما أنه كان من أوائل أدبائنا المكرمين في (الإثنينيه) التى يقيمها سعادة الأديب المعروف/ عبد المقصود محمد سعيد خوجه، وذلك مساء يوم الاثنين ١٤٠٥/٦/٢٧هـ لكونه أديباً ملأ الساحة الأدبية بالمقالات والخواطر والمقطوعات والقصائد المفعمة بالتفاعل الحي والعطاء الدفاق..

في مجال التراث العريق والأحداث التاريخية بأسلوب اتسم بالروح الصافية والمشاعر الصادقة، ويعتبر (وراء السراب) أول ديوان صدر للشاعر المدني (محمد هاشم رشيد) وذلك في سنة ١٣٧٠هـ وعندما تقلب صفحات هذا الديوان تقرأ قصيدة عنوانها (أنا) وقد جاءت في أول الديوان في قالب جديد مشحون بالعاطفة المتموجه متعانقة بالتعبير المتدفق.

أنا في لجة الحياة شعاع
مشرق النور رائع اللمحات
عمى الناس عن سناه فأمسى
ضائعاً في مسارح الظلمات
أنا في الكون بلبل يتغنى
مستهاما بأعذب الصدحات
انكر الحسن لحنه فتوارى
في مطاوى الشجون والحسرات
أنا نبع ترف بين حواليه وتزهو نواعس الزهرات
جهل الروض سره فتلاشى
وثوى بين أضلع الفلوات

حقاً إنه بلبل حائر يتنقل من فن الى فن بحثاً عن الحسن يملأ ناظريه.. وعن الجمال يترع كأس حياته.. وعندما يمضي به الزمن يحس أن الماضي الذى أشرق كالفجر لفعته السحب الدكناء وأن الروض الذى امتلأ بالزهر حطمته الاعصار مما جعله ينسى الحب والأنغام والألحان ما دام ماضي الحب دفن واندثر فرجع الى الواقع تاركاً سراب الوهم متمسكاً بزمام المعادلة بين الواقع والخيال التى من شأنها الارتقاء الى مستوى الفن الحقيقي:

ذلك الروض الذي رفرف بالعطر شذيًّا
حطم الاعصار فيه الدوح والزهر النديا

بقلم : عثمان محمد مليباري

- مكة المكرمة -

ذلك النبع الذي لألأ في الأفق سنيا
لم يكن غير سراب ظامىء ينشد ريًّا

* * *

ذلك (الماضي الذي) اشرق كالفجر بهيًّا
لفعته السحب الدكناء فارتد دجيًّا

* * *

ذلك اللحن الذي أرعش أعماقي مليًّا
أخفت الدهر صداه.. فسرى همساً خفيًّا

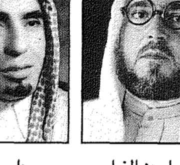
* * *

أسفاً يا قلبي المخدوع كم تطلب .. ريًّا
وترى في الظلمة الدكناء فجراً شاعريًّا

* * *

ان ماضي حبنا الزاهي دفناه سويًّا
فدع الأحلام إنى .. عدت أحيا واقعيًّا

وللشاعر سبعة دواوين هي: (وراء السراب - على دروب الشمس - في ظلال السماء - على ضفاف العقيق - الجناحان الخافقان - على اطلال إرم - بقايا عبير ورماد)، ومعظم قصائد الديوان الأخير كانت منشورة في الصحف والمجلات مما صعب عليه جمعها في وقت قصير ولكن زميل الشاعر الكاتب المعروف (عبد الله بوقري) قدم له مساعدة فعالة إذ نسخ له قصائده


أحمد ياسين الخياري


علي حافظ


عثمان حافظ

المنشورة في مجلة الإذاعة السعودية لكونه كان ولا يزال يحتفظ بكل أعداد المجلة.

أهل المدينة المنورة يتنزهون في وادي العقيق الواقع في غرب المدينة المنورة. يذهبون اليه زرافات ووحدانا خاصة في أيام العطل حيث يجدون في الوادي الفسيح تظله الغيوم والنجوم في صور فاتنة، والرمال تتراقص بأروع الألوان، والأعشاب تتحرك كلما هب عليها النسيم، ولهم ذكريات جميلة في واحاته الخضراء.

وشاعرنا مغرم بجمال الوادي وعاشق لضفافه ولياليه لدرجة أنه أطلق على مجموعة من أشعاره اسم (على ضفاف العقيق) الذى صدر من قبل نادي المدينة المنورة الأدبي ١٣٩٩هـ وقد صور في هذا الديوان أيامه التى قضاها في الوادي حيث الذكريات الأدبية التاريخية لانغام ابن سريج ومعبد وألحان ابن عائشة وابن ابي عتيق. وتجد في قصيدة (على ضفاف العقيق) ارتباط الحاضر بالماضي ومعانقة الخيال بالواقع الى جانب الذكريات المتعلقة بالتراث والتعبير عن صحاري الوادي وجباله وسمائه بأسلوبه الأخاذ وفنه البلاغي الرفيع.

في شاطئيك عرفت سر وجودي
وقبست من ألق السماء نشيدي
ووقفت في ثبج الرؤى .. أرنو الى
رقص السنا في موجك العربيد
أنى نظرت الى السماء رأيتها
في ضفتيك مشوقة التوريد
ورأيت أطياف الجبال.. تراقصت
نشوى بايقاع الصدى الغريد
والعشب رنحه رحيقك فانتشت
أعطافه في الشاطىء المنضود
ياشاطىء الأنغام والأحلام والأفراح
يا سر الهوى .. بقصيدي
كم قد وقفت على ضفافك والرؤى
في أضلعي مسحورة التغريد
أخطو على الشط البهيج.. وفي يدي
غصن.. ترف عليه بعض ورود
ولكم جلست على الصخور.. وفي دمي
شوق .. الى فردوسك الموعود

وأعلن الناقد المرحوم/ عبد العزيز الربيع (بأن في شعر محمد هاشم رشيد نكهة بلادنا وروحها وطموحاتها وأحداثها). وقد وصف الأمطار التى هطلت في الصحراء كبركات من السماء فشاهد الزهرات التى تفتحت وأريجها زهت في كل محفل.

أيا بركات السماء اغمرى
بفيضك .. قلبي .. وروِّ ضلوعي
وهلي على الربوات الظماء
وضمي الوجود .. بقلب .. ولوع
أيا بركات السماء اهطلى
على الكون .. بالأمل المشرق
اعيدى اخضرار الحقول الفساح
وزهزهة الشجر .. المورق
وفيضى على الأرض.. حتى يرف
عليها .. شذا الورد والزنبق
أيا بركات السماء .. اسمعى
صدى الناي يخفق بين الجبال
وترنيمة الغاب .. والشاديات
ترقرق فيه.. لحون الجمال
وهمهمة السيل.. بين البطاح
يضم الربى.. ويناغى التلال

وفي قصيدته (النشوة الخالدة) يتكلم عن وهج الحنين للأفق المشرق بالتغريد وعن المساء المغرد بالأضواء والأزهار.

مازلت من ذلك المساء مغردا
جذلا.. أضم بنشوه قيثاري

وأسير في الوادي الجميل.. مرنماً
أشدو مع الأضواء والأزهار
وارقرق الأحلام.. والأنغام في
دنيا الهوى.. وأعيش كالأطيار
وأسائل الأكوان عنك.. وأنت في
قلبي.. ولحنك في صدى أوتاري
مازلت من ذاك المساء.. كما رأت
عيناك.. لحناً بالشعاع ملفعاً
مازلت نايا.. بالهوى.. متضرما
مازلت فجراً بالغرام مشعشعا
انى بعثت على يديك.. وعدت من
ألحانك النشوى.. شذا متضوعا
ووقفت فوق ذرى الحياة وحسبنا
أن نلتقي يوماً.. وأن نشدو معاً

والشاعر كثير الالتفات الى ماضي الإسلام والأمجاد الإسلامية الخالدة وقد تجلى الحس الإسلامي في ديوانه (في ظلال الإسلام) ولا عجب في ذلك فإنه أحد الرجال الذين تربوا في مدينة الرسول {صلى الله عليه وسلم}

فالبقاع المقدسة تثير كوامن الإيمان في أعماقه فيعبر تلقائياً عن مبادىء الإسلام وقيمه ومثله وترسيخ تعاليمه والدفاع عنه وعن رجاله في شكل تصد مستميت للفكر المنحرف ومقاومة مستمرة للمبدأ المخرب.. وتجد في قصيدة (المئذنة) الهتاف الأعظم والدعوة الى الهدى والمحاسن والصوت الإيماني لدلالات متعددة تهتز له مهج الأتقياء.

يارمز حب شامخ باذخ
مجلجل يحمل روح الإباء
وجوهر الإيمان في دعوة
تهتز منها مهج الأتقياء
وقفت كالحارس.. فوق الذرى
في موقف.. يحمل فيه النداء
شاهدة للمصطفى أن
خير البرايا.. خاتم الأنبياء
مئذنة الدعوة.. دومي لنا
ودام للإسلام هذا النداء

وشاعرنا وثيق الصلة بالله سبحانه وتعالى عند كل أمر يحزبه، تراه يلجأ الى المولى الكريم بدعاء صادق وابتهال باك وإنابة ضارعه لتحقيق الأمل بعفوه ونصرته.

رباه.. إنك ربي
ورب كل الوجود
بك السموات قامت
وأذعنت للسجود
رباه إنك.. أهل
لكل فضل.. وجود
فكن دليل الحيارى
إلى رحاب الخلود

رحم الله شاعرنا (محمد هاشم رشيد) فقد كانت له مشاركات فعالة في توجيه الحركة الأدبية وصقل المواهب الشابة داخل النادي الأدبي بالمدينة المنورة وتقرأ في إصدارات النادي بحوثاً ممتعة للأساتذة عبد الرحيم أبو بكر ومحمد عثمان الصالح ووسام عبد الباقي والمرحوم عبد العزيز الربيع حيث تناول كل واحد منهم جانباً من جوانب حياته وشعره في شكل دراسات أدبية متطورة.

المراجع :

١ ـ الاعمال الشعرية الكاملة/ مجلدان لمحمد هاشم رشيد.
٢ ـ الشعر الحديث في السعودية من منشورات نادى المدينة المنورة للدكتور عبد الله الحامد.
٣ ـ النزعة الاسلامية في الشعر السعودى للدكتور حسن الهويمل اصدارات المهرجان الوطنى للتراث والثقافة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

تناقضٍ المتنبي نموذجاً لحال الأمة!

كان طبيعيا في زمن البراءة والنقاء أن ينعكس اعتزار المرء بانتمائه اعتزازا برموز التفوق والإبداع من أبناء أمته في سائر الحقول. من هنا كان اعتزازنا بأعلام التقوى والفقه والعلوم والأدب والشجاعة في الحرب والعدل والنزاهة في الحكم، وفيهم أعلام الشعر أيضا الذين يظل أبو الطيب المتنبي في مقدمهم.

ولئن سمح تطور التفكير والخبرة لبعضنا أن يناقش لاحقا ما تم تلقينه لنا في طفولتنا وصبانا عن هؤلاء الأعلام، فيكتشف أن لكل منهم هناته وثغراته ومثالبه وسقطاته، فكلهم أبناء آدم، وكل ابن آدم خطاء، فإن الأمر لم يكن كذلك لدى أغلب أبناء جيلنا الذين كانوا ضحايا مفهوم بائس شبه التعليم بالنقش على الحجر، وبالتالي استسلموا وتعاملوا مع كل ما جرى تلقينه لهم باعتباره مسلمات «مقدسة» لا تحتمل نقاشا أو مراجعة، نقيضا لدعوة الله عز وجل على امتداد آيات القرآن الكريم الى التفكر والتدبر، كما تعاملوا مع سائر الأمور بمنطق الأبيض والأسود لا ثالث لهما، وهو ما انعكس على تقييم كافة الأشخاص والمواقف والأمور تقييما سطحيا متعجلا ساذجا: إما وطني - هو من كان مع صاحب السلطان بلا تحفظ أو نقاش - وإما خائن؛ إما صاحب خوارق ومعجزات وإما عاجز عن أي عمل: إما عظيم يفقه في كل الأمور ويصلح لكل الأعمال وإما فاشل في كل شيء.

لطالما استذكرت ما تعلمته في طفولتي عن أبي الطيب المتنبي باعتباره أعظم شعراء العرب، فقد حيرني أمره منذ البداية. لم أستطع الرضوخ للمسلمات التى أرادوا نقشها على عقلي الذى اعتبروه حجرا، بل إنني أصلا لم أحتمل من حيث المبدأ اعتبار عقلي حجرا، ولا اعتبار ما ورد في الكتاب المدرسي أو على لسان المعلم - مما جرى تحفيظه له هو بدوره - نصا مقدسا يستحق النقش على عقلي الذي يصرون على مسخه حجرا! كتبت متأثرا بما استذكرته عن تجربتي هذه في إحدى المرات، ضمن مقالة عالجت جوانب متعددة لمعطيات إيجابية وأخرى سلبية تلازم احتمالات الفرصة الراهنة لانبعاث ثقافي عربي[1]، فقلت:

بقلم : د. خير الدين عبدالرحمن

دكتوراه في العلاقات الدولية - سوريا

«تحاصر الطفل ـ قبل المدرسة وفي مراحلها الأولى ـ برامج تلفزيونية وسلع استهلاكية وأنماط تعامل ومحسوسات مختلفة شديدة البريق والغواية، بما يغطي على خواء مضمونها بل وانحراف مقاصدها. يزداد الخطر في بروز نماذج خرافية شوهاء ومسلكيات موبوءة ورموز هزيلة تختفي خلف أقنعة خادعة، لا يلبث التكرار أن يجعل منها قدوة للطفل ومثلا أعلى، فتتشكل لدى الطفل مجموعة مضطربة من يقينيات زائفة ومثل مريضة وقيم مدمرة لشخصيته وسلوكه، بما يهدد باضمحلال الإيجابي من تأثيرات البيت والمدرسة والمحيط الاجتماعي. إذا ما أتيح للطفل من يسعى الى تعزيز حصانته الروحية والحضارية في مواجهة الاختراقات الهائلة متعددة الجوانب والاتجاهات، فكثيرا ما يوقعه التوجيه العشوائي والنهج التعليمي السقيم في أزمة متجددة. يقال للطفل مثلا أن العرب أعظم من قال الشعر بين الأمم، وأن المتنبي أعظم شعراء العرب، فيحفظ الطفل للمتنبي:

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
بأنني خير من تسعى به قدم
الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ثم يروح خياله راسما صورة لهذا الذي ينضح اعتدادا بالذات وشجاعة وصلابة وثقة ومعرفة وعلما، وتتعزز الصورة أكثر بقول المتنبي:

تمرست بالآفات حتى تركتها
تقول أمات الموت أم ذعر الذعر

لكن الصورة تتهشم عندما يمسخ العملاق فيها نفسه متسولا ذليلا أمام كافور الإخشيدي يخاطبه قائلا:

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله
فإني أغني منذ حين وتشرب
وهبت على مقدار كفي زماننا
ونفسي على مقدار كفيك تطلب

فيتساءل الطفل عن ذلك العنفوان لدى «خير من تسعى به قدم»، والذي قهر الآفات و«أمات الموت» و«ذعر الذعر» كيف ينحدر على تسول رخيص يسأل بقية شراب في قعر كأس الشارب ! تبلغ الحيرة مداها عندما يقرأ هجاء المتنبي لكافور الإخشيدي نفسه، بعد ذلك:

لا تشتري العبد إلا والعصا معه
إن العبيد لأنجاس مناكيد!..

وإذ يسقط المثال أمام الطفل سقوطا ذريعا يتكرر مع امثلة ونماذج أخرى تتقافز ما بين النقيض والنقيض، يجد الطفل من الملقنين من يدله الى تفسير أورده كتابه المدرسي: أعذب الشعر أكذبه! بدلا من القول مثلا بأن موهبة المتنبي الشعرية البارعة لا تغطي على اضطراب سلوكه، وهذا ما ألصق به لقب المتنبي، مما يعكس استعدادا هائلا للكذب والخداع والتبجح. مثل هذه المعالجة قد تساعد الطفل على تمييز البراعة في نظم الشعر عن انحراف السلوك، وعلى إدراك أن

الحياة مليئة بالمتناقضات، وأنه قد «كان الإنسان أكثر شيء جدلا»، بحيث لا يوضع الطفل أمام أبيض وأسود فقط، كثيرا ما يتلاحقان متناوبين الحالة ذاتها والشخص ذاته، بينما تحجب ألوان الطيف الأخرى عن ذلك الطفل. كيف لنا - بغير هذا - أن نلوم الطفل إن مضى بدوره ساعيا الى ذلك «الأكثر عذوبة» مبتكرا ومجددا إياه في مناحي الحياة والسلوك والعلاقات المختلفة، كذبا ونفاقا ورياء وتملقا وجحودا وانتهازية وادعاءات جوفاء؟» ثم مضت المقالة تستعرض سقطات ومثالب مماثلة في تعليم الفلك والأحياء والكيمياء والفيزياء والبيئة، ناهيك عن التربية.

لم يكن المتنبي وحيدا بين شعراء العربية الكبار الذين عبرت عن صدمتي في تقديم مناهجنا التعليمية لإنتاجهم وسيرتهم قدوة ونموذجا، إذ وقفت مطولا مثلا عند الأنانية المرعبة التي جعلت شاعرا مثل أبي فراس الحمداني يقول: «إذا مت ظمآنا فلا نزل القطر»، وإذ بأجيالنا المتعاقبة تتمايل طربا لقوله قرنا بعد قرن، دون أن ترتعد أوصال أكثر أفرادها لعدم اكتراث الشاعر بفناء البشرية جمعاء عطشا ما لم يحظ هو بما اشتهاه وتمناه!.

لم يكن تناقض المتنبي بين اعتداد واستجداء كل ما استوقفني طفلا، وإنما حيرني كذلك ما قرأت في سيرته عن بخله وهوسه بالمال وإسفافه في الحرص عليه والسعي إليه، دون تردد في إراقة ماء الوجه ونسغ الكرامة من أجل الحصول على حفنة دراهم، وتقتيره المذل في إنفاق أقل القليل من المال. لم استطع استيعاب كيف يصغر صاحب مثل هذه العبقرية الشعرية الفذة من شأن ذاته، ويحقر نفسه، ويتضاءل أمام المال حتى كاد أن يعبده، بل ويجاهر بجشعه ونهمه الشره للمال وبخله الشديد في إنفاقه، بينما هو نفسه قد فضح البخلاء وقرع عبيد المال بقوله:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر فالذي فعل الفقر

ضنت بالحكمة في بيت الشعر هذا على سلوك يناقضها لصاحبه، بحيث تردد في خاطري كلما تذكرت هذا البيت من الشعر قول الله تعالى: {لم تقولون مالا تفعلون} وقوله عز وجل أيضا {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم}، وحديث النبي {صلى الله عليه وسلم} الذى نقله أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : لا يدخل الجنة خب، ولا بخيل، ولا منان، وكذلك قول الشاعر: (لا تنه عن خلق وتأتي مثله).. ثم رحت استذكر كلما قرأت للمتنبي - أو لسواه - مديحا موغلا في النفاق أو استعطاء مذلا حديث نبينا {صلى الله عليه وسلم} (من عظم غنيا لغناه فقد ذهب ثلث دينه)، وما رواه البيهقي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - من قول النبي {صلى الله عليه وسلم} (من دخل على غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه)، وما رواه أنس - رضي الله عنه - عن النبي {صلى الله عليه وسلم} (من تضعضع لغني لينال مما في يده فقد اسخط الله عز وجل)، وما رواه الديلمي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - (من تضرع لصاحب دنيا وضع بذلك نصف دينه).

فسَّر ما قرأته لاحقا للشاعر أبي البركات بن أبي الفرج جانبا هاما من سلوك المتنبي فيما يخص الحرص على المال وجمعه والإمساك الشديد في إنفاقه وامتهان الذات لأجله، فقد نقل أبو البركات تبرير أبي

الطيب المتنبي إذ سأله سائل عن سر بخله فقال المتنبي: «إن لبخلي هذا سببا، ذلك أني أذكر وقد وردت في صباي من الكوفة على بغداد، فأخذت خمسة دراهم، وخرجت أمشي في أسواق بغداد، فمررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة، فرأيت عنده خمسة من البطيخ باكورة، فاستحسنتها، ونويت شراءها بالدراهم التي معي، فتقدمت عليه، وقلت: بكم تبيع هذه الخمسة بطاطيخ؟ فقال بغير اكتراث: اذهب، فليس هذا أكلك. فتماسكت معه وقلت: أيها الرجل دع ما يغيظ واقصد الثمن. فقال: ثمنه عشرة دراهم، فلشدة ما جبهني ما استطعت أن أخاطبه في المساومة. فوقفت حائرا، ودفعت له خمسة دراهم، فلم يقبل. وإذ بشيخ من التجار قد خرج من الخان، ذاهبا الى داره، فوثب صاحب البطيخ من دكانه ودعا له، وقال: يا مولاي، هذا بطيخ باكور، بإجازتك أحمله الى منزلك. فقال الشيخ: ويحك، بكم هذا؟ فقال: بخمسة دراهم. فقال: بل بدرهمين. فباعه بدرهمين، وحملها الى داره، ودعا له، وعاد الى دكانه مسرورا بما فعل. فقلت له: يا هذا! ما رأيت أعجب من جهلك، استمت علي في هذا البطيخ، وفعلت فعلتك التي فعلت، وكنت قد أعطيتك في ثمنه خمسة دراهم، فبعته بدرهمين محمولا. فقال: اسكت، هذا يملك مئة ألف دينار، وأنا ما أزال على ما تراه حتى يقول الناس: إن أبا الطيب قد ملك مئة ألف دينار»!![٢].

أسفت إذ قرأت تفسير المتنبي لبخله من خلال رده هذا السلوك الى تلك الحادثة التي أغاظه بائع البطيخ فيها، فهو تفسير بالتأكيد، لكنه لا يصلح تبريرا ولا تسويغا لمثل ذلك البخل والتهافت على المال والاستماتة في طلبه.

لم أكن لأتوقع من شاعر بمثل تلك العبقرية أن ينتبه الى ما حذر منه المسيح عيسى بن مريم عليه السلام اليهود الضالين بقوله: «لا تستطيعون عبادة الله والمال معا في آن واحد»، فمن تجرأ على ادعاء النبوة ما كان سيلتفت الى تحذير مثل هذا، لكن صدمتي تتجدد كلما أتمعن كيف يقر شاعر مبدع فريد بأن موقفا عابرا تافها لبائع بطيخ جاهل قد غير سلوكه ومسار حياته ودفعه الى مثل ذلك الانحدار، فأية قيمة لعبقرية لا ترتفع بصاحبها فوق التأثر على ذلك النحو بتصرف سوقي سخيف لبائع بطيخ، وإنما تتركه يندفع بكل جوارحه ليقلد غيّ ذلك البائع في اعتبار ملكية مئة ألف دينار معيارا لعظمة المرء وحصانة له، وليجعل من المنطق المريض الفاسد لذلك البائع فلسفة حياته ومحورا لسعيه ومحددا لسلوكه وسقفا لطموحه؟.

أنا أفهم أن يتأثر المتنبي بتلك الحادثة تأثرا عابرا فيشير إليها ببضعة أبيات من الشعر منتقدا ذلك التقييم السقيم للمرء من خلال ما يملك من مال، وأفهم أن يسخر من تعامل بعض العامة على ذلك النحو، لكنني لا أفهم أن يتأثر جذريا، باعترافه، فيتبنى المعيار الذي اعتمده بائع البطيخ ويوظف سنين عمره وجهده وشعره لجمع المبلغ الذي حدده ذلك البائع لمنح مالكه جدارة بالاحترام، واستحقاقا للحصول على البطيخ محمولا بما يقرره هو، لا البائع، من ثمن!.

واكبت استذكاري هذا التفسير الذي ساقه أبو البركات بن أبي الفرج عن المتنبي ذكرى حادثتين وقعتا لي:

أولاهما: انفعالي بعدما كرر خادم إساءة فهم تعليماتي المتكررة له فأساء الأداء أمام ضيوفي. همس

أحد الضيوف في أذني قائلا: هل تتصور أن هذا الفتى كان سوف يعمل خادما في منزلك أو في منزلي لو أن له من الذكاء والفطنة والحكمة وسرعة الفهم ما تتوقعه منه؟.

شكرت ضيفي، جزاه الله خيرا، إذ أدركت على الفور أن انفعالي لبلادة ذلك الخادم لا يحل مشكلة، فلو كانت لديه القدرات الفكرية التى تؤهله للتصرف بمثل ما أشتهى لكان قد صار فعلا طبيبا أو مهندسا أو عالما أو رجل أعمال، لا خادما في منزلي.

أما الحادثة الثانية فكانت مطابقة تماما لتلك الحادثة مع بائع البطيخ التى قرأت حديث المتنبي لاحقا عنها وعن تأثيرها الجذري على سلوكه ومسار حياته.

فقد عدت الى المدينة التى نشأت فيها طفلا وصبيا بعد غياب نحو عقدين، ورحت أتجول بشوق في شوارعها وأسواقها مستطلعا أحوالها ومستعيدا حوادث ووجوها من بين زحام الذكريات.. وقفت أسأل بائع فاكهة أظنه في العشرين من عمره عن سعر أحد أصناف الفاكهة، لكن الشاب ظل سارحا بنظراته بعيدا وتمتم دون أن «يتفضل» حتى بنظرة نحوي: هذا ليس مأكلك! كدت أصرخ في وجه الشاب: إن لم يكن هذا مأكلي أنا الذي التقيت وتعاملت مع نحو سبعين امبراطورا وملكا ورئيسا ومئات الوزراء في عشرات البلدان، وتناولت الطعام في العديد من القصور وأفخم المطاعم والفنادق في عواصم لا أظن أحدا في هذه المدينة أتيح له أن يزور نصفها، فأكل من هو؟ لكنني أمسكت عن الرد، واكتفيت ببسمة أسى وإشفاق متابعا سيري.

شهدت بعد ذلك سفهاء تتعلق بهم العيون إذ يدفع أحدهم الآلاف ثمن زهرة تقدمها فتاة في مطعم، أو يرمي رزمة أوراق نقدية تعادل دخل عائلة لسنة كاملة عند قدمي مغنية، فتتناقل الألسن أخبار «صولاتهم وجولاتهم» تلك، وترتفع الأيدي تحية لهم إذا ما أعار أحدهم المارة نظرة وهو يعبر في سيارته أو ينزل منها، فأدركت أن المسألة ليست مجرد موقف تافه عابر لبائع بطيخ أساء التصرف مع أبى الطيب المتنبي، وإنما هو مرض يتوارثه الناس منذ القديم والى يومنا هذا.

حذر الله عز وجل المبتلين بذلك المرض من «يوم لا ينفع مال ولا بنون» ، وأوضح مآلهم بقوله: {ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون} (الزمر/ ٤٧).

متى يستيقظ هؤلاء من غفلتهم ويفقهون تحذير خالقهم: {وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين. قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون. وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون} (سبأ/ ٣٥ ـ ٣٧).

غفر الله لنا ولأمة نبينا، و«الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله».

الهوامش :

(١) د. خير الدين عبد الرحمن، فرصة الانبعاث الثقافي العربي، شؤون عربية، القاهرة، العدد ٢٩، شعبان ١٤١٨، كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٧م.

(٢) الشيخ يوسف البديعي: الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ص ٩٦.

فاض الجوى

البروفيسور / سالم بن عبدالجبار آل عبدالرحمن - اليمن

يا زهرُ هل وعتنا وتركتنا
للّيل يُسلمنا إلى البيداء

للبين يفعل ما يشاء بدربنا
للوجد للوجدان للأدواء

للشوق للألم الذي نُكوى به
للحُب للأوهام للإعياء

لتناثر الآهات من صبٍّ به
فاض الجوى ليفيض بالأصداء

ما بين خلان تباعد طيفهم
وغدا وميضاً لا يفي لضيائي

يدنو فلا يرجو القريب ضياءه
ولدى البعاد فهل لديه وفائي

تعلو الصبابة والبعاد بصده
والصبّ لا يقوى لدى الأهواء

فيعيش بين صبابة وتباعد
ويتيه بين محبة وجفاء

لا الشوق يعفيه هوى وصبابة
والبين لا يبقى لأى رجاء

ألم يعانيه المحبّ ودونه
بحر البعاد وقسوة الصحراء

ألم الجوى يكويه ثم يزيده
ألم البعاد بناره الهوجاء

حب يقاسمه النهار بنوره
ويزيد نوراً عند كُلّ مساء

أتراه يغفو والظلام صبابة
والشوق يزهو في دُجى الظلماء

والبعد لا ينسيه رغم مكوثه
ألق النجوم ببسمة الورقاء

ونسيم من يهوى يراودهُ متى
دلف المساء برقة الإيحاء

ووميض زهر لم يفارق عينه
وضياء حبٍّ في الفؤاد سنائي

فالليل يحجب ودهم فيمده
شوقاً لهم متملك الأحشاء

والنجم يعكس وصفهم متحولا
نوراً يضيء بخاطري وسمائي

والبدر فيهم يستمد ضياءه
ليضيء دوما في رُبا الأرجاء

فيعيش في حلم يروم رجاءه
ويظل يأمل دائماً بلقاء

اختلاف القدماء حول أبي حيان التوحيدي

الأستاذ الدكتور محمد عمارة، منذ سنين خلت آثر مجلته المنهل بجمع من دراساته وبحوثه القيمة، ذات التحليل العميق الدقيق. ولا شك كانت، ولا تزال دراساته تلك مكان شدّ وجذب للقراء لموضوعيتها.

وآخر دراسة نشرتها له المنهل كانت بعنوان (الاسلام والفنون الجميلة) نشرت في سبع حلقات متتاليات كان آخرها في العدد الصادر لشهر ذي الحجة ١٤٢٣هـ.. وكانت دراسة تقييمية لمدى اهتمام الاسلام والمسلمين بـ (الفنون الجميلة) التى تزين الحياة وتنضرها. وتكسبها الجمال والابداع، ويسعد بها الانسان.

وابتداء من هذا العدد، وعلى مدى سبع حلقات متتاليات - ايضاً - تنشر المنهل لاستاذنا الدكتور عمارة دراسته القيمة بعنوان (اختلاف القدماء حول أبي حيان التوحيدى) وفيها يناقش آراء القادحين والمادحين للتوحيدى من خلال مقالات التوحيدي ذاته.. وهي دراسة تضع موازين الانصاف لهذا المفكر الذي ظلم كثيرا.

- المنهل -

بقلم: أ. د. محمد عمارة

- مصـر -

كان عمرو بن عبيد (٨٠ - ١٤٤هـ/ ٦٩٩ - ٧٦١م) ثاني اثنين - مع واصل بن عطاء (٨٠ - ١٣١هـ/ ٧٠٠ - ٧٤٨م) - بلورا وقادا تيار الاعتزال، وصاغا مقولات الفلسفة العقلانية الإسلامية.. وكان قائدا في الثورة التى قوضت بناء الدولة الأموية.. وفي المعارضة للدولة العباسية، تهتز له قوائم العروس، ويحسب له الخلفاء كل حساب.

وفي ذات الوقت، كان عمرو بن عبيد العابد، الذي حج من البصرة الى بيت الله الحرام، بمكة المكرمة، أربعين حجة في أربعين عاما، سيرا على قدميه، ومن خلفه راحلته، التى يقودها، حاملا عليها الضعفاء والفقراء!.

وكان الزاهد الذى تخشع قلوبنا أمام دعائه لربه الذى كان يقول فيه: «اللهم اغننى بالافتقار إليك! .. ولا تفقرنى بالاستغناء عنك! .. وأغنِّي على الدنيا بالقناعة، وعلى الدين بالعصمة».

ومع هذا الذى كان عليه عمرو بن عبيد - الذى رثاه وصلى عليه الخليفة أبو جعفر المنصور (٩٥ - ١٥٨هـ/ ٧١٤ - ٧٧٥م).. وهى سابقة لم تتكرر مع غيره - لأن الكل كان «يطلب صيداً.. إلا عمرو بن عبيد» - كما قال المنصور!.. مع كل هذا، وجدنا الخصومة الفكرية تذهب بأهل الحديث والسلفية النصوصية الى حيث تصنفه في «أهل الأهواء» حتى ليقول فيه الإمام الحنبلى «سيد الحفاظ» يحى بن معين (١٥٨ - ٢٣٣هـ/ ٧٧٥ - ٨٤٨م): «إنه كان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع»!!.

وهذا درس بليغ يدعونا الى التماس أفكار المفكرين في مقولاتهم ومقالاتهم التى كتبوها هم، وليس فيما كتبه عنهم الآخرون، مهما كان احترامنا لهؤلاء الآخرين.

لكن هذا الدرس - الذى تصل بداهته وقوته الى حيث يغنيان عن طول الكلام فيه - كثيرا ما يتخلف الوعى به والالتزام لمقتضياته في الكتابة عن مقولات ومقالات كثير من الأعلام والمفكرين، فيتوارث الخلف عن السلف الكثيـر من الأباطيل والأوهام، التى ألصقها الخصوم بخصومهم الفكريين.

والنموذج الذى تطمح هذه الصفحات الى سبر أغوار الحقائق والأوهام التى شاعت عنه، والتصقت به - قديما وحديثا - رغم كثرة ما كتب عنه - هو أبو حيان التوحيدى، على بن محمد بن العباس (٣١٠ - ٤١٤هـ/ ٩٢٢ - ١٠٢٣م).. والذى نريد عرض آراء الآخرين فيه على ما في مصنفاته من آراء.. بل وتحقيق ما له وما ليس له في هذه المصنفات!.

فكما اختلف القدماء في تاريخ ميلاد التوحيدي ما بين عام (٣١٠هـ/ ٩٢٢م) وعام (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) اختلفوا في الموطن الذى نشأ فيه، فقيل: شيرازى.. وقيل واسطى .. وقيل نيسابورى.. وقيل بغدادى... بل لقد اختلفوا حتى في تاريخ وفاته ما

**** عقائد ومذاهب وفكر المفكرين تؤخذ وتصنف من أقوالهم هم أنفسهم.. وليس من أقوال وقراءة الآخرين عنهم.**

بين عام (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) وعام (٤١٤هـ/ ١٠٢٣م).

وإذا كانت آثار الخلاف والاختلاف في الموطن وفي تواريخ الميلاد والوفاة طبيعية - وفق ملابسات ذلك العصر - وهي مما لا يقلب الموازين في تحديد مكانة المفكر ضمن تيارات الفكر ومذاهب التراث.. فإن الخطر الأكبر إنما يأتي إذا كان الخلاف والاختلاف في عقائد المفكر الذى ندرسه.. ويصبح هذا الخطر خللا وكارثة إذا نحن ظللنا نلتمس عقائد ومذاهب مفكرينا فيما كتبه عنهم القدماء، من مصنفى المقالات والطبقات، وليس في الفكر الذى أودعه هؤلاء المفكرون المصنفات التى صنفوها!.

وسيظل غريبا ومعيبا ألا تعى دراساتنا الحديثة والمعاصرة «الأبعاد المذهبية» في التقويمات الفكرية التى جاءت عن أعلامنا في كتب المقالات وموسوعات الطبقات.

ولعل نموذج أبى حيان التوحيدى أن يكون درسا بالغ الدلالة في هذا المقام..

لقد بدأ حديث القدماء عن عقيدة التوحيدى وفكره ومذهبه، باتهام ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (٣٢٩ - ٣٩٥هـ/ ٩٤١ - ١٠٠٤م) للتوحيدى بالكذب وقلة الدين والورع، والقدح في الشريعة والقول بالتعطيل (أي نفي الصفات عن الله، سبحانه وتعالى)[١].

وعلى درب هذه الإدانة سار ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين (٥١٠ - ٥٩٧هـ/ ١١١٦ - ١٢٠١م)، الذى قال: «زنادقة الاسلام ثلاثة: ابن الراوندى، والتوحيدى، وأبو العلاء المعرى. وشرهم على الإسلام التوحيدى، لأنهما صرحا، وهو لجلج [لم يُبيِّن] ولم يصرح»[٢].

ومع ابن فارس وابن الجوزى سار الحافظ الذهبى، أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧٣ - ٧٤٨هـ/ ١٢٧٤ - ١٣٤٨م) الذى رمى التوحيدى بسوء الاعتقاد والضلال والإلحاد[٣]..

وعلى ذات الدرب سار الخوانسارى، محمد باقر الموسوى (١٢٢٦ - ١٣١٣هـ/ ١٨١١ - ١٨٩٥م)، الذى قال: «كان التوحيدى كذابا، قليل الورع»[٤].

وفي مقابل هذه النماذج لاتهام التوحيدى في

عقيدته، والتجريح لمذهبه، نجد موقف ابن النجار، محب الدين، أبو عبد الله، والذى عاصر ابن الجوزى، وسمع منه، لكنه خالفه في رأيه، فقال عن التوحيدى: «كان أبو حيان فاضلا لغويا نحويا شاعرا، له مصنفات حسنة، وكان فقيرا صابرا، متدينا، حسن العقيدة»[٥].

وعلى درب الثناء على التوحيدى، ورفض اتهامه في اعتقاده سار ياقوت الحموى (٥٧٤ ـ ٦٢٦هـ/ ١١٧٨ ـ ١٢٢٩م)، الذى ارتفع بالتوحيدى الى الذروة، فقال: إنه «شيخ الصوفية، وفيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام، ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء.. فرد الدنيا الذى لا نظير له ذكاء وفطنة، وفصاحة ومكنة، كثير التحصيل للعلوم في كل فن، واسع الدراية والرواية»[٦].

ومع المدافعين عن التوحيدى، وقف السبكى، تاج الدين، عبد الوهاب بن على (٧٢٧ ـ ٧٧١هـ/ ١٣٢٧ ـ ١٣٧٠م)، الذى تحدث عن التوحيدى ـ وقد ترجم له في طبقات الشافعية ـ فقال قول الباحث في القضية الخلافية: «ولم يثبت عندى الآن من حال أبى حيان ما يوجب الوقيعة فيه. ووقعت على كثير من كلامه، فلم أجد فيه إلا ما يدل على أنه كان قوى النفس، مزدريا بأهل عصره، ولا يوجب هذا القدر ان يُنال منه هذا النيل»[٧].

أما الحافظ ابن حجر العسقلانى، شهاب الدين أبو الفضل (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ/ ١٣٧٢ ـ ١٤٤٩م) فلقد اكتفى بأن نقل آراء الذين اتهموا التوحيدى والذين برأوه.. نقل قول الذين قالوا: إنه «كان كذابا، قليل الدين والورع، مجاهرا بالبهت، تعرض لأمور جسام من القدح في الشريعة والقول بالتعطيل».. وقول الذين قالوا: «إنه كان فاضلا.. فقيرا، صابرا، متدينا، حسن العقيدة»[٨].

تلك هي «خارطة» آراء الأقدمين في أبي حيان التوحيدى، انتقلت متناقضاتها الحادة ـ ما بين الزندقة والتصوف ـ مرورا بالفلسفة والكلام والاعتزال ـ الى مؤلفات المعاصرين عن التوحيدى ـ مع غيبة المنهج الذى يفسر هذه المتناقضات في ضوء «العامل المذهبى» لأصحابها.. والذى ينتقل بمنطلقات التقويم للرجل من آراء كتاب المقالات والتراجم فيه، الى مقالاته هو فيما صنف من مؤلفات.

**** الانتماء الفكري والمذهبى للدارس يؤثر على نتائج ومستخلصات آرائه.**

ذلك أن الوعى بدور «العامل المذهبى» لأصحاب هذه الآراء، ودور التكوين الفكرى والتجربة الحياتية لكل منهم، كفيل بحل ألغاز هذه المتناقضات.

فابن فارس، الذى بدأ سلسلة

** أبو حيان التوحيدي يحتاج لدراسة منصفه بين القادحين والمادحين.

اتهام التوحيدى في عقيدته.. كان معاصرا لأبى حيان، يساكنه في مدينة «الرى»، حيث كان الوزير الصاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥هـ/ ٩٣٨ - ٩٩٥م)..

وكان ابن فارس أستاذا للصاحب بن عباد.. بينما كانت للتوحيدى تجربة مرة مع الصاحب، الذى أراد حبس التوحيدى على مكانة «الناسخ - الورّاق»، وحال بينه وبين تجاوز هذه المهنة - التى كان يسميها التوحيدى «مهنة الشؤم»! - وانتهت تلك التجربة المرة بفرار التوحيدى من وعيد ابن عباد، الذى هجاه التوحيدى هجاء لا أخلاقيا - مع ابن العميد - في كتابه (مثالب الوزيرين).

هذا هو موقع ابن فارس من أبى حيان..

أما ابن الجوزى، فكان حنبليا.. من أهل الأثر.. الذين يضيقون بأهل الرأى.. فما بالنا إذا كان هذا «الرأى» الذى امتلأت به مصنفات التوحيدى جامعا لآراء الفلاسفة والمناطقة - على مذهب أرسطو - وإخوان الصفا، الذين مزجو الأفلاطونية بالإشراقية الباطنية الغنوصية بالاسلام؟!.

ومثل ابن الجوزى - في التزام مذهب المحدّثين، أهل الأثر - كان الحافظ الذهبى - رغم أنه كان شافعيا في الفقه - علم الفروع - .

أما الخوانسارى، فلقد جعله تشيّعه خصما للتوحيدى، الذى اخترع «رسالة السقيفة» ، مفضلا فيها أبا بكر الصديق على علي بن أبى طالب، رضى الله عنهما - وهو مَنْ يناصبه الشيعة كل وأشد العداء - .

أما الذين دفعوا عن التوحيدى اتهامات الحنابلة وأهل الأثر والمحدثين.. فمنهم ابن النجار، الذى كان شافعى المذهب، كالتوحيدى.. وكان مؤرخا، ليس طرفا في صراعات المتكلمين، فهو الى أهل «الرأى» أقرب.. وكذلك كان السبكى - الشافعى، الذى أرخ لطبقات الشافعية - ومنهم التوحيدى - .. والذى - وهذا هام جدا - عانى من تعصب شيوخ عصره، الذين اتهموه هو الآخر في عقيدته! - .. فقرأ التوحيدى، وكتب مدافعا عن عقيدته كتابة الباحث الخبير، عندما قال: «ولم يثبت عندى الآن من حال أبى حيان ما يوجب الوقيعة فيه، ووقعت على كثير من كلامه فلم أجد فيه إلا ما يدل على أنه كان قوى النفس، مزدريا بأهل عصره، ولا يوجب هذا القدر أن ينال منه هذا النيل».

أما ياقوت الحموى، الذى قرأ الكثير من كتابات التوحيدى - وكان له فضل حفظ العديد من

هذه الكتابات - فلقد كانت قراءاته هذه مصدرا للصورة المشرقة التى قدمها عن جهد التوحيدى ومكانته.. كما وقفت وراء ذلك الإنصاف أوجه للشبه بين ياقوت وبين أبى حيان.. فكلاهما لم يكن صاحب حسب ونسب - فياقوت كان رقيقا أعتقه سيده - وأبو حيان كان من غمار الناس، حتى إنه كان - كما قال ياقوت «عمدة لبنى ساسان» - أى قائدا لجماعة من المتسولين[٩].. وكانا - التوحيدى وياقوت - يعيشان من التكسب بحرفة «الوراقة .. ونسخ المخطوطات» وكانا - أيضا - من أهل الجمع والرواية للأفكار والأخبار، أكثر مما كانا من أهل الإبداع والاجتهاد والابتكار.

تلك هى ثمرات الوعى «بالخارطة المذهبية والحياتية» لأصحاب تلك الآراء المتناقضة والمتضادة، التى تجاورت في كتابات القدماء عن أبى حيان التوحيدى، والتى انحدرت من كتب القدماء الى كتابات المعاصرين، دون تفسير لهذا التناقض والتضاد.

وإذا كانت تلك هي ثمرة الوعى بالعامل المذهبى والخبرة الحياتية والتكوين الفكرى لكتاب الترجمات.. فإن الفيصل الأول والأهم في تحقيق الاتهامات، بل والمناقب والفضائل، إنما هو لكتابات الأعلام الذين توجه إليهم الاتهامات، أو تكال لهم المدائح وآيات الثناء.

وهذا هو الذى تطمح إليه هذه الدراسة، وصولا الى فصل المقال فيما أحاط بالتوحيدى من حقائق ومن أكاذيب وأوهام!.

فماذا تقول كتابات التوحيدى عن الاتهامات التى اتُّهم بها؟.. وعن صفات وملكات المديح والإطراء التى أضفيت عليه؟.. لعلنا نسهم بذلك في التنبيه على عناصر منهاج موضوعى للتعامل مع التراث.

- للدراسة صله -

الهوامش :

(١) السبكى (طبقات الشافعية الكبرى) جـ ٥ ص ٢٨٧، تحقيق: د. محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو، طبعة القاهرة ١٩٩٣م.

(٢) انظر مقدمة تحقيق (المقابسات) ص ٨ لمحققها: محمد توفيق حسين، طبعة بيروت ١٩٨٩م - وهو ينقل عن السيوطى (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) ص ٣٤٩ طبعة القاهرة ١٣٢٦هـ.

(٣) الذهبى (ميزان الاعتدال) جـ ٤ ، ص ٥١٨، تحقيق: على البيجاوى. طبعة القاهرة ١٩٦٣م. انظر: د. أيمن فؤاد سيد مجلة (فصول) - المجلد الرابع عشر، العدد الثالث - خريف ١٩٩٥م.

(٤) د. ابراهيم الكيلانى (أبو حيان التوحيدى) ص ٢٦، طبعة دار المعارف - القاهرة - سلسلة «نوابغ الفكر العربي» والنقل عن (روضات الجنات) جـ ٤ ص ٢٠٥.

(٥) مقدمة تحقيق (المقابسات) ص ٨ - والنقل عن ابن حجر العسقلانى (لسان الميزان) جـ ٦ ص ٣٧٠ طبعة الهند ١٣٢٩هـ.

(٦) المرجع السابق، ص ٨ - والنقل عن (معجم الأدباء) جـ ١٥ ص ٣٨٠، ٣٨١، طبعة القاهرة ١٩٢٨م.

(٧) د. ابراهيم الكيلانى (أبو حيان التوحيدى) ص ٥٣ - والنقل عن (طبقات الشافعية) جـ ٥ ص ٢٨٧.

(٨) مقدمة تحقيق (المقابسات) ص ٨ - والنقل عن (لسان الميزان) جـ ٦ ص ٣٦٩، ٣٧٠.

(٩) (معجم البلدان) جـ ١٥ ص ٥.

من قراءات النص:

الإنزياح في قصيدة (عزاء على بطاقة تهنئة) لأحمد مطر

ينزع النص الأدبي الى تحقيق هويته من خلال الاختلاف عن الخطاب الشائع، والتعالي على مرتكزات التعبير التقليدي مستنكفا بذلك عن كل ما هو قار ثابت، كأنه يؤسس ذاته وجماليته في ـ تمرده عن التأثير القواعدي/ النحوي ـ ، والتواصل اللساني، فيتحول الى مغامرة داخل اللغة تهشم عناصرها ثم تعيد بناءها في حلة جديدة فـ (الكلمة الشعرية هي في نفس الآن موت وانبعاث للغة)[١].

وهكذا يغدو النص الأدبي لغة خاصة ضمن اللغة العامة، وخطاباً غير عادي ضمن الخطابات التواصلية العادية، وقد ظهرت مصطلحات عديدة تبحث عن خصائص هذا الكائن اللغوي المتميز منها: الانحراف (Deviation)، المخالفة (Infrac-tion)، الخرق (Transgression) الانتهاك (Viol) وكل هذه التسميات تحمل تلوينات دلالية مختلفة لكنها تقارب مصطلحا شائعا وهو الانزياح (L'ecart) وقد عرف باعتباره حدثا لغويا جديدا يبتعد بنظام اللغة عن الاستعمال المألوف، وينحرف بأسلوب الخطاب عن السنن اللغوية الشائعة[٢] وقد ارتبط هذا المصطلح بجدلية لغة النثر ولغة الشعر.

فالشعر هو أكثر الفنون الأدبية ولعا بالزيغ والمخاتلة، وتخطي الثوابت السائدة «فالنثر هو بالتحديد اللغة الطبيعية أما الشعر فلغة الفن أي لغة مصنوعة.. وكون النثر هو اللغة الشائعة يمكن أن نتحدث عن معيار تعتبر القصيدة انزياحاً عنه»[٣].

فالنثر هو لغة الخلق الطبيعي، لغة البساطة العفوية المباشرة، والشعر هو لغة الخلق الفني، لغة المهارة، الحذق، الإبداع ومن هنا تطرح إشكالية المعرفة والتذوق انطلاقا من نمط العلاقة التى يقيمها الدال بالمدلول، ففي النثر نلمس مطابقة بين الدال والمدلول فتثير لدى القارىء استجابة عقلية وتمكنه من معرفة البنى الموضوعية التى يطرحها الناثر، أما في الشعر فالدال يتجاوز المعنى المفهومي الى المعنى الانفعالي ليحقق الاستجابة العاطفية لدى القارىء ويمكنه من تحصيل انفعال/ تذوق بالبنى الشكلية التى يطرحها الشاعر، فكأن انتقاء المطابقة ضرورة

بقلم : مديحة عتيق - الجزائر

لتحقيق الإيحاء، وسلبية المعرفة شرط لإيجابية التذوق، ولعل هذا ما يبرر الغموض الذي يتحسسه القارىء في مواجهته نصا شعريا يتحدى أي منطق، ويحارب كل الثوابت؛ أولها وأخطرها النحو «فهو الركيزة التى تستند إليها الدلالة فبمجرد ما يتحقق الانزياح بدرجة معينة عن قواعد ترتيب الكلمات، تذوب الجملة وتتلاشى قابلية الفهم»[٤].

فالانزياح يجعل النص التباساً إبداعيا تتغير قابلية فهمه في حركة زئبقية من قارىء الى آخر؛ فهو يجازف بالنص ليصل الى درجة خطيرة تهدد بالطلاق بين المؤلف والقارىء وتفقد النص انتماءه للغة، «فاللغة تتوقف عن أداء وظيفتها عندما يتخطى التعدد الدلالي حدّاً معيناً»[٥]، لذا على الشاعر أن يحقق الوظيفة الشعرية دون أن يغيب الوظيفة التواصلية، بل تجعل التشظي اللساني والدلالي الذي يسود نصه وسيلة/ مدعاة للإيقاع بالقارىء لا لنفوره، فالمعاني التى لا تستجيب والدلالات التى تستعصى على الإمساك هي أدوات الشاعر ليوتر اطمئنان القارىء تاركا له المبادرة التأويلية، ليقول هو ما سكت عنه وليصرح بما لّمح إليه بل وليقوّله ما لم يقل.

إن رغبة الشاعر في تعتيم رسالته رغبة غير مجانية، إنه يسعى الى تحريك روح المغامرة لدى قارئه ليجعل منه سندبادا أو قارئا مغامرا يقوم بعبء الحفر في طبقات النص والغوص في أعماقه رغبة في كشف كنوزه الثمينة وجواهره المكنونة، ليصل إلى النشوة الجمالية بعد رحلة مضنية شاقة تنفي عنه طفيلية التلقي، وتذيقه حلاوة الأسفار والبحث رغم المعاناة التى كابدها أثناء لحظات التلقي الشعري.

وأحمد مطر أحد الشعراء المعاصرين الذين استوعبوا هذه الاستراتيجية في تكييف القارىء مع جو النص، لذا سنتعرض الآن الى مقولات التحليل لقصيدة «عزاء على بطاقة تهنئة» من زاوية عدوله عن الكلام الشائع وانحرافه عن المألوف.

مقولات التحليل :

العنوان : يعتبر العنوان علامة دالة على النص تتصدره وتعرفه وتؤطر كيانه اللغوي والدلالي بل هي

**** الابداع لغة خاصة في داخل اللغة.**

**** الانزياح يبتعد بنظام اللغة عن الاستعمال المألوف.**

**** النثر: لغة البساطة العفوية المباشرة.**

**** الشعر: لغة الحذق والابداع والمهارة.**

**** الغموض أحياناً قد يستفز القارىء لاضافة مشهد ابداعي جديد للقصيدة.**

بمثابة لافتة إيضاحية تضيء مدلولاته وتكشف إيحاءاته «فالعنوان هو المفتاح الذهبي الى شفرة التشكيل أو الإشارة الأولى التي يرسلها المبدع الى المتلقي»[٦] لكن تجلّي عنوان هذه القصيدة في صيغة تلفظ كل تلك الفرضيات بما تفيض من مجازات وتجاوزات.

«عزاء على بطاقة تهنئة» عنوان يحمل بذور غربته، يتناقض مع ذاته بما يسوده من تبعثر لفظي ودلالي؛ إذ اتحد في صلبه المتناقضان وتصالح المتضادان (عزاء، تهنئة) بشكل يثير انفعال القارىء وفضوله حين يفاجأ في أول لقاء له بالنص بهذا الانحراف الأسلوبي والخروج عن النمط التعبيري المتعارف عليه مما يضعف في دور الوظيفة المرجعية ويجعل المعنى مشوشا، غامضا، مبهما، زاده غموضا وإبهاما توالي النكرات في صيغة العنوان (عزاء، بطاقة، تهنئة).

وكأن أحمد مطر يصر على قطع جسور التواصل بين نصه وقارئه، نكاد نتيقن من ذلك لولا وجود همزة وصل بين المتناقضين نقصد كلمة (بطاقة) والتى يمكن قراءتها بأخطاء صحيحة، فلعلها وردت كعلامة سيميائية تجسد التمظهر المادي لفعل الكتابة، باعتبارها ممارسة إبداعية، أو حالة تجاوزية للثوابت يباح فيها كل شيء بما في ذلك التناقض والتشويش والانحراف والعدول.. وكأن كلمة «بطاقة» هي شفرة خاصة للمتلقي تنبهه الى رغبة أحمد مطر في ممارسة الكتابة كهاجس نزوع تجارب الأشكال والمضامين السائدة من أجل الوصول إلى إنجاز فني يجعلها لا تقول ولا تعي إلا ذاتها»[٧].

إذا ما تجاوزنا العنوان الى المتن نجده مشحونا بزوبعة من التساؤلات والتنهدات:

لمن نشكو مآسينا

ومن يصغي لشكوانا

ويجدينا ؟

أنشكو موتنا ذلا لوالينا؟.

وهل موت سيحيينا؟

وردت هذه التساؤلات في قوالب لغوية عادية لا تخرج عن العرف العام للتعبير سواء في مستواها التركيبي أو الدلالي.

ولعلها محاولة من الشاعر لخلق جو من المصالحة بين النص والمتلقي ليشاركه هذا الأخير بتجربته ومكابدته ومعاناته، يؤكد ذلك طغيان صيغة (النحن) على المقطع السابق لإضفاء جو من القلق الجماعي والمعاناة المشتركة، تمظهرت جليا في آهات متواصلة اضطر الشاعر إلى إيقافها بترك فضاء نصي فارغ/ فراغ مطبعي تتخلله نجمتان فقط (**) لعله إشارة الى استغراق زمني وجيز استغرقه الشاعر ليستعيد أنفاسه وفي رسم النجمتين إشارة الى الوقت الراهن وتشخيص الحالة وهذا ما أنجزه أحمد مطر في المقطع الموالي:

قطيع نحن والجزار راعينا

ومنفيون نمشي في أراضينا

ونحمل عرشنا قسرًا بأيدينا

ونعرب عن تعازينا لنافينا[٩]

يبدو الشاعر في هذا المقطع كأنه يمارس لونا من ألوان الهذيان الواعي بما يقترفه من كتابة استفزازية/ انقلابية تقفز فوق تضاريس الكتابة النمطية وتتلذذ بانتهاكاتها المحببة للسنن اللغوية المخزونة في ذهن القارىء الذي يلمس تعايشا سلميا بين ثنائيات ضدية تكاد تخلخل يقينياته وتقوّض أمنه المعرفي واللساني حول مفاهيم وجودية وفلسفية كمفهوم (المكان) الذي يتماهى معناه ضمن «النفي، اللانفي» في قول الشاعر:

«ومنفيون نمشي في أراضينا»

كما يتزعزع مفهوم «الزمان» بين قطبي الحياة والموت في قول الشاعر:

ونحمل نعشنا قسرًا بأيدينا.

كما يضطرب مفهوم الحدث / الفعل في قوله:

ونعرب عن تعازينا لنافينا.

تفضح هذه المفارقات الضدية الأجواء العبثية التى يعيشها أحمد مطر حيث يختلط الشك باليقين وتنفجر الذات المنكسرة بهلوسات تخترق هذا الواقع الضبابي الكثيف، كما تكشف هذه المفارقات ولع أحمد مطر بكسر النمط المنطقي للمعاني وتجاوزه النظرة الأحادية للأشياء والمفاهيم، متخذا من الإنزياح وسيلة لإثراء تجربته الإبداعية وتلك خاصية يطلق عليها جاكيبسون «تكامل الأضداد» أو «تولد اللا منتظر من خلال المنتظر» مما يسهم في خلق نص مشحون بالإيحاءات والرموز «وينطوي على شحنات دلالية لا تتوفر على أكثر من أطياف المعاني أشبه بالأطياف الحلمية شفافة غير قابلة للتحديد لكنها تستطيع أن تشغل حيزا (زمكانيا) من خيال القارىء بما يسهم به من إثارة الوعي»[١٠] يصل النص المطري الى تمرده واجتياحه اللامتناهي حين يخترق الشاعر طابوهات المقدس المفتعل والمتوارث وذلك في قوله:

فوالينا ، أدام الله والينا

رآنا أمة وسطا

فما أبقى لنا دنيا ولا أبقى لنا دينا[١١].

**** القراءة السطحية للقصيدة تفقدها الكثير من مضمونها.**

**** العنوان هو المفتاح الذهبي لشفرة التشكيل.**

**** معنى النص يكمن في تعدد أنظمته وتنوع قراءاته.**

يستحضر هذا المقطع الآية الكريمة {وجعلناكم أمة وسطا} التى تحضر حضورا غيابيا في هذا النص بعد أن جردت من دلالاتها الحقيقية كرمز لمعاني الاعتدال والتوسط والتسامح.. لتدل في سياقها الراهن عن معاني اللانتماء، الافتقاد والاغتراب.. لقد حقق هذا الاختلاف بين البنية اللغوية الماثلة أمام القارىء والبنية اللغوية القائمة في حسه اللغوي مقام المرجع النموذجي انزياحاً دلاليا خلاقا دفع بالنص المطري الى فضاءات صمته وتكتمه فلعل في إلماحة الشاعر إلى النص الشرعي إشارة غير مباشرة لإدانته القاسية لممارسات السلطة القمعية التى تتخذ الشرع والدين ذريعة لتضييق الخناق على الرعية وسلبهم حريتهم في أمور دينهم ودنياهم، تتضح هذه الإدانة رويدا في المقطع الآتي:

ولاة الأمر ما خنتم ولا هنتم
ولا أبديتم اللينا
جزاكم ربنا خيرا
كفيتم أرضنا بلوى أعادينا
وحققتم أمانينا
وهذي القدس تشكركم
ففي تنديدكم حينا
وفي تهديدكم حينا
سحقتم أنف أمريكا
فلم تنقل سفارتها
ولو نقلت، معاذ الله ،
لو نقلت
... لضيعنا فلسطينا
ولاة الأمر هذا النصر يكفيكم .. ويكفينا
تهانينا !![١٢]

تكمن شعرية هذا المقطع في انحرافه عن سياق النص إذ نلمس مفارقة بين أول المقطع وآخره فعبارة (لضيعنا فلسطينا) انعطفت بالقصيدة انعطافا حادا إذ جاءت في سياقها الظاهري بصورة غير متوقعة تأسيسا على ما قيل قبلها مما أسهم في توتر اطمئنان القارىء الذي فوجىء بهذا التنامي اللامنتظر للفعل الشعري الذي ساهم جماليا في تعميق الإحساس لدى المتلقي بالمرارة واليأس والاغتراب، وما يؤصل هذا الإحساس طغيان حرف مميز، حرف النون، هذا الحرف السحري العجيب

الذي طالما ارتبط بقدرية الأمر إذ نجده في صيغة «كن فيكون» ليرادف معاني القدرة والإبداع والإرادة الفولاذية حتى قيل قديما:

واسترزق الله مما في خزائنه
فإن رزقك بين الكاف والنون[١٣]

كما ارتبط هذا الحرف بنبي كريم حقق ذاته من خلال فعل كلامي مقدس (التسبيح) فقيل ذو النون بل هو - النون - من الحروف التى يستعزم بها ويصدر بها النصوص المقدسة {ن والقلم وما يسطرون} لكن يتجرأ أحمد مطر ليكسر الطوق الحصين فيجرّد الحرف من ردائه المثالي ومن قيمته التذكارية منحرفا به عما وضع له، ليشحنه في سياقه الجديد حمولة تراجيدية توحي بكل دلالات التشظي والانشطار والتمزق.

عموما يمكن القول إن الفعل /الحدث الشعري في هذه القصيدة ينمو بشكل تصاعدي منطلقا من مجموعة تساءلات صيغت في قوالب لغوية محايدة ذات الدرجة الصفر من التعبير المجازي لتصل إلى بنى لغوية مشحونة بطاقات إيحائية مكثفة الدلالة تكشف محاولة أحمد مطر في الانعتاق من فعل التشرنق في فضاء المألوفية/ العادية، وامتلاكه قدرة على الزيغ والمخاتلة، فلغته تعمد الى العدول أو الانحراف فتتخلى عن بذاختها وعليائها لتصبح أقرب إلى الهجاء بإيقاعها وقاموسها ومفرداتها»[١٤].

يؤمن الشاعر بأن «معنى النص لا يكمن في تعدد تفاسيره وترجماته وإنما يكمن في تعدد أنظمته وتنوع قراءاته وفي قدرته غير المحدودة على الاستنساخ الرائري»[١٥].

هذا الاعتقاد دفعه الى أن يتوسل بكل وسيلة لخلق نص متميز ينشد هويته في الاختلاف ويحقق ذاته في تفرده، وتعاليه، وتموقعه فوق العادي والمباشر.

الهوامش :

(١) جون كوهين: بنية اللغة الشعرية ت محمد الولي العمري، دار طوبقال للنشر، المغرب ١٩٨٦، ص ٢١٤.
(٢) نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب ج١، دار هومة، الجزائر، دون ت، ص ١٨٦.
(٣) جون كوهين: بنية اللغة الشعرية، ص ٢٣/٢٤.
(٤) المرجع السابق، ص ١٧٨.
(٥) المرجع السابق، ص ١٩٩.
(٦) د/ فوزي عيسى : تجليات الشعرية في الشعر العربي المعاصر، ص ٨٥.
(٧) الطاهر روابنية : الكتابة وإشكاليات المعنى، مجلة التبيين، العدد ٦ ، الجاحظية، الجزائر، ١٩٩٣م، ص ٨٨.
(٨) أحمد مطر : لافتات (١) يوليو، ط (٢)، لندن، ١٩٩٧، ص ١٣٤.
(٩) أحمد مطر : لافتات (١)، ص ١٣٤.
(١٠) الطاهر روابنية : الكتابة وإشكاليات المعنى، ص ٨٧.
(١١) أحمد مطر : لافتات (١)، ص ١٣٥.
(١٢) أحمد مطر : لافتات (١)، ص ١٣٥ - ١٣٦.
(١٣) د/ خليل احمد خليل: مضمون الأسطورة في الفكر العربي، دار الطليعة، ط (٣)، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م، ص ٥٠.
(١٤) د/ فوزي عيسى: تجليات الشعرية في الشعر العربي المعاصر، ص ٩٦.
(١٥) R. Barths : S.Z. ed. Seuil, Paris, P 152.



مراجعات

المرأة واللغة

« مقارنات بين أحاديث النساء »

لقد نظر الباحثون الموضوعيون الى القضية نظرة علمية تعني برصد الظواهر وتحليلها دون أن يكون لهم هدف سابق يتجه الى إثارة الصراع اللغوي بين الرجل والمرأة.

ففي هذه الدراسة مقارنة بين النساء في فرنسا وانجلترا والنساء في اليابان في مجال اللغة.. ففي فرنسا وانجلترا تتجنب النساء الكلمات المولدة، ثم إنهن كثيرات الحذر من الابتعاد عن الصيغ المكتوبة، فإن الصوت (WH) لا يكاد يلفظ في انجلترا الجنوبية إلا في مدارس البنات، وعلى عكس ذلك نجد نساء اليابان أقل محافظة من الرجال سواء في قضية اللفظ أو في اختيار الكلمات والتعابير، وهناك ميل آخر لوحظ في لغة اليابانيات يتسع انتشاره بين الإنجليزيات والفرنسيات وهو استعمال الكلمات القوية والمبالغة في تشديد بعض الحروف من أجل التأكد، والنساء اليابانيات يفقن الرجال كثيرا في اعتمادهن الشديد على المقاطع التى يقصد منها التهذيب مثل (NI - 90 - 0)[١].

وفيما يتعلق بالتغيرات الصوتية التى تسببت في تعديل نظام الأصوات البريطاني دلت دراسات النحويين الإنجليز أن النساء أكثر تقدما في قضية اللفظ من الرجال[٢].

وهناك تغير معين يلاحظ في عدة لغات يبدو أن للنساء يدا كبرى في إحداثه حتى ولو لم يكنّ مسئولات وحدهن عن ذلك، هو الضعف الذى اعترى حرف «الراء» الذى كان قديماً يلفظ بقوة من طرف اللسان. ثم يقول الباحث: «وقد حاولت في مكان آخر أن أشير الى هذا الضعف الذى تحول إلى أصوات منوعة وأحياناً الى حذف كامل للحرف ناتج عن تغير في الحياة الاجتماعية، فصوت الراء المشددة المرتفع مقبول في الحياة العامة خارج المنزل ولكن الحياة داخل المنزل تفضل عامة العادات الكلامية الأقل ضجة. وكلما كانت هذه الحياة المنزلية راقية مالت الى التخفيف من الضجيج بأنواعه، حتى أصوات الكلام ينتابها التخفيف، وكان من نتائج ذلك أنه لم يعد يسمح لصوت الراء بإزعاج الأذن، فقد عمد إلى تلطيفه بطرائق مختلفة»[٣].

ويمضي هذا البحث في رصد الظواهر اللغوية عند المرأة في مجتمعات غربية فيتحدث عن انتقاء الكلمات عند المرأة وأن النساء في جميع البلدان تخجل من ذكر أسماء أجزاء معينة من الجسم أو ذكر أسماء وظائف طبيعية لهذا الجسم بنفس الطريقة المباشرة الجريئة التى يستعملها الرجال وخاصة الشباب منهم فيما بينهم، ولذلك تعمد النساء لإيجاد كلمات أو



بقلم : د. مصطفي عبد الواحد

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

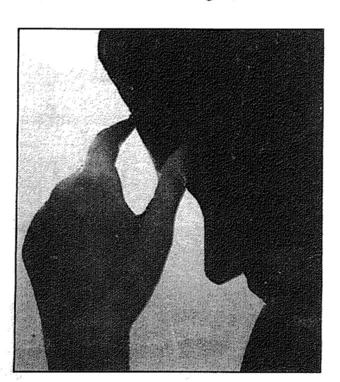
عبارات مهذبة وملطفة قد تصبح مع كثرة الاستعمال كالكلمات الأصلية الصريحة، وهذا ما يؤدي الى تجنبها والعمل على إيجاد كلمات مهذبة محلها. وهكذا دواليك[٤].

ويقول الباحث: «ومما لا شك فيه أن اشمئزاز النساء الغريزي من استعمال التعبيرات الخشنة والجافة وميلهن لتداول تعبيرات مُقَنَّعة وغير مباشرة كان لها أثر كبير بل عالمي على التطور اللغوي. ومثل هذا التأثير يمارس غالباً على نطاق خاص وضمن الأسرة نفسها[٥].

ويذكر الباحث أن هناك شاهداً تاريخياً على تعاون جماعة من النسوة - للقيام بمثل هذا الدور بصورة علنية جماعية في القرن السابع عشر في فندق «رامبويه» في فرنسا وقد ناقشت هذه الجماعة كل ما يتعلق بقضايا التهجئة وسلامة اللفظ والعبارة، وقد فضلت أولئك النسوة استعمال العبارات المتأنقة التى يمكن بواسطتها تجنب الكلمات الخشنة العامة. وقد كانت هذه الحركة نظيرة للموجة الأدبية التى عمت أوربا تحت أسماء متعددة. إلا أن هذه الجماعة من النسوة الفرنسيات تخطين في مطالبهن زملاءهن من الرجال، وذلك حين رغبن في التأثير في اللغة الدارجة كاستعمالهن عبارة «باب الدماغ» للدلالة على الأنف. أو عبارة «أداة التنظيف» للمكنسة وعبارة الرفيق الدائم للأموات والأحياء للدلالة على القميص، وقد أثار تصنعهن عاصفة من الضحك انصبت على رءوسهن وكادت مثل هذه الحذلقة أن تُنسى اليوم لولا هجاء «موليير» الخالد لهن في مسرحيته «نساء متحذلقات» و«النسوة العالمات».

ثم يقول: وبعيدا عن مثل هذا الغلو ليس لنا أن نجحد فضل المرأة في هذا الصدد. إن علينا أن نهنيء تلك الأمم، وبينها انجلترا، التى كان وضع المرأة الاجتماعي فيها مرتفعاً بحيث أتاح للغة - الانجليزية - أن تكون أصفى وأنقى مما قد تكون عليه، لو أن الرجال وحدهم كانوا أصحاب الشأن المطلق في اللغة[٦].

ويتتبع الباحث خصائص المفردات في لهجة المرأة .. فيرى أن مفردات المرأة بصورة عامة محدودة أكثر من مفردات الرجل. فالمرأة تفضل عادة أن تسير في حقل اللغة الرئيسى متحاشية كل ما هو غريب أو



** بعض الكتاب عملوا على خلق صراع لغوي موهوم بين الرجل والمرأة.

**** النساء يملْنَ الى استخدام التلميح والإشارة، والكلمات الخفيفة النطق.**

**** المرأة ذاكرة الجماعة ومكتبتها.**

**** المرأة اكثر رغبة في التحدث، وأشدّ الحاحاً فيه من الرجل.**

خارج عن موضوعها.

أما الرجال فإنهم يعمدون الى صوغ كلمات وتعابير جديدة أو إحياء التعابير القديمة، إذ كانوا بهذه الوسيلة يتمكنون أو يظنون أنهم يتمكنون - من إيجاد تعابير أكثر دقة وضبطاً لأفكارهم.

أما المرأة فإنها تتبع طريق اللغة الرئيسي في حين يبتعد الرجل عن مثل هذا الطريق ليسلك أحيانا مسلكا ضيقاً أو ليطرق طريقاً جديدا.

ومن هنا يلاحظ هذا الباحث أن الذين تعودوا قراءة الكتب الأجنبية يجدون صعوبة في قراءة الكتب التى كتبها رجل أكثر من تلك التى كتبتها امرأة .. وذلك لاحتواء الأولى على كلمات غريبة ولهجات متنوعة ومصطلحات فنية. ولذا فعلى هؤلاء الذين يريدون تعلم لغة أجنبية أن يعودوا أنفسهم أولا قراءة روايات كتبتها نساء، لأن تلك الروايات تهيىء لهم تعلم التعابير والمفردات الدارجة التى يحتاج إليها الأجنبي قبل غيرها والتى هي في ذاتها صلب تلك اللغة الأجنبية.

ثم قرر الباحث سبب هذه المفارقة بين مفردات الرجال ومفردات النساء بقوله: ويمكن أن نعزو هذه الخاصة عند النساء الى ثقافتهن التى كانت ومازالت الى يومنا هذا أقل شمولا وفنية من ثقافة الرجال[٧].

هذا ما يقرره هذا الباحث الغربي عن ثقافة المرأة.. ولو قال هذا القول باحث عربي عن ثقافة المرأة العربية لأوسعه هؤلاء المتظاهرون بنصرة المرأة لوماً وتأنيباً ولاتهموه بالرجعية والتعصب والجمود!

وهناك تجربة قام بها الأستاذ الأمريكي «جاسترو» فقد طلب من تلامذته وكان عددهم خمسة وعشرين من الذكور والإناث في صف واحد أن يكتبوا مائة كلمة مفردة بأقصى ما يستطيعون من السرعة، ثم حسبوا الزمن الذي تستغرقه كتابة هذه الكلمات، وكانت الحصيلة خمسة آلاف كلمة وكثير من هذه الكلمات متشابهة ولكن الاشتراك في التفكير كان أكثر عند النساء منه عند الرجال.

وبوجه عام كانت الخصائص الأنثوية التى كشفت عنها هذه الدراسة اهتماماً خاصاً بالظروف الراهنة والإنتاج الجاهز والزينة والفردية والمحسوس.. أما الرجل فقد أبان اهتمامه بالبعيد والبنّاء والمفيد والعام والمعنوي من الأمور. وقد أشار الأستاذ «جاسترو» إلى أنه ليس بين النساء كثيرات متفرغات لدراسة علم اللغة.

كما أشار الى أن المرأة أسرع من الرجل في النواحي اللغوية فهي أسرع منه في التعلم وفي السمع وفي الإجابة.

أما الرجل فهو أبطأ لأنه يتردد ويتفكر ويمضغ الكلمة ليتأكد من ذوقها.. وهو بذلك يهيىء نفسه لاكتشاف التشابه والتباين بين الكلمات، سواء في المعاني أو في الجرس مما يتيح له أن يحسن استخدام الأسماء والصفات في مجالها.

ثم يعلل الباحث تفوق النساء في سرعة النطق بكون مفرداتهن أقل اتساعا وأكثر تركيزاً من الرجال، كما يقرر أن المستوى اللغوي للمرأة هو مستوى الوسط، فالعبقرية اللغوية في أرفع درجاتها والعجز اللغوي في أحط درجة يندر وجودهما بين النساء. بينما كان أعظم الخطباء وأشهر الأدباء من الرجال. وبين هذين الطرفين تتحرك المرأة بلسانها الذلق الواثق القادر أبداً على تصريف الكلام ولفظه على أوضح وجه وأصفاه!

ثم يختتم حديثه بأن في أيامنا هذه تحدث تطورات اجتماعية هائلة قد تكون سبباً قوياً في تعديل العلاقة اللغوية عند الجنسين[٨].

المرأة هي التى تغذي الطفل وتنشئه وتعلمه الكلام بما لا تنفك تصبه في أذنيه من عبارات لها معنى أو ليس لها معنى، وتفعم له ذاكرته بالمحصول الأول من اللغة وتعد له أول ما يلزمه من الذخيرة في رحلة حياته؟!

فليست المرأة فقط عاملا لا يستهان به في تقرير اللغة الكلامية وصقلها، بل هي أيضاً أول معلم نتلقى هذه عنه ونحذقها منه[٩].

ثم يقول: «وكما أن المرأة كانت أحسن معاجم اللغة كذلك كانت أداة المحافظة عليها وتوريثها الأجيال التالية»[١٠].

وفي هذا الصدد نشير الى ما رواه الأصمعي وابن الأعرابي عن النساء الأعرابيات من فصيح اللغة مما امتلأت به كتب الأمالي والنوادر والمجالس.

ومن هنا يقول المازني: «المرأة كانت ذاكرة الجماعة ومكتبتها» إشارة الى الحكايات المتوارثة التى كانت تحفظها النساء وتقصها على الأطفال حين النوم أو عند السمر والسهر.

بل إنه تجاوز ذلك إلى أثر المرأة في توحيد اللغات أو نقل ألفاظ من لغتها الأصلية الى اللغات الأخرى، وذلك خلال فترات التاريخ التى كانت الحروب فيها تخلِّف أعدادا من الأسرى والسبايا، ويندرج في ذلك أثر الجواري في نشر مصطلحات لغاتهن الأصلية الى اللغة العربية.. فكيف يمكن مع هذا ادعاء أن الرجل استولى على اللغة وخلع عليها طابع الذكورة وحرم المرأة منها.

فأين كانت المرأة حين هذا الاستيلاء؟ وهل كانت بكماء لا تتكلم ولا تعبر عن ذات نفسها فعاشت هذه القرون المتطاولة بغير لغة وبغير تعبير؟!

« للموضوع صلة »

الهوامش :

(١) المرجع السابق ص ٢١٨. (اللغة العربية اضاءات عصرية للدكتور حسام الخطيب، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٥٥).
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق، ص ٢١٩.
(٤) المرجع السابق، ص ٢٢١.
(٥) المرجع السابق، ص ٢٢٢.
(٦) المرجع السابق، ص ٢٢٣.
(٧) المرجع السابق، ص ٢٢٥.
(٨) المرجع السابق، ص ٢٣٣.
(٩) قبض الريح للمازني، ص ١٨٦، المطبعة العصرية، القاهرة، طبعة قديمة دون تاريخ.
(١٠) المصدر السابق، ص ١٨٨.

آلاء

عُــروة وُثقى حَــبَــتْنا بالأمل
فــانطلقنا في رحــاب لا تُمل

غــدُنا الآتي رســمناه على
وردة يحــضُنُهــا فَيْءٌ وَطَلْ

نغـمُـرُ الدنيـا بفـيض لا يُرى
نكبتُ الشَّـوق فـتُـبـديه المُقل

يُبـحـرُ الموهنُ[١] في إشـراقنا
كلمــا بَدْرُ الدُّجى بالنُّور هـل

* * * *

اجتبـانا الفضلُ كي نكسُو الهوى
سُـؤدد المجـد، ولكن مــا عــدلْ

لا تـظُنُّـوا أنـنـا نـخــذُلكُم
فــوفــاء الحُــرُّ عــقــدٌ لا يُحل

سـيظلُّ العـهـدُ نبـعـا دافـقـا
صـدُّه الهـونُ[٢] كـمُـزن مـا هطل

ويظلُّ الوجـدُ نبـضـا مـوجـعـا
دائم النُّزف كـجُـرح مـا اندملْ

* * * *

نســألُ الماضي الذي ضـيـعنا
كيف نمضي!.. وإلى أين؟.. وهل؟!

كـيف سـرْنا في طريق سـدَّها
حاجزُ الخوف.. وكسفٌ .. ووجل!

إن جـعلنا الصَّمت جـسـراً بيننا
رابنـا الخـسفُ وإفــراطُ المُدلْ

أو تركْنا اليــأس يحـدو ركـبنا
فلقـد ضــاقتْ بنا كُلُّ السُّـبُلْ

* * * *

جــادت الأيامُ لكنْ ســاغـا
أنَّ حلْم العُـمْـر بدرٌ مـا اكـتـملْ

إن نزعنا النَّصْل من أعــمـاقنا
لا تلُومُـونا فــذا جُــهـدُ المُقلْ



شعر : أ. د. نور الدين صمّود

- تونـــس -

نحـتـمي بالعـزم مـا طال المدى

علّمنا نقـوى على الأمـــر الجلل

علمُونا الغـدر.. قـد نعـذُرُكُم!

إننا بالعــفـو عنكُم لـم نصل

* * * *

أيهـذا الفـجـر لا تتـرُكْ لنا

شُـعلة الوجـد، فـإنّا لم نزلْ

نســألُ الأقـدار في شـدّتنا

لمَ يُشـجينا الهـوى مُنذُ الازل؟

جــاءنا النور ولم نحـفل به

فـاسـتجـار الليل بالفـجـر المطلْ

دع لنا الجـذوة.. لا ترحل بهـا

فـهـوانا قـبلمـا جـاء ارتحلْ!

* * * *

نحـن عند الخطب طودٌ شـامخٌ

نركبُ الصّعب، ولا نخـشى الزلل

لـن نـردَّ النُّور عـن آفـاقنـا

طبـعُنا فـيضٌ على البـرِّ جُـبل

إن بدا الشـجـو علينا إنّنا

ما انهزمنا .. غيْر أنَّ السَّيف كَلْ

سُـدةُ العليـاء مـا ضـاقت بنا

إنّنا كُنّا.. وصـرنا .. ونظل..

* * * *

نهـتـدي بالله في غُـربتنا

فـالذي يهـديه ربِّي لن يضل

سـوف يُجـزينا وقـد طال السُّرى

واحـة شُطآنُهـا شـمسٌ وظل

وإذا الفـرحــةُ دقّت بابنا

فلهُ الأمـرُ إذا شـاء فـعلْ

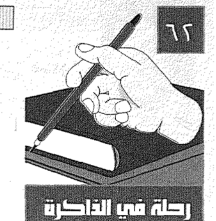
غـيـمـةُ الآلاء مـرَّت من هُنا

مُـزنُهـا غـوثٌ .. وجـودٌ.. وأمل

الهوامش :

(١) الموهنُ : نصف الليل أو بعد ساعة منه.

(٢) الهونُ : الرفق والتؤدة والوقار والتواضع وفي التنزيل العزيز {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً}.



الدكتورة بنت الشاطئ

عائشة عبدالرحمن

قال بشار بن برد عن الخنساء حين سُئل عن شعرها، تلك غلبت الفحول، وهو قول جدير بالدكتورة بنت الشاطىء، لأنها في نتاجها العلمى قد برزت تبريزاً واضحا، فكتبت في النقد والأدب والتفسير والبلاغة ما يكتبه المتخصصون من النابهين، وأصبحت مؤلفاتها العلمية مراجع ممتازة في المكتبة العربية، وهي في نتاجها الأدبي مبدعة غاية الإبداع، عالجت القصة والمقال الأدبى ونظمت الشعر، وكتبت الرسائل في نسق شفاف تلمس فيه حرارة العاطفة، وبلاغة التصوير، وقل من يسمو إليها من زميلاتها الجامعيات!


د. عائشة عبدالرحمن

كانت بنت الشاطىء قبل أن تتصل بكلية الآداب، صاحبة قلم، إذ ظهرت بواكيرها الأدبية في مجلة النهضة النسائية التى كانت تصدرها السيدة الفاضلة لبيبة[١] أحمد على مدى عشرين من السنوات، وهي زعيمة أصيلة من راعيات النهضة النسوية في مصر، النهضة الحقيقية ذات الميدان الشريف الطامح الى معالى الأمور، لم تعرف الحفلات البراقة، والاجتماعات الإعلامية ذات الاستهواء الأنثوي، ولكنها عرفت النضال في ثورة ١٩١٩م، واتخذت من الصحافة ميداناً لنهضة المرأة المسلمة، وما كادت مقالات الأديبة الناشئة (عائشة عبد الرحمن - بنت الشاطىء) تصل إلى مكتبها بالمجلة حتى فسحت لها مكاناً دائماً، وامتد الاتصال الأدبي بعد أن تركت بنت الشاطىء دمياط، والتحقت بكلية الآداب بالقاهرة، فتم التعارف الشخصى بعد أن سبق التعارف الأدبى، وصارت عائشة الروح الناهض بالمجلة. تشرف على الاختيار، وتتابع الطبع والمراجعة، ولا يخلو عدد من مقال اجتماعى ضاف يعالج شئون المرأة، تكتبه عائشة بروح المؤمنة الملتزمة التى نشأت في أسرة علمية ذات طابع دينى هادف، وقد عالجت الشعر حينئذ فنشرت قصائد ذات جودة وبهاء، ولكن النثر بفنونه المختلفة غلبها على الشعر، وإن ظلت روحه مرفرفة في بيانها القصصى، وبخاصة ما كانت تنشره بمجلة الهلال عن فضليات النساء!

لقد كنت في أول عهدى بالتدريس بالمعاهد الثانوية حين أصدرت بنت الشاطىء كتاب (بطلة كربلاء) زينب بنت الإمام، وقد قرأت الكتاب فبدا لي فيه رأى نشرته بمجلة الرسالة بتاريخ ١٩٥٢/٤/٧



بقلم : أ. د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية - مصر

العدد (٩٧٩) حيث قلت فيما قلت:

لقد بدىء الكتاب بحديث عن زينب بنت الرسول {صلى الله عليه وسلم} - لا زينب بنت على - (رضي الله عنه) فوضحت كيف تزوجت السيدة الكريمة بمكة، ثم تركتها الى المدنية مهاجرة لدى والدها العظيم، وكيف وقع الزوج أسيرا يوم بدر ثم افتقدته زوجته الحبيبة فأطلق، وعاد ثانية الى المدينة مسلما ليصحب زوجته! وكل ذلك قد شغل فراغا كبيرا من الكتاب لتوافق السيدتين في الاسم فقط! وكنّا نتجاوز عن المؤلفة لو أسهبت في حديثها مرتين أو ثلاثاً، بلا مناسبة ملحة، ولكنها تمضى في الكتاب على هذه الوتيرة فما تكاد تلم بموقعة أو حادثة حتى تسهب في تسجيلها وتحليلها، لأهون سبب، وأضعف داع، مما جعلنى أعتقد أن الدكتورة الجامعية قد ظلمت كتابها ظلما عنيفا، حين أسمته (بطلة كربلاء) وماذا عليها لو استبدلت به عنوانا ينطبق على مدلوله، فلا تصدم القارىء بأنباء تعدها دخيلة غريبة، ولكن المؤلفة أرادت أن تتحدث في غير موضوع!.

ومضى المقال ينبه الى استطرادات لا داعى لها، وإلى أساطير زيدت في تاريخ السيدة زينب ما كان لها أن تسطر في ترجمة أدبية تلتزم الحقائق، وقد قلت بصدد ذلك:

« والقارىء حين يطالع الكتاب، يلمس تناقضا ينكره ويأباه، فالدكتورة الفاضلة تعلن أنها حرصت على أصالة الألوان التاريخية، كما رسمها المؤرخون الثقات، وتعلن من جهة أخرى أنها لم تستطع أن تغفل الظلال الأسطورية أو تهون من شأنها، لما لها من الروعة والإيحاء، مع أن الذى يحرص على آراء المؤرخين الثقات، لا ينبغى أن يلتفت الى الأساطير والخرافات، فإن فعل، فقد ودع التاريخ والبحث العلمى، وانتقل الى الفن الأدبى يهيم في أوديته، فلا ينتظر من القارىء بعد ذلك أن يعتمد على نتائجه وأحكامه، بل ينتظر منه أن يعجب ببراعة اللوحة وأناقة التصوير، لذلك كان من العجب أن تتحدث المؤلفة عن الأسطورة البلقاء، ثم تقرنها بذكر مصدرها التاريخي القديم، لتوهم القارىء أنها تتقيد بنصوص المورخين الثقات».

ومضى المقال يضرب الأمثلة في أكثر من ستة أعمدة ولا يتسع المجال هنا لتلخيص ما قلت، وكنت أنتظر أن تتفضل الدكتورة الفاضلة بالرد موضحة وجهة نظرها، أو مصححة ما يبدو لها من الخطأ فيما كتبت، ولكنها صمتت كما صمتت عن نقد مماثل كتبته السيدة وداد سكاكينى بمجلة الثقافة بعد ظهور مقالى بأسبوعين، وفيه اتفاق تام لوجهة نظرى، ولا أقول إن الكاتبة السورية النابهة قد تأثرت بما كتبت، ولكن أقول، إن هذا الاتفاق قد جعلنى أطمئن الى صحة اتجاهى، والى أنى لم أكن مغاليا فيما نقدت، وأذكر أنى بعد عامين من نشر المقال قابلت صديقاً حميما للدكتورة بنت الشاطىء وهو من الأبناء الذين يزاملونها في مدرسة الأستاذ الخولى الأدبية، فدار بيننا حديث عن مقالى الخاص ببطلة كربلاء، فقال: إن الدكتورة لم تشر إليه أبدا فى حديثها المتصل دائما بنتاجها المتواصل! وهو يعرف عنها عزوفا عن كل ما ينشر بمجلة الرسالة، إذ يوجد ما يشبه النفور بين الأستاذ الخولى والأستاذ الزيات!

أخذت أطالع آثار الدكتورة بإعجاب، وبخاصة فيما تكتبه عن آل البيت النبوى، لأن عاطفتها الصادقة كانت تنفحها بخواطر رائعة تهز القارىء وتشجيه، وأذكر أنني حين طالعت كتابها عن السيدة سكينة بنت الحسين، لم أوافق على كثير مما نقلته الدكتورة عنها مستندة الى كتب الأدب والمسامرات، وأكثر ما بها ملفق مكذوب! وقد هممت أن أرد عليها ولكن سكوتها عن الرد عليّ، جعلنى أتوقف، ثم بدا لى أن أتحدث عن

السيدة سكينة لمناسبة مشابهة وكانت الرسالة قد احتجبت، فنشرت مقالا تحت عنوان (مهلا أيها الكتاب) بمجلة الأزهر بتاريخ (ذو القعدة ١٣٧٤هـ) وقلت في نفسي لو قرأته الدكتورة فستعلم أني أخالفها في بعض ما تنتحيه! دون أن أشير الى اسمها الكريم، لأني بيني وبين نفسي أقدر مكانتها الأدبية، وأعلم صدقها الأمين، كما أعتقد وهذا حق - أنها أوسع نظرا، وأبعد اطلاعا فقد تعلم مالا أعلم!.

ثم شاءت الملابسات الخاصة بتدريسي للبلاغة المعاصرة، أن أكتب بحثاً مستقلا في سفر خاص عن كتاب (دفاع عن البلاغة) للأستاذ أحمد حسن الزيات، وهذا الكتاب قد تعرض لنقد عاصف كتبته الدكتورة بنت الشاطىء، وتجنت فيه على الأستاذ تجنيا واضحا، ولابد لمن يكتب سفرا عن (دفاع عن البلاغة) أن يلمّ بما قاله الناقدون عنه، ومن بينهم الدكتورة بنت الشاطىء، فكتبت مقالا نقديا أوازن فيه بين رأى الأستاذ الشهيد سيد قطب في الكتاب، وقد وفاه حقه من الإطراء، ورأي الدكتورة بنت الشاطىء، وقد هوت به دون منطق قوى وكان مما قلت ردا على الدكتورة[٢]:

«إن الدكتورة بنت الشاطىء قد أعلنت أنها لا تعرف الزيات معرفة شخصية، ولكن بعض عارفيه قد قال لها عنه إنه يتكلف من المشقة والجهد في سبك عباراته وتأليف جمله الشيء الكثير، وأنه يصبر كثيرا على نحت الألفاظ واختيارها مما لا يدور على ألسنة الناس»، وهذا تهجم خارج عن النقد المحايد، فالزيات حين يتكلف المشقه والجهد في الصياغة، إنما ينتج أدباً رصينا هتف به المنصفون جميعا، وأحلّه بين الكبار مكانا لا ينكر أما القول بنحت الألفاظ واختيارها مما لا يدور على الألسنة فتطرف مغرض، لأننا نقرأ المقال الطويل لدى الزيات فلا نجد فيه غير كلمة أو كلمتين على الأكثر تمتان الى الغرابة، وللرجل مذهبه في إحياء بعض الكلمات، لتؤدى مالا يؤديه سواها، ثم تقول الدكتوره إن الكتاب من مطبوعات الرسالة التى تحمل جميعا طابع المدرسة القديمة، وهى مدرسة تكره حرية التعبير وبساطة الأداء، وقرب المأخذ».

وكلمة مطبوعات الرسالة قد تدل على أن الرسالة دار عامة لنشر الكتب، والحق أن مطبعة الرسالة كانت تنشر بعض الكتب أحيانا على حساب أصحابها دون تدخل في اتجاهها الأدبي، واذن فليست هناك مطبوعات للرسالة تكره حرية التعبير، وبساطة الأداء، فإذا أرادت الدكتورة مجلة الرسالة نفسها، فهذا هو الظلم الأكبر الذى لا يستتر بنقاب، لأن الزيات لم يكن وحده الذى يملأ صحف الرسالة على فرض أنه يكره حرية التعبير وبساطة الأداء، إنما كانت الرسالة ميدانا لصفوة أدباء الشرق، جال فيها طه حسين والعقاد والرافعى والمازنى والبشرى وأحمد أمين، وعبد الرحمن شكرى وتوفيق الحكيم وفريد أبو حديد ومحمود تيمور وزكي مبارك، أفيكون هؤلاء ممن يحملون طابع مدرسة تكره التعبير، وبساطة الأداء، واذا كان الأمر كذلك، فأين إذن مدرسة التعبير الحر، وفي أى مكان».

هذا شيء قليل مما كتبته في هذا الصدد، وقد نشرت الكتاب بمصر والسعودية طبع مرتين هنا وهناك، ولم أشأ أن أبعث بنسخة منه للدكتورة الفاضلة، وقلت في نفسى لابد أن أحد تلاميذها أو زملائها ممن يعكفون على قراءة البحوث البلاغية سيقرأ الكتاب، ويتحدث إليها عما جاء فيه بشأنها؟.

مضت حقبة طويلة، لم أتحدث عن الدكتورة بشيء عنها في مقالاتى، ثم أقامت محافظة دمياط حفلة تكريم بنت الشاطىء باعتبارها من نابهات المحافظة، بل من أعلامها الكبار، ودُعى للحفل فضلاء كثيرون، تحدث علماؤهم عن المحتفى بها حديث الصديق الوفى، وأفاضوا في تعداد مزاياها الأدبية وتشعب مواهبها الكثيرة، وكنت أجلس في الصف الأول مع المستمعين، وفي إحدى فترات الراحة هتف باسمى من نادانى لأمر خاص، فتطلعت الدكتورة إليّ وشع على وجهها الابتسام، فرأيت حين أتيحت الفرصة أن أشرف بلقائها، فقابلتني بمالا أتوقع من العطف الرقيق، وفسحت بجوارها مكاناً أجلس فيه وخجلت كأني استشعرت خطأ سابقا وقعت فيه، وما هو بخطأ في الحقيقة، فقلت في شبه الاعتذار، لقد كنت صغيراً

يا سيدتى حين تحدثت في الرسالة عن كتاب بطلة كربلاء منذ زمن بعيد، فأشرق وجهها بالابتسام وقالت في لهجة مرحة، وكنت أنا صغيرة أيضا، ولا عتاب مع الصغار! قلتُ إنك كبيرة الفضل منذ عرف الناس قلمك السيال، فتطلعت إليّ، وأخذت تقول: إنى حين تحدثت عن سيدات البيت الفضليات وكلهن من أرفع طراز، أردت أن أقدم للشباب نماذج طيبة من تاريخنا النسوى المجيد، لأن الساحة كانت مليئة بسير المنحدرات من ذوات الاشتهار الكاذب في الفن والأدب المكشوف مع اسراف زائد في تمجيدهن، وكأنهن معجزات الدهر، وكانت سير هؤلاء النابهات من بيت النبوة الكريم لا تكتب الا في مجلات دينية متواضعة الطبع والتوزيع بحيث لا يقرؤها إلا نفر محدود من ذوى الإيمان المطمئن، وليسوا في حاجة الى تاريخهن لأنهم يطالعونه في صحفهم المحدودة، فرأيت أن أنتقل بالقراء انتقالا إيمانيا، فاتفقت مع دار الهلال أن أكتب في سلسلة كتاب الهلال الشهرية سير هؤلاء الكريمات، وقد لاقى ما كتبت قبولا غير منتظر بحيث تعددت طبعات الأجزاء المنفرده الى حد أدهش القائمين على إصدار كتاب الهلال، ثم رأيت أن أجمع أجزاء السلسلة في مجلد كبير، فكان له من الذيوع ما جعلنى أوالى طبعاته، وقد عرفت بتجربتى الذاتية أن القارىء العربى مؤمنٌ شديد الإيمان، وأنه إذا وجد زادا إيمانيا انجذب إليه فليت الذين يجهلون هذه الحقيقة يعلمونها جيدا، وهى حقيقة يعرفها الناشرون تماما فما يكادون يقفون على أثر دينى لكاتب موثوق به حتى يتهافتوا على نشره مرحبين، ثم اتصلت حلقات التكريم فانقطع الحديث وأنا أشوق ما أكون الى إتمامه، ولكن هذا ما كان.

وقد لاحظت في الشهور الأخيرة قبل أن تنتقل الدكتورة الى عالم البقاء أنها في مقالها الأسبوعي بجريدة الأهرام الذى يصدر يوم الخميس لا تمس الواقع الراهن بتوجيهات نيرة تكون ذات فائدة كبرى إذ تقتصر على شذور من التاريخ الإسلامى البعيد قد تكون في مجموعها مشتهرة، ولولا أسلوبها الأدبي لكانت من الحديث المعاد، لاحظت ذلك فتألت بينى وبين نفسي، وجعلت أتساءل لماذا لا تغامس الكاتبة الكبيرة واقعنا المعاصر، فتتحدث عن تيارات منحرفة تزدحم بها الساحة الصحفية ويتولى كبرها قوم لا يرجون لله وقارا، لماذا تسكت عن أعداء الشريعة الإسلامية الذين يرجموننا بمقالاتهم المنحرفة، وتخلع عليهم الصحافة اللاهية ألقاب التمجيد، فإذا أراد ناقد ملتزم أن يجادل بالتى هى أحسن، امتنعت الجريدة عن نشر الرد، ولكنها لن تمتنع عن بنت الشاطىء فهى ذات صوت مسموع! كنت أتساءل عن ذلك بينى وبين نفسى، ثم علمت بعد رحيلها الأليم، أنها كانت مريضة لا تستطيع في علتها المتصلة أن تكتب الجديد، فكانت ترسل أجزاء تاريخية من كتاب لها لم ير النور بعد، لتملأ به فراغ الصفحة المسندة إليها كل أسبوع، واذن فهي معذورة كل العذر، ومهما كان من أمر مقالاتها هذه، فهى أفضل بكثير مما يجاورها من شطحات تصدع الرءوس، ويكتبها أصحابها مباهين.

ان الفراغ الهائل الذى تركته بنت الشاطىء لن يملأ، فقل من الباحثات الجامعيات من رزق قوة الفكر وحرارة التعبير معا، لأنك إذا وجدت المتخصصة في شئون الدين منهن، فلن تجد معها بلاغة العرض، وإشراق الأسلوب وإذا وجدت صاحبة الأسلوب البارع فلن تجد لديها الزاد الفكرى الدسم الذى كان بعض ما تحوى الراحلة العزيزة في سجل مواهبها المتعددات، وقد كتبت جزءاً هاما من سيرتها الذاتية في بعض ما أصدرته من مطبوعات، ولكنى لم أرجع الى ما كتبت، لأنى أتحدث عن ذكريات خاصة تتصل بي، والذين أفاضوا في رثائها، وهم كثيرون ، قد كشفوا كثيرا من جوانب نتاجها الحافل، ولا يزال المجال فسيحا لمن يريد.

الهوامش :

(١) للسيدة لبيبة ترجمة وافية بالجزء الخامس من كتاب النهضة الاسلامية للدكتور محمد رجب البيومي.

(٢) أحمد حسن الزيات بين البلاغة والنقد الأدبى ص ٨٧ للدكتور محمد رجب البيومي.

نقطة سوداء في تاريخ مشرق

الصراع بين الأمين والمأمون :

قسم الخليفة هارون الرشيد ولاية العهد بين ثلاثة من أولاده أحدهم بعد الآخر، وهم: الأمين وله بلاد الشام والعراق والحجاز، والمأمون وله خراسان، والقاسم المؤتمن وله الجزيرة وأرمينيه، ولما تولى الأمر الابن الأول الأمين[*]، حثه وزيره الفضل بن الربيع على أن يجعل ابنه موسى ولياً لعهده بدلا من المأمون، ووافق الأمين بعد إلحاح من الفضل، وبذلك نكث ما قطعه على نفسه من عهود، فأرسل الأمين الى جميع الأمصار كلها بالدعاء لابنه موسى بالإمرة بعد الدعاء له وللمأمون والقاسم، ولما بلغ ذلك المأمون وبلغه أن الأمين عزل أخاه القاسم عما كان والده الرشيد ولاه من الأعمال، علم أنه يريد خلعه فقطع البريد وأسقط اسمه من الطراز، وبعث الأمين بوفد مكون من ثلاثة أنفار يطلبون من المأمون رضاه بتقديم موسى بن الأمين على نفسه في ولاية العهد فرفض المأمون، وعاد الوفد ليخبر الأمين بامتناع المأمون، واستقرت الأمور لفترة ثم أخذ الفضل بن الربيع يلح على الأمين حتى رضي أن يخلع المأمون، ويبايع لابنه موسى بولاية العهد ونهى الفضل عن ذكر المأمون والقاسم في الدعاء لهما على شيء من المنابر، وكان موقف المأمون عندما بلغه أن الأمين خلعه عن ولاية العهد وترك الدعاء له أن منع من وصول البريد إليه ليخبره بخلعه من ولاية العهد حتى لا تثير الناس ضده.

ومما يجدر الإشارة إليه أن الفضل بن الربيع وزير الأمين، والفضل بن سهل وزير المأمون هما السبب في تأجيج نار العداء بين الأخوين، فالفضل بن الربيع لم يكن يحب المأمون ولا ولايته، والفضل بن سهل يأمل بأن تكون الخلافة للمأمون وأن تكون (مرو) حاضرة الخلافة العظمى لتعود لخرسان عظمتها، وأخذت المواجهة العسكرية بين الطرفين تنذر بقرب وقوعها، وبالفعل استعد كلا الأخوين الأمين والمأمون للمواجهة فعيّن المأمون طاهر بن عيسى الخزاعي قائداً لجيشه، والأمين عين علي بن عيسى بن ماهان قائداً لجيشه بطلب من الفضل بن الربيع.

بقلم : عبدالله بن ناصر الحديب

السعودية - الخرج

في الحقيقة إن الأمين بتعيينه ابن ماهان قد خدم أخاه المأمون من حيث لا يشعر، لأن أهل خراسان لم يسنوا ما عاملهم به علي بن عيسى بن ماهان من إساءة وما تعرضوا له من الفظائع مدة ولايته في عهد الرشيد، فكان تعيينه لحربهم قد أثار في قلوبهم الحقد لرد هذا العدو، علاوة على ذلك فقد كان ابن ماهان يستخف بقائد الأمين طاهر بن عيسى، ووقع القتال بين الجيشين واقتتلوا قتالا شديداً قتل على أثره ابن ماهان وهزمت جيوش الأمين، فسلم الفضل بن سهل على المأمون بأمير المؤمنين، ووصل هذا الخبر الى بغداد على غير ما ينتظر القوم فانتخب الأمين جيشا ثانيا أمده بالسلاح والمؤن، وعيّن عبد الرحمن الأنباري لقيادة الجيش وأوصاه بعدم الاغترار كما فعل ابن ماهان، ولما علم طاهر خرج وهزم عبد الرحمن وكان سبب الهزيمة التى لحقت بجيش الأمين يرجع الى ما حدث فيه من اضطراب بين الجند بعكس جند المأمون الذى كان منظما وهادئاً، لا تزيده الأيام إلا قوة، ثم أخذ المأمون يوجه قواده للاستيلاء على الولايات والاقاليم، فاستولوا على فارس والمدائن.

وفي تلك الأثناء حصل في الحجاز ما زاد من قوة المأمون، ذلك أن داود بن عيسى كان عاملا للأمين على مكة والمدينة فلما بلغه ما فعله الأمين من خلع المأمون وأخذه الكتابين اللذين بجوف الكعبة وتمزيقهما جمع حجبة الكعبة والقرشيين الفقهاء وبايعوا للمأمون، لأن الأمين قد ظلم وقد خرج عن عهد أبيه فأجابه أهل مكة ونادى داود في البيت الحرام بخلع الأمين وبيعة المأمون، وذهب داود بنفسه الى (مرو) وأعلم المأمون بما تم في الحجاز فسر المأمون، وأقر داود على ولاية الحجاز، وتطورت الأحداث، وأصبحت جيوش المأمون تحاصر بغداد حصاراً شديدا، وعانت بغداد من الجوع والهدم والتحريق وغابت محاسن بغداد بعد أن كانت جنة الدنيا، وكان الأمين قد استعان بالصيادين والشطار والمسجونين من أهل بغداد فكان الشر الذي أصاب المدينة أكثر مما أصابها من العدو المهاجم، واستنفد الأمين كل وسائل الدفاع وانتهى الأمر بمقتله سنة ١٣٨هـ.

بذلك يُسدل الستار عن ذلك الصراع بين الأخوين، وإن كان الخليفة العباسي هارون الرشيد أراد أن يجعل ولاية العهد لأكثر من واحد من أبنائه سبباً في قوة الدولة العباسية وتماسكها بتعاون أبنائه الثلاثة إلا أن ذلك كان سبباً لتأجيج نيران الصراع بين الأمين والمأمون، والذي انتهى لصالح الأخير، وإذا كان هذا الصراع يعد النقطة السوداء في صفحات تاريخ الدولة العباسية، فإن هذا لا يطمس تلك الصفحات المشرقة في تاريخ تلك الدولة.

(*) الأمين أمه زبيدة بنت جعفر بن المنصور فهو هاشمي الأب والأم ولم يتفق ذلك لغيره من الخلفاء إلا لعلي بن أبي طالب وابنه الحسن رضي الله عنهما.



المشكلات الاعلامية في برامج التليفزيون الخليجى الموجهة لأطفال ما قبل المدرسة، وكيف نواجهها؟

تهدف هذه الدراسة الوصفية الى تحديد المشكلات التى تعانى منها برامج الأطفال، التى تقدمها قنوات التليفزيون الخليجية لأطفال ما قبل المدرسة سن ٣ ـ ٦ سنوات، وذلك من خلال رصد ومتابعة ما تقدمه هذه القنوات ووصفه وتفسيره، مع الاهتمام بتحديد هذه المشكلات بغية مواجهتها، لحماية أطفال هذه المرحلة الهامة من حياة رجال الغد من مخاطرها وأضرارها، خاصة وأن ما نقدمه لهم الآن يحدد شخصياتهم بكل معارفها وقيمها وسلوكياتهم في المستقبل، كما يحدد طبيعة المجتمع الذى سوف يعيشون فيه[١]٠

وتشير الدراسات الاعلامية وغيرها الى مكانة التليفزيون في هذه المنطقة ومنذ بدء دخوله في بداية الستينيات كمصدر هام للاعلام والتثقيف الاجتماعى والترفيه بين وسائل الاتصال الأخرى[٢]، ويرجع ذلك الى ارتفاع مستوى المعيشة الذى يتيح انتشار أجهزة الاستقبال التليفزيونى وبمعدلات عالية تفوق المعدلات السائدة في الدول النامية عامة والعربية بصفة خاصة، حيث تشير الاحصائيات الى أن متوسط نسب انتشار الأجهزة في المنازل في منطقة الشرق الأوسط يصل الى ٤١٪، بينما نجدها تتزايد بصورة واضحة في دول المنطقة لتصل الى ٨٨٪ في سلطنة عمان و٨٣٪ في منازل دولة الامارات العربية المتحدة، و٦٢٪ في منازل دولة قطر، و٥٨٪ في دولة البحرين، و٤٤٪ في منازل المملكة العربية السعودية، وتؤكدها احصائيات المنظمات العالمية والدراسات الاعلامية في هذا المجال[٣]، هذا بالإضافة الى افتقار غالبية دول المنطقة الى وسائل أخرى للتسلية والترفيه، وقد أشارت احدى الدراسات الى أنه بالرغم من أن معظم الناس تقبلوا برامج التليفزيون بشوق زائد من زاوية التسلية لدرجة أنهم كيفوا نظام حياتهم اليومى ليتوافق مع مواعيد التليفزيون[٤]٠

بقلم : د. محمد معوض ابراهيم

رئيس قسم الإعلام بكلية الآداب - جامعة الكويت

لماذا برامج التليفزيون الخليجى الموجهة لأطفال ما قبل المدرسة؟:

أولا : لأن الطفل في هذه السن المبكرة يبدأ في الارتباط بالتليفزيون ومشاهدته بانتظام بعد أن كانت مشاهدته عرضية في سن الثانية، حتى أصبحت المشاهدة جزءا هاما وأساسيا في حياتهم اليومية، حيث يقضى أطفال هذه المرحلة نصف ساعات يقظتهم اليومية في مشاهدة برامجه، كما أن أطفال هذه المرحلة هم أكثر أفراد الأسرة خاصة والمجتمع بصفة عامة مشاهدة للتليفزيون حتى ان الدراسات العلمية تقرر بأن الوقت الذى يقضيه أطفال ما قبل المدرسة يعادل الوقت الذى يقضونه في دور الحضانة أو رياض الأطفال وتشير الدراسات أن الاقبال على التليفزيون من قبل أطفال هذه المرحلة يطغى على الوسائل الاعلامية الأخرى حيث نلاحظ أن ٣٧٪ من الأطفال يستعملون الجهاز بانتظام في سن الثالثة و٦٦٪ من الأطفال يستخدمونه في الرابعة واكثر من ٨٠٪ من الأطفال يستخدمونه في سن الخامسة واكثر من ٩٠٪ يستخدمونه بانتظام في سن السادسة، وتشير الدراسات أيضا أن ٩٠٪ من الاطفال يعرفون التليفزيون حق المعرفة قبل أن يقرأوا أول صحيفة، و٨٠٪ من الأطفال يتعرفون على التليفزيون حتى قبل أن يتعلموا في المدرسة نطق أى كلمة مكتوبة و٦٦٪ من الأطفال يتعودون على المشاهدة قبل أن يذهبوا الى السينما[٥].

ثانيا: يؤكد الخبراء على أنه لم يسبق لأية وسيلة إعلامية أن أثبتت قدرة فائقة في جذب انتباه الأطفال وإثارة اهتمامهم مثل التليفزيون الذى يقدم مشاهد متكاملة تعتمد على الصوت والصورة والحركة واللون، وينسجم طفل هذه المرحلة مع عملية المشاهدة، حيث تثيره اللقطات والمشاهد الحية والصور أو الرسوم المتحركة بألوانها الزاهية وصوتها أو مؤثراتها الصوتية والحانها الموسيقية المقترنة بها، والتى تدل على عمق مشاعرها وأحاسيسها، وبما يزيد من فعاليتها وقربها من مدارك أطفال ما قبل المدرسة، الذين يجدون لذة قصوى في متابعة بعض البرامج التليفزيونية، خاصة وأن الطفل في هذه المرحلة يؤخذ بكل متحرك مرئى أو مسموع، كما يزهو فرحا بالصور الحية أو المتحركة للأشياء والحيوانات والطيور.. الخ، كما تشير الدراسات أن للتليفزيون قيمة خاصة في نقل المعرفة والخبرة الأمر الذى لا يمكن تحقيقه بأى أسلوب آخر ويمكنه أن يساعد الأطفال على تعلم أنواع مختلفه من المهارات أو المراحل التى يمر بها عمل معين[٦] نظرا لمزاياه وخصائصه السابقة وقدرته على تكبير الأشياء المتناهية الصغر وتقديم التفاصيل الدقيقة عن طريق استخدام الصور واللقطات القريبة Close up وتحريك الأشياء الثابتة بقدرة فائقة بصورة سريعة أو بطيئة Slow Motion والتى تعاون في فهم الحركة بدقة واستيعاب مكوناتها[٧]، ويعتبر التليفزيون من

اكثر وسائل الاعلام ايضاحا وقدرة على التفسير والتوضيح لما يتميز به من خاصية الجمع بين الصورة الحية وصوتها وبما يعطى احساسا بالألفة ويزيد من مشاركة الأطفال، ونعلم أنه كلما ازدادت درجة المشاركة كان التأثير كبيرا[٨].

ثالثا: كما تشير ملاحظتنا المنهجية أن المساحات المخصصة لأطفال ما قبل المدرسة تفوق المراحل الأخرى فيما تقدمه القنوات التليفزيونية الخليجية التى تتميز باهتمامها البالغ ببرامج الأطفال حيث تخصص لها مساحات زمنية تعادل ساعات إرسالها في محطات التليفزيون المتقدمة[٩]، وبنسب عالية ونعلم أن برامج الأطفال تتراوح بين ١١ ـ ٢٤٪ من ساعات إرسال التليفزيون الكويتي، و١٤ ـ ١٦٪ من ساعات إرسال قنوات تليفزيون دولة الامارات العربية المتحدة، ١٥٪ من برامج التليفزيون السعودى، وحوالى ١٣٪ من ساعات إرسال تليفزيون سلطنة عمان، واكثر من ١٢٪ من ساعات إرسال التليفزيون القطرى[١٠].

**** اكثر من ٩٠٪ من الاطفال تجذبهم برامج التلفاز.**

رابعا : أن هذه البرامج التليفزيونية تخاطب أهم وأخطر المراحل العمرية التى تسبق تعلم الطفل القراءة والكتابة، وتعتبر فترة تكوين هامة في حياة الأطفال، ففيها يكون الطفل مفهومه عن ذاته وبما يؤثر على شخصيته، حيث تتشكل اتجاهاته وقيمه وسلوكياته وتتبلور تجاربه وفقا لما يتلقاه[١١]، ويزيد عدد أطفال هذه المرحلة عن ٢ر٥ مليون طفل في المملكة العربية السعودية، واكثر من ٣ر٠ من المليون طفل في دولة الكويت، واكثر من ٢ر٠ من المليون طفل في دولة الامارات العربية المتحدة[١٢]، ويتميز أطفال هذه المرحلة بعدم تمكنهم من التركيز لفترات طويلة كما أنهم نشطون مفعمون بالحركة المستمره، يميلون الى اللعب، ولديهم حب استطلاع واسع لمعرفة الأشياء والأشخاص والمواقف، كما يتميزون بقدرتهم على الحفظ وترديد الكثير من الأغانى والأناشيد، ولديهم القدرة على تعلم واكتساب المفاهيم الجديدة والغريبة، ويحتاجون الى الحب والعطف والحنان والتقدير والانتباه والاهتمام والرعاية، كما يحتاجون الى تزويدهم بالاتجاهات الدينية والروحية والشعور بالطمأنينة، والعادات الاجتماعية السليمة في التعامل والتفاعل والحديث[١٣].

خامسا: سهولة ويسر التقاط الأطفال في الخليج لبرامج محطات التليفزيون الخليجية عامة وبرامج الأطفال فيها بصفة خاصة، حيث لاحظنا أن بث محطات التليفزيون الخليجية يتعدى نطاق حدود دولها الصغيرة المساحة، والمتجاورة الحدود في امتداد جغرافى متصل لا تكاد تعترضه عوائق طبيعية أو عقبات كالمرتفعات أو الجبال التى تعوق انتشار ووصول الموجات التليفزيونية، هذا بالاضافة الى قوة غالبية محطات الارسال التليفزيوني في منطقة الخليج والتى تتميز بقدرتها الهائلة، ويجعلها تكتسب مشاهدين جدداً



** المشاهدون كيفوا مواعيدهم اليومية لتتوافق مع نظام التلفزيون.

في الدول الخليجية المجاورة، وبالتالى يتيح للأطفال اختيارات متعددة من برامج الأطفال فيها، وهذا ما تؤكده الدراسات الميدانيه في منطقة الخليج، حيث تشير إحدى الدراسات الهامة في هذا المجال الى أن ما يقرب من ٦١٪ من الأطفال في دولة قطر على سبيل المثال يشاهدون برامج الأطفال من تليفزيونات خليجية أخرى[١٤]، كما قررت نسبة كبيرة من أمهات الأطفال في منطقة الخليج بلغت ٦٤ر٨٣٪ أن أبناءهن يشاهدون برامج الأطفال التى تقدمها محطات تليفزيونية خليجية أخرى[١٥].

وتشير نتائج إحدى الدراسات الخليجية الهامة في مجال دراستها لأنماط وعادات المشاهدة بين عينة الدراسة في دولة الكويت أن ٩٥٪ من مجموع مشاهدى برامج التليفزيون يشاهدون محطة أو أكثر من المحطات التليفزيونية المجاورة وهذا يعنى أن برامج المحطات التليفزيونية المجاورة تستقطب نسبة كبيرة من مشاهدى برامج تليفزيون الكويت، ومن هذه القنوات السعودية بنسبة ٢٦٪ وتليفزيون دبى ١٠٪ وأبو ظبى ٦٪ والبحرين ٦٪ وقطر ٤٪ وايران ٤٪[١٦]، ناهيك عن البرامج الأخرى التى تنقلها محطات التليفزيون الخليجية على إحدى قنواتها العاملة أو يتم استقبالها عن طريق استخدام الهوائيات مختلفة الأنواع التى تلتقط موجات تليفزيونية لما يقرب من ٩٩ قناة أخرى[١٧] منها ١٦ قناة تليفزيونية عربية بالاضافة الى القنوات الفضائية الأجنبية.

وهكذا تقع المنطقة العربية عامة والخليجية خاصة في نطاق البث التليفزيونى لعديد من أقمار الاتصالات مثل آسياسات واليوسات وعربسات وغيرها، وأقمار

**نصف ساعات اليقظة عند الاطفال يقضونها امام الشاشة.

**الصوت والصورة والحركة واللون عوامل جذب لا يقاومها الطفل.

البث المباشر وبالتالى يمكنها استقبال عدد كبير من القنوات التلفزيونية باستخدام الهوائيات السابق الاشارة إليها، والتى يجب توافق مواصفاتها مع مواصفات الاشارات الهابطة من الأقمار الصناعية وكلما زادت قدرة الاشعة أو الاشارات الهابطة من الأقمار الصناعية كلما أمكن استقبالها بهوائيات أصغر[١٨].

وتشير الدراسات الخليجية الى أن هناك إقبالا على هذه القنوات وخصوصا العربية كالقناة الفضائية المصرية والتى جاءت في المرتبة الأولى لمشاهدى التليفزيون في دولة الامارات العربية المتحدة، وفي المرتبة الثانية لمشاهدى التليفزيون في دولة الكويت بنسبة ٧٥٪، بينما جاءت القناة العربية MBC في المركز الأول في دولة الكويت بنسبة ٩٠٪، والثانية في دولة الامارات العربية المتحدة أما باقى القنوات العربية الأخرى انخفضت نسبة المشاهدة لكل منها[١٩].

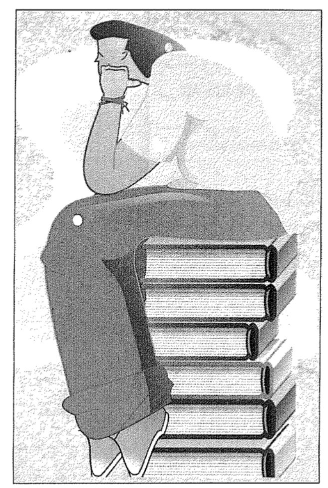
وفي قطر بلغ عدد مشاهدى القنوات الأخرى بين ٢٠ر٥١٪ و٧٢ر٦٠٪ كحد أدنى وأعلى على التوالى عند مستوى ثقة ٩٩٪، ومن أهم المحطات التى يشاهدونها تليفزيون دبى بنسبة ٨٩ر٨٥٪ ، وتليفزيون البحرين بنسبة ٨٤ر٨٣٪، والتليفزيون السعودى بنسبة ٥٣ر٥١٪[٢٠]، هذا بخلاف القنوات العربية الأخرى، والتى بدأت بث برامجها التجريبى في نوفمبر ١٩٩٣م، ومنها قنوات راديو وتليفزيون العرب أول شبكة تليفزيونية عربية متخصصة تقدم حاليا خمس قنوات تليفزيونية منها أول قناة تليفزيونية عربية متخصصة للأطفال وتبث ١٢ ساعة يوميا منها ساعتان ونصف الساعة باللغة العربية والباقى باللغات الأجنبية[٢١]، وكذلك شبكة أوربيت التى أعلنت بدء ارسال قنواتها العشرين في مطلع عام ١٩٩٤م، أما القنوات الأجنبية التى تستقبلها محطات التليفزيون الخليجية وتعيد بثها فمنها القناة الاخبارية الأمريكية CNN والتى بلغ الاقبال عليها في إحدى الدول الخليجية من المشاهدين بنسبة ٥٠٪، والقناة العالمية لتليفزيون هيئة B.B.C البريطانية بنسبة ٥ر٢٢٪ من مشاهدى القنوات الأجنبية[٢٢]، ناهيك عن القنوات الأجنبية الأخرى التى يستقبلها المشاهدون في منازلهم من الهوائيات ومنها قنوات التليفزيون الأمريكى ومنها تليفزيون النجم STAR Tv بقنواته الخمس وقناتى التليفزيون الفرنسى والاسرائيلى والهندى ZEE TV

والباكستاني وغيرها كثير، والتي يخشى من تأثيرها الذي يطغى على تأثير المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالحضانة أو رياض الاطفال وتهميش دور الأسرة.. الخ.

سادسا: لا تحظى هذه المرحلة العمرية في الغالب باهتمام منتجي برامج الأطفال فى دول الخليج العربى لما تتطلبه من إمكانات مادية وفنية وبشرية كبيرة قد لا تتوافر للمحطات التليفزيونية الخليجية منفردة في الوقت الذى تشير فيه التجارب إلى نجاح الانتاج الخليجى المشترك في هذا المجال، ومنه ما قامت به مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك لدول الخليج العربي، والتى انشئت بموجب قرار وزراء إعلام دول الخليج العربى في اجتماعهم في ابو ظبي عام ١٩٧٦م وباشرت أعمالها بانتاج برامج مشتركة إذاعية وتليفزيونية تبرز السمات المميزة لشعوب المنطقة وتتعامل مع مشاكلها البيئية والتعريف بتراثها وأمجادها وبطولاتها وتاريخها في مختلف المجالات مع تنمية العلاقات الثقافية بين دول المنطقة[٢٣]، ومقرها الدائم مدينة الكويت، وقد قامت المؤسسة بانتاج اكثر من مائة برنامج غطت العديد من المجالات التعليمية والتربوية والتثقيفية وتعنى في المقام الأول بالطفل الخليجى والعربى، ثم بتوعية الجمهور غير أنها اتجهت في الفترة الأخيرة الى توعية الجمهور بشكل مكثف[٢٤]، ومن أهم انتاجها الذى يخاطب أطفال ما قبل المدرسة «افتح ياسمسم» وأخيرا «افتح ياوطنى أبوابك» ونتناولهما بشيء من التفصيل:

(أ) برنامج افتح يا سمسم:

ويعتبر البرنامج اكبر انتاج خليجى عربى يوجه أساسا لأطفال ما قبل المدرسة، كما يراعي البرنامج الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٦ ـ ٩ سنوات بنسب محددة في حلقاته ويتكون البرنامج من ثلاثة أجزاء ويضم الجزء الواحد ١٣٠ حلقة يستغرق انتاجها عامين وتبلغ مدة الحلقة الواحدة نصف ساعة، ويهدف البرنامج الى الارتقاء بمستوى الطفل الخليجى والعربى من خلال تحقيق العديد من الأهداف والتى تزيد عن أحد عشر هدفا منها ما هو تثقيفى أو تعليمى أو تربوى أو ترفيهى .. الخ، حيث يقدم المعلومات والخبرات المفيدة والمنوعة ويجسد أهدافه من خلال فقرات مشوقة وفعالة ويقف خلف البرنامج ورشة برامج الاطفال التليفزيونية CTW الأمريكية وهى إختصار Children Television Workshop والتى لها خبرتها في انتاج البرامج التربوية للأطفال، ومنها شارع السمسم Sesame street ويخاطب أطفال ما قبل المدرسة في مرحلتى رياض الأطفال والحضانة ويتناول العديد من المجالات كالحساب واللغة والمعرفة العامة والصحة وآداب الحوار.. الخ، والاخلاق والقيم مستفيدا من النجوم والشخصيات الأمريكية المحبوبة بالاضافة الى ثلاث دمى متحركة مرحة وهى - Bart Ernest - Kermit هذا بالاضافة الى لفيف من الخبراء والمختصين من التربويين والاعلاميين وأساتذة علم النفس والعاملين في مجالات الانتاج التليفزيونى من معدى وكتاب النصوص التليفزيونية والمخرجين والمصورين والممثلين ومسجلي الصوت وموزعى الاضاءة ومسئولى الخدمات الانتاجية كالديكور



الفضائيات ألغت متعة القراءة عند الشباب

والملابس والاكسسوار والأثاث والمكياج والمناظر والخطاطين والرسامين وفنيي الصوت والمؤثرات الصوتية.. الخ. ذلك من متطلبات العمل التليفزيونى ليوظفوا الرسوم المتحركة والمشاهد الحية والدمى والعرائس والأغانى والأناشيد والفقرات التمثيلية وتجسيد وتحقيق الأهداف التى يسعى إليها البرنامج بغية الارتقاء بفكر الطفل الخليجى والعربى، وتغطى حلقات البرنامج أغلب النشاطات والعلاقات الاجتماعية ويثير فضول أطفال ما قبل المدرسة وغيرهم ويلبى احتياجاتهم المعرفية والمهارية والوجدانية.

ولعل من أهم فقرات البرنامج مشاركة الأطفال في أغلب مشاهد الاستديو، وتؤدى هذه المشاركة الى جذب انتباه الأطفال الى فقرات البرنامج حيث يشاهدون ذاتهم من خلال مشاركة أطفال يقاربونهم عمرا، من جهة أخرى فإن ذلك يؤدى الى تشجيع الأطفال على المشاركة في البرنامج أو أثناء مشاهدته وخصوصا في المواقف التى تتطلب التعبير عن ذاتهم في مواقف الحياة اليومية، من جهة أخرى يسعى البرنامج الى تعريف الطفل الخليجى بانتماءاته الخليجية والعربية والاسلامية بطريقة مشوقة يرغب فيها الأطفال ويميلون إليها وتفيد في تعميق قيم الانتماء لديهم واكسابهم الاتجاهات الدينية والروحية من خلال مواقف درامية بسيطة يتمكن أطفال هذه المرحلة العمرية من إدراكها.

(ب) برنامج إفتح ياوطنى أبوابك :

وهذا البرنامج يخاطب أساسا أطفال ما قبل المدرسة سن (٣ ـ ٦) سنوات، وهو عبارة عن مجلة تليفزيونية T.V Magzine متكاملة ومتنوعة المضمون حيث المشاهد الدرامية والأفلام الحية والدمى والعرائس والرسوم المتحركة والأغانى والأناشيد التى تثير اهتمام أطفال ما قبل المدرسة وتجذب انتباههم، وتم التخطيط والاعداد بشكل جيد ومدروس لحلقات هذا البرنامج الذى ظهرت أولى حلقاته على شاشات التليفزيون الخليجى اعتبارا من أول العام الحالى ١٩٩٥م، وتم الاستفادة من نتائج البحوث والدراسات التربوية والميدانية التى خطط لها فريق عمل من التربويين وأساتذة علم النفس والاعلاميين والذين تعاونوا جميعا في وضع منهج ودليل عمل واضح على

ضوء نتائج البحوث والدراسات الميدانية التى استفاد منها الكتاب المتخصصون والمنتجون والمعدون من مختلف أنحاء الوطن العربى وشكلوا ورشة عمل كانت حصيلتها حلقات المسلسل الذى يتكون من ٩٠ حلقة مدة الواحدة نصف ساعة تقدم باللغة العربية المبسطة والميسرة ويغطى نفس أهداف افتح ياسمسم ولكن بعد تكثيف وتعميق وتطوير عدد من الأهداف التى يسعى الى تحقيقها ومنها الجانب التاريخى والحضارى والروحى.

فمثلا تم دعم الجانب الروحى في المشاهد بنسبة ١٢٪ بعد أن كان ٧٪ في حلقات البرنامج السابق (افتح ياسمسم) كذلك التركيز على تعلم اللغة العربية بنسبة ١٧٪ والتفكير العلمى وتنظيم الادراك بنسبة ١٥٪ والعلوم بنسبة ١٠٪، وقيم العمل والتعاون بنسبة ٨٪، الوطن العربى (الهدف القومي) ٨٪، مجلس التعاون الخليجى ٧٪، الصحة النفسية والجسدية ٥٪، الهوايات ٥٪ ، الأمثال والقصص الشعبية ٤٪ [٢٥].

ويشارك في البرنامج عدد متميز من أطفال الخليج وبعض نجوم المنطقة بالاضافة الى الدمى الجديدة التى تم انتاجها بعد دراسة وافية ومفصلة لعدد من الشخصيات والنماذج التى لها علاقة واضحة بالمجتمع والانسان الخليجى بصفة عامة والطفل الخليجى على وجه الخصوص، وتتطور بعض هذه الشخصيات معرفيا وسلوكيا في حلقات المسلسل وتتحرك في أماكن مختلفة سواء داخل أو خارج الاستديوهات كما في رياض الأطفال أو في السوق المركزى أو على شاطىء الخليج أو المدينة الترفيهية - أو في الحدائق العامة أو في النوادى أو في حديقة الحيوان أو في المطاعم أو المطار أو الملاعب أو في البر.. الخ. ذلك من أماكن متنوعة، كما تم تحديد صفات الشخصيات بدقة متناهية سواء من حيث العمر أو من الناحية العقلية أو النفسية أو المستوى الثقافى أو المهارات والهوايات أو علاقاتها الاجتماعية وكذلك مظهرها العام.. الخ.

ولعل أهم ما تهدف إليه حلقات مسلسل برنامج «افتح ياوطنى» هو تزويد الأطفال واثارة اهتمامهم بفقرات البرنامج وحلقاته المختلفه، وأهم مبدأ تربوى يتبناه البرنامج هو التعليم من خلال اللعب مستفيدا من المواقف الدرامية الهادفة والبسيطة وكذلك الفكاهة بمختلف اشكالها سواء الحركية المتمثلة في حركة الوجه على سبيل المثال

**** سلبيات برامج الاطفال المشاهدة تفوق ايجابياتها.**

**** التلفاز اذا أحسن استخدامه فانه يكسب الطفل مهارات جديدة.**

**** البرامج المستوردة تتنافى وقيم المجتمع المسلم.**

أو المفاجأة أو التناقض.. الخ، أو اللفظية المتمثلة في ترديد تعبير ذى إيقاع معين يؤدى الى اضحاك الأطفال بالاضافة إلى الايقاع الحركي والكلمات ذات الجرس الموسيقى كما في الأغاني والأناشيد الجماعية والقصيرة التى تهم أطفال المرحلة وتثير فضولهم وتؤديها الشخصيات المشاركة في البرنامج ومنها الدمى التى تتخذ شكل البشر وتتميز بالطرافة والغرابة في حركتها أو أدائها الصوتى وكذلك بعض الحيوانات والطيور التى يألفها أطفال هذه المرحلة[٢٦].

وهكذا نلاحظ أن البرنامج لكى يؤثر في جمهور الأطفال سن ما قبل المدرسة عرف الرموز والمفاهيم التى يفهمها هؤلاء الأطفال وتجذبهم[٢٧].

(جـ) دبلجة العديد من مسلسلات الرسوم المتحركة للأطفال:

وتعنى كلمة DOUBLAGE نقل مسلسلات الرسوم المتحركة من لغتها الأصلية نقلا كليا عن طريق إضافة الصوت العربى سواء كان حوارا أو تعليقا أو مؤثرا صوتيا وغيرها ليناسب أطفال منطقة الخليج العربى وغيرهم من الأطفال العرب، وترتبط هذه الفكرة ارتباطا وثيقا بالانتماء الخليجى والعربى والاعتزاز بلغة الوطن حتى يتسنى للأطفال فهم وقائع مسلسلات الرسوم المتحركة بلغته العربية وإدراك ما يدور فيها من معان من خلال الصوت. وتبدأ العملية بترجمة حوار الفيلم الأصلى الى اللغة العربية نقلا عن النص الأصلى للفيلم، وإن لم يكن هناك نص مكتوب تتم الترجمة الفورية عن طريق السمع، وبعد أن تتم الترجمة يعهد بها الى معدى وكتاب النصوص البرامجية التليفزيونية لصياغة الحوار بما يتمشى مع موضوع فيلم الرسوم المتحركة ومع الذوق العربى والخليجى والاسلامى[٢٨].

**** سلوكيات الطفل وقيمه وتجاربه الجديدة يأخذها من الشاشة بعيداً عن رقابة الوالدين.**

سابعا: تشير الدراسات السابقة أنه حتى منتصف السبعينيات لم تستخدم حكومات المنطقة محطات التليفزيون الخليجية سوى باستثناءات محدودة في توجيه برامج تربوية أو تنموية منتظمة الى قطاعات مستهدفة من المشاهدين ومن بينها الأطفال، بينما كان هناك تركيز واضح في تلك الفترة على برامج الترفيه والتسلية وخصوصا التمثيليات أو المسلسلات والافلام العربية أو الأجنبية الطويلة والتى كانت تشكل نسبة كبيرة من ساعات إرسال التليفزيون الخليجى آنذاك، وبلغت نسبتها على سبيل المثال ٤٩٪ من وقت إرسال التليفزيون القطرى، و٤٢٫٨٪ في تليفزيون الكويت، و٣٤٪ في تليفزيون الامارات العربية المتحدة ويتسبب هذا بالإضافة الى عوامل أخرى كثيرة في زيادة نسبة البرامج المستوردة في المحطات الخليجية ولعل هذا يدفعنا لتحديد المخاطر والمشكلات التى تعانى منها برامج الأطفال الخليجية موضع دراستنا.

المشكلات الاعلامية ماهيتها وأنواعها :

على ضوء الدراسات السابقة ومن خلال ملاحظاتنا المنهجية، ومتابعتنا المستمرة لبرامج الأطفال في مختلف المحطات التليفزيونية الخليجية، قمنا بتحديد المشكلات التى تعانى منها برامج الأطفال في هذه المحطات في محاولة لتحديد أبعادها، وكيفية مواجهتها، من أجل تحقيق مستقبل أفضل لدول هذه المنطقة، ويمكن تصنيف هذه المشكلات على النحو التالى:

١ ـ مشكلات خاصة بمضمون الرسالة الاعلامية في برامج الأطفال.

٢ ـ مشكلات خاصة بالقائم بالاتصال، وتنعكس على مستوى برامج الأطفال.

٣ ـ مشكلات ترتبط بمحطات التليفزيون الخليجية كمؤسسات إعلامية تخاطب أعدادا ضخمة ومتباينة، لها أهدافها وسياساتها التى تنبثق من سياسات دول المنطقة.

٤ ـ مشكلات عامة ترتبط بالموقف الذى يحيط بالأطفال أنفسهم خلال متابعتهم لبرامج الأطفال التليفزيونية، وسنحاول تحديد هذه المشكلات بشيء من التفصيل:

(١) المشكلات الخاصة بمضمون برامج الأطفال:

اعتماد المحطات الخليجية بشكل واسع على برامج الاطفال المستوردة:

نتيجة لاهتمام المحطات الخليجية بالكم، وتضحيتهم بالكيف في سبيل زيادة ساعات الارسال على مدى الأربع والعشرين ساعة طوال الليل والنهار، وفي الوقت الذى لا تسمح فيه الامكانات المادية أو الفنية أو البشرية المتمثلة في الطاقات العاملة لملء هذه الساعات بانتاج تليفزيونى جيد، أدى ذلك الى اعتماد تليفزيونات الدول الخليجية بشكل واسع على البرامج المستوردة بصفة عامة، والتى بلغت نسبتها ٨٠٪ في تليفزيون قطر، و٦٥٪ في تليفزيون دولة الامارات العربية المتحدة، واكثر من ٥٠٪ في تليفزيون الكويت والملكة العربية السعودية[٢٩].

**** المجتمع الاسلامي له من القيم والاخلاق ما يختلف عن المجتمعات الاوروبية .. وهذا ما ينبغي تأكيده.**

من جهة أخرى فإن قلة الانتاج الجيد من البرامج الموجهة الى أطفال ما قبل المدرسة، أو غيابه يفتح الباب على مصراعيه لاستيراد برامج الاطفال، وخصوصا برامج الرسوم المتحركة الاكثر اثارة لاطفال ما قبل المدرسة، والتي يبدأون في مشاهدتها عند سن مبكرة، لأنها محددة تحديدا جيدا، فكل فعل يتم تجسيده في مشاهد حية وصور ملونة تعمل على جذب انتباههم المتذبذب باستمرار عن طريق استخدام

**** العنف والمخدرات والجنس قواسم مشتركة في كل البرامج المستوردة**

**** البرامج المحلية للاطفال عليها ترسيخ قيم الفضيلة في المشاهدين**

الحدث والحركة والمؤثرات الصوتية والموسيقية، وبالتالي تعمل على تركيز انتباههم عليها، وتشويقهم لمتابعتها[٣٠].

وتشغل برامج الرسوم المتحركة مساحات واسعة من الوقت المخصص لبرامج الأطفال في هذه القنوات التليفزيونية الخليجية، حيث تشير دراساتنا السابقة أنها تمثل ٧ر٦٦٪ من مضمون برامج القناة الأولى لتليفزيون المملكة العربية السعودية، بينما ترتفع النسبة فيها خلال الأجازات ونهاية الأسبوع لتصل الى ٨ر٨٥٪، كما تشكل ٥ر٧٣٪ من وقت برامج الأطفال في القناة الأولى لتليفزيون الكويت، بينما تقل في الأجازات لتصبح ٨ر٦٠٪، بسبب تقديم بعض البرامج المنتجه محليا مثل (مجلة الأطفال)، وتبلغ نسبة الرسوم المتحركة للأطفال في قناة دبى ٧ر٦٤٪، بينما بلغت نسبتها ١٠٠٪ في تليفزيون الشارقة[٣١]، كما تشير الدراسات السابقة الى أن برامج الرسوم المتحركة تحظى باهتمام محطات التليفزيون الخليجية بشكل واضح لملء ساعات الارسال ولاشباع رغبات واهتمامات الأطفال الذين يقبلون عليها بصورة كبيرة، وتشير الاحصائيات أن ١ر٨٢٪ من أطفال الكويت يقبلون على مشاهدتها، وفي سلطنة عمان يقبل ٦ر٩٣٪ من الأطفال على مشاهدتها، وفي دولة الامارات العربية المتحدة يفضلها ٥٩ر٣٩٪ من الأطفال بشكل دائم، بينما يقبل عليها أحيانا ٥٥ر٥٦٪، ونادرا ما يشاهدها ٨٦ر٣٪، وفي دراسة أجريت على عينة مختارة من الأطفال الخليجيين في الدوحة قرر ٢٦ر٩٧٪ من بين ٤٠٠ طفل أنهم يشاهدون مسلسل رسوم الأطفال المتحركة (السنافر)، و٣٢ر٩١٪ منهم يشاهدون مسلسل القرية الأليفة، و٤ر٧٤٪ منهم يشاهدون أفلام رسوم متحركة غير ناطقة وغير مترجمة[٣٢].

مصادر برامج الرسوم المتحركة :

وتستورد محطات التليفزيون الخليجية برامج الرسوم المتحركة الموجهة الى الأطفال من الدول الصناعية، ومنها اليابان، والولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة البريطانية، وفرنسا، أو من شركات أو مؤسسات الانتاج التليفزيونى الخاصة في بعض الدول العربية، وتشير الدراسات أن إحدى المحطات الخليجية (قناة دبى) تستورد ٤٢٪ من المملكة المتحدة البريطانية، و٨ر٢١٪ من الولايات المتحدة الأمريكية، و٨ر١١٪ من فرنسا[٣٣]، وتعتبر الرسوم المتحركة في

مقدمة برامج الأطفال التى يتم استيرادها ضمن ما تستورده المحطات التليفزيونية الخليجية من برامج أخرى.

خطورة البرامج المستوردة:

يشكل الاستيراد الضخم للبرامج المعلبة أو المستوردة وترجمتها على المدى الطويل تهديدا خطيرا للشخصية الثقافية للدولة التى هى في التحليل النهائى الفرد[٣٤]، وهذه البرامج المستوردة تتضمن مظاهر سلبية كثيرة فأغلب الرسائل المتضمنة في البرامج المستوردة تصور عالما تبدو فيه المخدرات والكحوليات كأمر شائع ولا يختلف تصوير الجنس عن ذلك كثيرا، وتشير الدراسات التحليلية لمضمون برامج التليفزيون في الدول التى يتم استيراد البرامج منها أنه في خلال ٣٦ ساعة من برامج التليفزيون الأمريكى على سبيل المثال كان هناك ١٤٩ رسالة متصلة بموضوع المخدرات، منها ١٢١ رسالة مؤيدة بنسبة ٨١٫٢٪، و٢٢ رسالة مناهضة بنسبة ١٤٫٨٪، وبقيت ست رسائل منها غير واضحة الدلالة، وتؤكد دراسة أخرى أن قصص العنف تعتبر القاسم المشترك الأعظم بين البرامج الأمريكية، حيث ترد قصص العنف فيها بمعدل ثمان حالات في الساعة الواحدة، كذلك فإن برامج التليفزيون البريطانى B.B.C تتضمن في الساعة الواحدة حالتين من العنف المثير للمشاعر[٣٥]، وجميعها لها تأثيرها وأضرارها على ثقافة المجتمع.

أما في برامج الأطفال التليفزيونية المستوردة فإنها تتضمن مظاهر سلبية كثيرة، منها زج الطفل الخليجى في متناقضات لا علاقة لها بواقعه أو ثقافته، هذا بالإضافة الى العنف بكافة أشكاله وصوره، والجنس، والعدوان، والخداع، والمغالطات التربوية والخرافات، والأفكار التى تتسم بالزيف والتحريف، كما لا تتضمن نسق قيم متماسك، بخلاف نزعتها الاستهلاكية، كما تتضمن قدرا من القيم غير المرغوب فيها، حيث تقدم نماذج تسعى الى التحطيم والدمار، واستخدام القوة والعنف في تحقيق أغراضها الذاتية، مما يجعل منها أداة سلبية للتكيف الاجتماعى، وتعمل على اضعاف الانتماء الى الوطن ومنطقة الخليج، كما تعمل على توسيع قاعدة الاغتراب في المستقبل القريب، والاغتراب تعبير عن عدم الرضا، والرفض للمجتمع وثقافته، وجوهره الشعور بالفقدان، وأخطره فقدان الذات، ويرتبط بها شعور بالخوف والوحدة وعدم الاحساس بتكامل الشخصية واتزانها، ويخشى من أثرها عليهم، وفقدان ثقتهم بأنفسهم وعدم التزامهم وتسيبهم، وتؤكد الدراسات أن كمية العنف في برامج الأطفال الأجنبية اكبر بكثير بالمقارنة مع برامج البالغين، فكل ساعة من برامج الأطفال تحتوى على ٢٥ فعلا عنيفا بالمقارنة مع خمسة أفعال عنيفة في كل ساعة من برامج البالغين[٣٦]، كما تشير الدراسات أن أفلام الكارتون Cartoon F. تزداد بها مظاهر العنف مع الحيوانات أو الطيور أو حوادث الطبيعة.

للدراسة صلة في العدد القادم بإذن الله تعالي

مراجع الدراسة :

(١) د. محمد الرميحى، الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون!، في الطفل العربي والمستقبل، كتاب العربى الثالث والعشرون، مجلة العربي، ابريل ١٩٨٩م، ص ١١.

(٢) حمدى قنديل وآخرون، شبكة تليفزيون الخليج، تقرير اليونسكو، (استنسل)، ص ١٤

- سعود دهلوى، الواقع التليفزيونى في منطقة الخليج قبل ظهور الأقمار الصناعية، ورقه مقدمة لندوة البث والاستقبال التليفزيونى المباشر عبر الأقمار الصناعية في منطقة الخليج العربي، العين، جامعة الامارات العربية المتحدة ٨ ـ ١٠ مايو ١٩٩٤م ص ٠٧

(٣) Berwanger, Dietrich, Television in the third world, New Technology and social

- منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) وضع الاطفال في العالم ١٩٩٢م، عمان، المكتب الاقليمى للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ص ٧٩.

(٤) د. سمير محمد حسين، الاعلام التليفزيونى الخليجى والتنمية الشاملة، عدد ١٣، سلسلة بحوث ودراسات تليفزيونية، الرياض، جهاز تليفزيون الخليج، ١٩٨٨م، ص ٢٩.

(٥) ولبرشرام وآخرون، التليفزيون وأثرة في حياة أطفالنا، (مترجم) المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥م ص ٤٧ ـ ٤٨.

- د. عبد الفتاح أبو معال، أثر وسائل الاعلام على الطفل، ط١ ، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع ١٩٩٠م ص ٤٧.

- د. نواف عدوان، الطفل والتليفزيون، عدد [٢] الاذاعات العربية، اتحاد الاذاعات العربية، ١٩٩٠م، ص ٥٧.

- د. ابراهيم إمام، الاعلام الاذاعى والتليفزيونى، ط ٢، دار الفكر العربي ١٩٨٥م ص ٢٣٠.

- اتحاد إذاعات الدول العربية، برامج الأطفال في الراديو والتليفزيون، حلقة دراسية، عدد ٧ ، سلسلة دراسات وبحوث إذاعية، القاهرة، مؤسسة روز اليوسف.

(٦) د. سمير محمد حسين، مرجع سابق ص ٧٠ ـ ٧١.

(٧) Berwanger Dietrich, Low cost film and T.V. Production in Developing countries, Germany, FES, 1976, PP. 202 - 203.

(٨) د. محمد معوض، المدخل الى فنون العمل التليفزيونى، دار الفكر العربي، ص ١٠.

(٩) المرجع السابق ص ١٩٢.

(١٠) د. محمد معوض، برامج الرسوم المتحركة الموجهة للأطفال عبر القنوات التليفزيونية الفضائية لدول الخليج العربي، الواقع والمستقبل، في ندوة البث والاستقبال التليفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في منطقة الخليج العربي، العين، جامعة الامارات العربية المتحدة ٨ ـ ١٠ مايو ١٩٩٤م ص ٥ ـ ٦.

- وزارة الاعلام والثقافة، إذاعة وتليفزيون قطر، الكتاب السنوى ١٩٩٢م، مؤسسة الخليج للنشر والطباعة، ١٩٩٣م ص ١٧٣ ـ ١٧٨.

- الاعلام الداخلى بوزارة الاعلام بالمملكة العربية السعودية، الاعلام السعودى النشأة والتطور، الرياض، دار القمم للاعلام، ١٩٩٢م ص ١١٠.

(١١) د. خضير بن سعود الخضير، الاهتمام بالطفل دليل على الرقى، العدد السابع السنة الخامسة، دراسات دولة الامارات العربية المتحدة ١٩٩٤م ص ٢٧٦.

(١٢) منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) مرجع سابق ص ٧٩.

(١٣) د. سعدية بهادر، من أنا، البرنامج التربوى النفسى لخبرة من أنا الموجهة لأطفال الرياض بين النظرية والتطبيق، الكويت، مؤسسة التقدم العلمى ووزارة التربية ١٩٨٣م، ص ١٠٨ ـ ١١١.

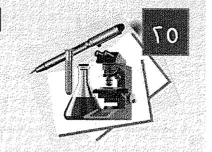
(١٤) وزارة الاعلام بدولة قطر، نمط الاستماع والمشاهدة لبرامج الاطفال في كل من إذاعة وتليفزيون قطر، الشركة الحديثة للطباعة ١٩٨٥م، ص ١١٥.

(١٥) المرجع السابق ص ٢٦٩.

(١٦) وزارة الاعلام بالكويت، إدارة البحوث والترجمة، بحث استطلاع آراء المواطنين في بعض البرامج التلفزيونية، مطبعة حكومة الكويت ١٩٩١م، ص ١٧.

(١٧) D.J.Jtephenson, Sattelite T.V., second Edition, Great Britain, Red-

wood Press Limited, PP. 21 - 24.
- د. محمد معوض ود. ياسين الياسين، موقف المشاهدين في دولة الكويت من القناة الفضائية المصرية بعد التحرير، دراسة ميدانية، الرسالة ٩٨، الحولية ١٠، ١٩٩٤م - ١٩٩٥م ص ١٩.
(١٨) الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربي بالتعاون مع كلية الهندسة جامعة الملك سعود، البث التليفزيونى المباشر عبر الأقمار الصناعية في دول مجلس التعاون، مطبعة الامانة العامة لمجلس التعاون الخليجية، ١٩٩١م، ص ٦١.
- سعد لبيب، العرب وأقمار البث التليفزيوني المباشر، عدد ١٤، سلسلة بحوث ودراسات تليفزيونية، الرياض، جهاز تليفزيون الخليج ١٩٩٠م ص ٣٠.
(١٩) وزارة الاعلام بالكويت، إدارة البحوث والترجمة مرجع سابق ص ١٧.
(٢٠) وزارة الاعلام بدولة قطر، مراقبة بحوث المستمعين والمشاهدين، بحث نمط الاستماع للبرنامج الانجليزى ومشاهدة القناة ٣٧ من إذاعة وتليفزيون قطر للناطقين باللغة الانجليزية، دراسة ميدانية، نوفمبر ١٩٨٥م ص ٤٥ - ٤٦.
(٢١) حوار مع الشيخ صالح كامل، مجلة الوطن ٣ ديسمبر ١٩٩٤م.
- حمدى قنديل محاضرة عن المؤتمرات الثقافية لوسائل الاتصال الحديثة سلبا وايجابا في الملتقى الفكرى الثانى لدول مجلس التعاون الخليجى، الكويت، مساء ١٣ ديسمبر ١٩٩٤م.
(٢٢) د. محمد معوض ود. ياسين الياسين، مرجع سابق ص ٦٥ - ٦٦.
(٢٣) مكتب التربية العربى لدول الخليج ، دليل المنظمات والهيئات الخليجية المشتركة، الرياض ١٩٨٢م ص ١٨.
(٢٤، ٢٥) مقابلة مع السيد عبد الوهاب سلطان، مدير عام مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك مع طلبة قسم الاعلام كلية الاداب جامعة الكويت، الفصل الدراسى الثانى العام الجامعى ٩٣/١٩٩٤م (مسجل على شريط كاسيت).
(٢٦) مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك، برنامج افتح يا وطنى أبوابك، مواصفات الشخصيات ومسرح الأحداث، يوليو ١٩٩٣م.
(٢٧) Michael Kunczik, Communication and social change, Germany, FES, 1991, P.27.
(٢٨) د. جيهان رشتى، التنسيق والتعاون في مجال التليفزيون عالميا وعربيا، عدد ٦ ، سلسلة بحوث ودراسات تليفزيونية، الرياض، جهاز تليفزيون الخليج ١٩٨٣م، ص ٧٤.
- د. محمد معوض - فنون العمل التليفزيونى، دار الفكر العربي، ص ٩٣ - ٩٤.
(٢٩) Michael Kunczik, op., Cit., - P.214
Berwanger Dietrich, television in - the third world op/, Cit.,P. 56.
(٣٠) جون كوندرى، سارق الوقت التليفزيون والطفل الأمريكى مجلة الثقافة العالمية العدد ٦٦ السنة الحادية عشرة، سبتمبر ١٩٩٤م، ص ١١٩.
(٣١) د. محمد معوض، برامج الرسوم المتحركة الموجهة للأطفال عبر القنوات التليفزيونية الفضائية لدول الخليج العربي، مرجع سابق ص ٢ - ٣.
(٣٢) سعود دهلوى، مرجع سابق، ص ٨.
(٣٣) د. محمد معوض، برامج الرسوم المتحركة الموجهة للأطفال عبر القنوات التليفزيونية الفضائية لدول الخليج العربي، مرجع سابق.
(٣٤) د. ابراهيم إمام، مرجع سابق ص ١٨٥.
(٣٥) د. عبد الله الشبيلى، نحو إعلام أفضل، ط ١، الرياض، مطبعة سفير ١٩٩٢م ص ٢٧٥.
(٣٦) جون كوندرى، مرجع سابق ص ١١٩.



رواج الغش على شاشة الدش!

احماض ادبية

قال ابن الشاطر[١]: جرى ذات يوم نقاش جاد وجدال حاد بيني وبين أستاذي الرياضي الفلكي نصير الدين الطوسي[٢] في مرصده بمراغة وسط حشد من الفلكيين المسلمين والهنود والصينيين، عندما تقدمت بجذاذات بحثي[٣]، وأعلنت أمامهم حقائق جديدة ونتائج مفيدة بأدلة عديدة[٤]:

وقلت : الأرض كوكبٌ صغير وليست نجماً.

والأرض تتحرك وليست ثابتة بل تدور حول الشمس.

والأرض تشبه الكرة أو البيضة، ولها تابع يدور حولها وهو القمر!

فانبرى لي أستاذي نصير الدين يرشقني بسهام أسئلته، ويلذعني بلهيب تعليقاته ليقنعني بأن الأرض ثابتة ثبات الشم الراسيات، ثمّ قال:

يا بنيّ، إن الأرض لا تدور، وإذا كانت تدور فكيف يمكن أن يرجع طير الى وكره؟!

قلت : هذا رأى أستاذك أبي الريحان البيروني[٥]، وقد نسى أن دوران الأرض يدير كلّ ما عليها، فكأنها بالنسبة الى ما عليها ساكنة لا تدور.

قال : أوَ تسفه رأي أبي الريحان البيروني، وهو من علمت علماً ونبوغاً، وأنت مازلت فرخاً لم ينم عذارك[٦] ولم يشتد عودك؟!

قلت : إنما المرء بأصغريه لسانه وقلبه، فلا تعيرني، وأنت الذي تكرر على مسمعي كل يوم:

تعلمْ فليس المرءُ يولدُ عالما
وليس أخو علم كمنْ هو جاهلُ
وإنَّ كبير القوم لا علم عنده
صغيرٌ إذا التفّتْ عليه المحافلُ!

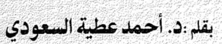
وأنا الفرخ أقول: إن الأرض تدور رغم أنفك وأنف البيروني وأنف أمير خوارزم! أو تظن أن الأرض راسية في قعر الكون ثابتة لا تتحرك يا أبا جعفر؟! فاستشاط غضباً، ثم قام فتوضأ، وأطرق هنيهة حتى سكت عنه الغضب.

فقال : لقد شوشت أفكاري، وأثرت أعصابي، فأتني بدليل من التنزيل الحكيم.

قلت : سبحان الله يا أبا جعفر، كأنك لم تسمع بقول الله تعالى: {وكلٌ في فلك يسبحون}[٧].

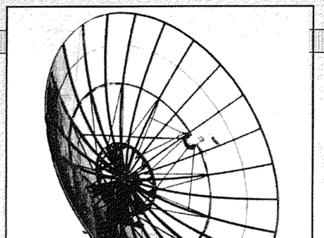
قال : الله اكبر، كأني لم أسمع بهذه الآية إلا الساعة، وكأن أبا الريحان البيروني لم يقرأها بعد!

قال ابن الشاطر: فلما انفض المجلس طلب مني أستاذي الطوسي أن أصحبه مع أبي البقاء العكبري[٨] في رحلة الى أبي الريحان البيروني في الهند للتثبت من نتائج بحثي، وبعد أيام أعددنا الزاد والخيل وانطلقنا من خوارزم الى الهند، والشيخ العكبري يحدثنا، ويقص علينا، ويشنف آذاننا بروائع المتنبي حتى وصلنا الى دار أبي الريحان فاستقبلنا



بقلم :د. أحمد عطية السعودي

- الأردن -



واكرمنا، ثم سأله الطوسي عن كروية الأرض ودورانها، فقال أبو الريحان: لله دركم، لقد حسمت هذه المسألة، وأصبح العالم قرية بالدِّش وأنتم في لغط ودَشّ!

قال الطوسي: كيف أصبح العالم قرية؟ لقد أعظمت الفرية .. إننا نراه واسعاً شاسعاً لو سار فيه جواد لما قطع نصفه في مائة سنة.

قال : بالدش يا أبا جعفر، ألا تعي ما أقول؟!

فهاب أبو جعفر أن يسأل أستاذه عن الدش، وآثر أن يصمت ويسمع.

فقلت : وما الدش يا عمي؟! فنظر إليَّ متعجباً من جرأتي عليه رغم صغر سني، والتفت الى الطوسي: مَنْ هذا الولد الصغير يا أبا جعفر؟

قال: هو تلميذي الفطن الذكي الملحاح الجرىء الذى سميته ابن الشاطر لفرط نباهته وشطارته!

قال أبو الريحان: يا شاطر، الدِّش جمعه دشات، ويدلع (دشدوش) أو (الستلايت البشوش). وهو طبق كبير يلتقط الموجات من الأثير، ويحولها الى صوت وصورة، فكأنك ساعتئذ في بخارى أو المنصورة أو عند ملك في مقصورة أو بين يدي عالم خبير في امريكا أو بلد شكسبير[٩].

قلت : ما تعني يا عمي بامريكا وشكسبير؟!

قال : امريكا بلد اكتشفه رجل عربي اسمه الأمير «كا» فسميّ باسمه، أما شكسبير فرجل عربي اسمه الشيخ زبير هاجر الى لندن فحرفوا اسمه، وحلقوا رأسه، وسرحوا شعره فاشتهر فيهم بالمسرحي!

قلت : كيف يكون العالم بين يديك مجموعا في طبق لا يسع عشر بيضات؟!

قال : ليس طبق أكل يا جائع، بل طبق يلتقط الصور والأخبار التى تبثها الأقمار، ولكل قمر صناعي مدار كأقمار الروس والفرنسيس والإنجليز وعربسات!

قلت : منْ هم عربسات يا أبا الريحان ؟!

قال : يا شاطر ، العرب ثلاثة أقسام : عرب عاربة، وعرب مستعربة، وعرب سات!

أما العرب العاربة والمستعربة فأهل الكرم والنخوة، والحق والقوة ، والمجد والعزة.

وأما عربسات فهم قوم قريط بن أنيف[١٠] الذين قال فيهم:

لكنَّ قومي وإنْ كانوا ذوى عدد
ليسوا من الشّر في شيء وإنْ هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة
ومن إساءة أهل السوء إحسانا
فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا
شدّوا الإغارة فرساناً وركبانا!

وسات من السُبات، وهو النوم العميق. وفي رطانة العجم تعني: المتفرغ للهو والمتعة الذى كسر قلمه ورمى سيفه، وإذا ما استنهضت همته ترنح وتبطح وترنم مع النواسي:

دعْ عنك لومي فإنَّ اللوم إغراء
وداوني بالتى كانت هي الداء!

قال العكبري: لم لا يكونون متوحدين متعاونين متآلفين، ولسان حالهم في المشهد والمغيب:

إنّا إذا اشتد الزمان
وناب خطبٌ وادلهم

ألفـــيت حـــول بيـــوتنا
عُـــدد الشـــجــاعـــة والكرمْ ؟!

قــال : يا أبا البـقــاء، أنت شــارح ديوان المتنبي، وأوعى الناس بما فيه، ألم يمرّ بك قوله:

على قـــدر أهل العـــزم تأتى العـــزائمُ
وتـأتي علـى قـــــدر الكرام المكارمُ!

قلت : يا عــمي، يا أبا الريحــان، أرنا ننظر إلى الدّش فنسر ونبش. فأخذنا الى غرفة مجاورة فلما رأيته:

لم أدر جنِّيٌ ســـبـــاني أم بشــــر
أم شــمسُ ظهـر أشـرقتْ لي أم قـمـرْ!

قــال أبو جـعـفـر الطوسي: مـا شــاء الله، هـذا هو السـحر الحـلال، والابداع الباهر تستحضر به صور الناس من كابل أو مكناس أو بكين أو تكسـاس، ولكن بأيّ شيء تقلب هذه المحطات يا أبا الريحان؟!

قــال: بالريموت كـونتـرول ! قــال: أهـو اسم ملك الجن؟! قال: كلا يا أبا جعفر، بل اسم جهاز صغير يتحكم بالقنوات الفضائية طوع أصابعك ورهن مزاجك، ومشتهى آمالك وبه تنعم حياتك ولسان حال الريموت يدعوك:

نقّلْ فؤادك حيث شئتَ من الهوى!

قلتُ : يا عمي، أيسيل من القنوات الفضائية ماء يشرب منه الناس ويسقون دوابهم؟!

قال : بل يسيلُ منها صديد الفاحشة، وقطران الخلاعة، وسُمّ الإلحاد والانحلال إلا بعضها فإنك واجدٌ فيها ما يغذّى الروح، ويشحذ الهمة، ويُعلي الصروح، وقليل ما هي.

قال أبو جعفر: إنها إذن مُفسدة للعيش، ومذلة للنفس، ومجلبة للبؤس، وقد:

ذلَّ منْ يغـــبطُ الذليل بعـــيش
رُبَّ عــيش أخفُّ منه الحـمــامُ[١١]

قال أبو الريحان : رويدك أبا جعفر، فلو سمعك المخدوعون بالدش لا تهموك بالرجعية والظلامية والكلاسيكية والتطرفية والتخلفية والدكتاتورية والملوخية!

قال أبو البقاء العكبري: الآن فهمتُ ما استصعبت من شعر المتنبي وتبين لي أن هذه الرائية على لسان الدّش:

إني لأنشـــرُ في أرجـــاء قـــرطبـــة
سُـمّي وبالصين أخـزى بنت يغـبـورا
أزورُ تلك وهذي غـــيـــر مكتـــرث
في ليلة قـــبل أن اســتـــوضح النورا
ولا يـراني جـنـيٌ ولا بـشـــــــرٌ
إلا وغـــادرتُهُ كـســلان مـــثـبـــورا
أمــتعُ العُــرْبَ إفـســاداً لنسـوتهـا
والروم والتُّــرك والأكــواخ والدُّورا[١٢]

قال أبو الريحان : إلا تكف هذه الفضائيات عن الغش والخداع فسيكون مصيرها كبقرة الغشاش الطماع!!

قلتُ : وكيف كان ذلك؟

قال : زعموا أن رجلا طماعاً كانت له بقرة، وكان يحلبها كُل يوم، ويمذق[١٣] لبنها بماء كثير ويبيعه للناس غاشاً لهم، وذات ليلة دهم سيل غزير فجرف البقرة وأهلكها، وفي الصباح لم يجد الرجل بقرته، فطفق يفتش عنها، فقالت له ابنته الصالحة: عُدْ يا أبت لقد أغرقها الماء الذى تمذقه باللبن!

قال أبو جعفر: ما أدري ولستُ إخال أدري كيف يبيح الوالدان لأولادهم المراهقين، وبناتهم العرائس أن يتابعوا العروض السخيفة، ويشاهدوا المناظر المنكرة واللقطات الخليعة؟!

قال أبو البقاء: لا عجب، فقد قال فيهم المتنبي: من يهُنْ يسهل الهوانُ عليه!

قلتُ : يا أستاذ، هل جُبل هذا الدّش على الفساد، فلا مجال لإصلاح أو اجتهاد؟

قال : إذا صلحت نفوس القائمين عليه طاب وأثمر وأنتج وأزهر، وإن فسدت فقد اتسع الخرق على الراقع، وهلك الراعي والراتع، وأثم الرائي والسامع، ثم أنشد:

تعستْ حضارةُ أمّة قد أسلمت

للفاجرين عنانها لقياد!

قال أبو البقاء: والله ما الهند لي بدار، ولا الدّشُ لي بجار، وإني عازم على الفرار، وعندي

رغيفُ خبز يابس

تأكلُهُ في زاويةْ

وكوزُ ماء بارد

تشربُهُ منْ صافيةْ

وغرفةٌ ضيقةٌ

نفسُك فيها خاليةْ

خيرٌ من الدشات في

ظل القصور العاليةْ[١٤]

قال أبو الريحان البيروني: إذا رجعتم الى خوارزم فالتمسوا كتابي «الاستيعاب في صنعة الأسطرلاب» فإني سأوشحه بذيل جديد جذّاب أشهى للعاقل من الرُّضاب، وسأجعل عنوانه: «رواج الغشّ على شاشة الدِّشّ»!!

الهوامش :

(١) ابن الشاطر: فلكي شهير، قال بدوران الأرض حول الشمس، وأخذ عنه كوبرنيكس، كان يعمل في جامع دمشق في ١٣٥٠هـ، وقد أفاد من آراء نصير الدين الطوسيّ.

(٢) نصير الدين الطوسي:

أبو جعفر رياضي فلكي، أشرف على عدد من الفلكيين المسلمين والهنود والصينيين، وحرّر كتب المتوسطات، وصنف في الجبر والمقابلة. ت ٦٧٢هـ.

(٣) جُذاذات: جمع جذاذة، وهى قطعة الورق التى تشبه بطاقات البحوث.

(٤) عديدة: بمعنى كثيرة وليست هنا بمعنى معدودة أو قليلة، أجاز ذلك مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٥) أبو الريحان البيروني:

فيلسوف ورياضي وفلكي ومؤرخ، من أهل خوارزم، أقام في الهند، وله جهاز في تقدير الثقل النوعي، ألف «تاريخ الهند» والاستيعاب في صنعة الأسطرلاب». قال عنه المستشرق الألماني، ادور سخاو: إنه أعظم عقلية عرضها التاريخ. ت ٤٤٠هـ.

(٦) عذار الغلام: جانب لحيته (ج) عُذُر.

(٧) سورة يس/ آية ٤٠.

(٨) أبو البقاء العكبري: عبد الله بن الحسين، لغوي نحوي له «شرح ديوان المتنبي» و«إملاء ما مَنَّ به الرحمن من إعراب القرآن» ت٦١٦هـ - ١٢١٩م.

(٩) شكسبير: شاعر إنجليزي مسرحي، له مكبث، وهملت، وتاجر البندقية، والملك لير وغيرها ت ١٦١٦م.

(١٠) قريط بن أنيض :

شاعر إسلامي، أغار على إبله الثلاثين ناس من بني شيبان فأخذوها فاستنجد قومه فلم ينجدوه، فأتى مازن تميم فركب معه نفرٌ فاطردوا لبني شيبان مائة بعير فدفعوها إليه فقال هذه الأبيات ومطلعها:

لو كنتُ من مازن لم تستبح إبلي

بنو اللقيطة من ذُهْل بن شيبانا!

(١١) الحمام : الموت.

(١٢) جرى تغيير في بعض كلمات الأبيات، وهي ليست للمتنبي. يغبور: لقب ملك الصين. (انظر أصل الأبيات في رسالة الغفران، تحقيق على شلق، ط ١/ ١٩٧٥ ص ١٢٤).

(١٣) مذق : اللبن والشراب بالماء : مزجه وخلطه.

(١٤) هذه الأبيات لأبي العتاهية. أصل البيت الأخير: خيرٌ من الساعات في ...

لغتنا الجميلة .. أين هي من الإعلام؟!

** «خطؤكم في رميكم أهون عليَّ من خطئكم في كلامكم»

ثمة أخطاء لغوية يقع فيها الأساتذة المتحدثون في البرامج بشتى أنواعها ومجالاتها المسموعة منها والمرئية.. لا سيما عندما تصغي الى المقابلات الأدبية عبر وسائل الإعلام المختلفة تسمع تخبطاً لغوياً، وكذلك ترجمة الأفلام الأجنبية.. حيث المئات من الأغلاط التى (تصم الآذان) كما يقولون. بله سُقم الترجمة في أحيان كثيرة حيث لا يفهم منها شيء، إضافة الى ركاكة لغتها وفسولتها.

يؤكد ذلك وجود عدة مؤلفات في المكتبة العربية حول الأغلاط في الإعلام المقروء ورغم ذلك نجد الاغلاط مستمرة، بل دائمة.

ومن تلك المؤلفات : كتاب صدر في أواخر القرن الماضي بعنوان: «مغالط الكتاب ومناهج الصواب» بقلم الأب جري جنن البولسي - مطبعة القديس بولس - حريصا (لبنان) - دون تاريخ. وكتاب «إصلاح الفاسد من لغة الجرائد» المطبوع في نهاية الربع الأول من هذا القرن (تأليف: محمد الجندي - مطبعة الترقي)..

وما نلاحظه من خلال متابعتنا للشاشة الصغيرة - التلفزيون - كما في قول المذيع «الأرصاد الجوية» خطأ، والصواب: أن نقول الرصد الجوي، ناهيك أنه يكرر الخطأ عشرات المرات، وكما في قوله «حالة الطقس» وفي كل صحيفة نقرأ - على الأغلب - «الطقس هذا اليوم» ويقصد به حالة الجو، (والطقس) غير صحيح. لأنه لا يوجد جذر في اللغة العربية في الحروف الثلاثية (ط ق س)، ويتصل بهذا الخطأ، خطأ آخر، يستعمل كثيراً وهو (الطقوس)، فنقول: الطقوس الشرقية أو الطقوس الدينية، ونقصد به الشعائر أو العادات أو التقاليد، فكلمة «الطقوس» غير صحيحة، والصواب أن نقول: التقاليد أو العادات الشرقية والشعائر الدينية، وجاءت كلمة

بقلم : عبدالحميد غزي بن حسن - سوريا

الشعائر: المقصود بها: أعمال الحج، أو كل ما جعل علماً لطاعة الله، أو ما ندب الله إليها وأمر القيام بها. قال تعالى في سورة المائدة: **{يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله}**[١] ، والأخطر في ذلك، ومن باب التسلية اللغوية في حياتنا اليومية، حيث راجت هذه الأيام، كلمة (سفاري) لتدل على هذا النوع من ملابس الرجال، وقد جاءتنا هذه الدرجة - أي الموضة - من بلاد الغرب، لأن هذه الكلمة تطلق هناك بمعنى رحلة الصيد، وأصلها العربي واضح كل الوضوح، والذاهب الى رحلة الصيد يرتدي زياً خفيفاً، فانتقلت لفظة «سفاري» من الرحلة الى دلالة الملابس التى نراها اليوم. وكذلك كلمة «دير» الأثرية التى لا نزال نجد تخبطاً في جمعها من «أديرة» والى... الخ، والصواب «أديار».

وإضافة الى ما سبق، من الأغلاط الشائعة في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية:

- جاء «نفس الرجل»، ورأيت «ذات المرأة».

فقد استعمل لفظا «نفس» و«ذات» للتوكيد في غير سياقهما الفصيح الصحيح، ذاك أن لفظ التوكيد المعنوي: «جميع - نفس - عين - كل... الخ» ينبغي أن يرد بعد الاسم المراد توكيده أولا، ويشترط ثانياً لإقامة التوكيد بهذه الألفاظ أن تضاف الى ضمير يعود على المؤكد ويناسبه[٢]، فيقال: «جاء الرجل نفسه» و«رأيت المرأة ذاتها».

- إن كلمتي «سوى» و«غير» هما من أدوات الاستثناء، تردان هكذا دون إدخال «ال» التعريف عليهما، والغلط الصراح في تعريفهما، كأن يقال: وهذا «السوى» من الكائنات. وهذه الألفاظ «الغير» مفهومة. والصواب أن يقول: «وسوى هذا من الكائنات» و«هذه الألفاظ غير المفهومة»، ويدخل في هذا النوع من الغلط تعريف لفظ «بعض».. فإنها لا تعرف على الإطلاق.

- استخدام «لام» الاختصاص والملك في غير موضعها يؤدي الى ركاكة وضعف في تركيب الجملة اللغوي، وقد كثر ذلك في السنوات الأخيرة، حتى بات نتيجة التكرار والتواتر، وكأنه صواب. وصحيح (لام) الاختصاص في قولنا: «الجنة للمؤمنين» على سبيل الاختصاص. وصحيح (لام) الملك في قوله سبحانه: **{له ما في السموات وما في الأرض}** على سبيل الملك[٣].

- ونغلط حين نقول «في السن المبكرة للطفل»، فالأصح أن نقول «في سن الطفل المبكرة» فلفظ «المبكرة» هو صفة لكلمة «سن» ويجانبون الصواب عندما يقولون في نشرات الأخبار: «جرى ذلك إثر قتل الجنود الإسرائيليين لاثنين من الفلسطينيين» وكان يجب أن يقال: «..اثنين من الفلسطينيين» لأن كلمة «اثنين» هي معمول المصدر المضاف الذي يعمل عمل الفعل المبني للمعلوم، فهي إذاً «مفعول به».. ولا سيما عندما يعدي بعض المذيعين (فعل قرض) الى مفعول، فيقولون: قرضت فلاناً مبلغاً من المال، وهذا غير صحيح، وصوابه: أقرضت فلاناً مبلغاً من المال.

- ويكثر الغلط في فتح همزة «أن» أو كسرها، وهي واجبة الفتح في المواضع التالية:

بعض المذيعين قصَّروا قامة لغتنا الخالدة باخطائهم

١ ـ أن يكون للمصدر المؤول منها ومن معموليها محل للإعراب: الفاعل «أو لم يكفهم أنا أنزلناه»[٤] أي: إنزالنا، أو نائب الفاعل **{قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن}**[٥].

٢ ـ أن تقع مفعولا لغير القول **{ولا تخافوا أنكم أشركتم بالله}**[٦].

٣ ـ أن تقع في موضع رفع بالابتداء **{ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة}**[٧]، أو أن تقع في موضع الخبر «اعتقادي أنك فاضل».

٤ ـ أن تكون مجرورة بالحرف **{ذلك بأن الله هو الحق}**[٨] أو أن تكون مجرورة بالإضافة **{إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون}**[٩].

٥ ـ أن تقع تابعة ـ على سبيل العطف أو البدل **{اذكروا نعمتي التى أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين}**[١٠].

٦ ـ أن تقع بعد «لولا» و«لو» و«إلا» نحو «لولا أنك تعمل لاحتجت الآخرين» و«لو أنه عمل لتصدى للفقر» و«تعجبني أخلاقه إلا أنه كثير النسيان»[١١].

ـ ويجب كسر همزة «إن» في المواضع التالية:

١ ـ في ابتداء الكلام **{إنا أعطيناك الكوثر}**[١٢]، وأن تقع في أول الصلة **{وآتيناه من الكنوز ما إنَّ مفاتحه لتنوء}**[١٣]، أو في أول الصفة «مررت برجل إنه فاضل» أو في أول الجملة كقوله تعالى: **{كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون}**[١٤].

٢ ـ وثمة مواضع أخرى، كأن تأتي في أول الجملة المضاف إليها ما يختص بالجمل نحو «جلستُ حيث إن زيداً جالس» أو أن تقع قبل اللام المعلقة نحو **{والله يعلم إنك لرسوله}**[١٥]، أو أن تقع محكية بالقول نحو **{قال إني عبد الله}**[١٦]، وأن تقع جواباً للقسم كقوله تعالى: **{حم والكتاب المبين إنا أنزلناه}**[١٧]، وأن تقع خبراً نحو «زيد إنه فاضل».

٣ ـ وليس من ضابط في الإعلام المسموع أو المرئي لضبط هذه الهمزة، فقد يكسرونها حيث ينبغي أن تفتح كقولهم «وأضاف إن» وقد يفتحونها حيث ينبغي أن تكسر كقولهم «قال أن».

والسؤال الذى يلوح في الأفق:

«من أين تتسرب الأغلاط إلى وسائل الإعلام ؟!».

(١) لابد من الإقرار بأن ثمة ضعفاً عاماً، فى مستويات الدراسة، في اللغة العربية، يتجلى في النحو والصرف والبلاغة.. والإملاء.. واللغة ذاتها. وهذا يرجع الى قلة الحصيلة العلمية عند المعلمين أنفسهم.

(٢) الترجمة الرديئة، واحدة من مجالات الإسهام الواسعة في الأغلاط اللغوية، نتيجة ذلك تسربت تراكيب إلى اللغة العربية، هجينة تماماً، من مثل قولهم: «كلما كثر الغيم، كلما كثر المطر» ومعروف أن «كلما» المصدرية الظرفية، لا تحتاج إلى تكرارها في الجواب مرة ثانية، قال الشاعر:

كلما أنبت الزمان قناة
ركّبَ المرء في القناة سنانا

ولتلافي تلك الاخطاء ينبغي علينا أن نحسن استخدام اللغة وفق أصولها وقواعدها وبشيء من

الدقة، والسطوع بجمالها وحقيقتها، لأن ما يقال ويكتب ينشر ويقرأ وإن يكن في دائرة ضيقة، فيتسرب إلى سلائق الأجيال وألسنتهم، بإسفافها وأخطائها واضطرابها.. من جهة، ونحن المربين والكتاب والمذيعين ومقدمي البرامج وعلى خشبة المسارح.. علينا أن نقدم لغة سليمة، نتحرى صفاءها ونبعد عن الأخطاء الشائعة.. لأن اللغة بحد ذاتها وعاء الفكر، والفكرة النقية يجب أن تقدم في وعاء نقي.. والواجب لا يقتضي الاكتفاء بالتثقيف الشخصي، بل يتعداه إلى تثقيف اللغة، وذلك بعدم التساهل في حق اللغة، وعدم الرضا بإلقاء الحبل على الغارب والأخذ فقط بخط اللغة.. ولا يصح بأي حال أن نعد الفكرة هي الأساس، وإن اللغة تأتي في المحل الثاني أو الثالث أو العاشر، وعلينا أن نكشف عن فاعلية العربية وامكاناتها للتعبير العلمي والفني[١٨].

ومع ذلك، يبقى الأمر المهم هو أن نرتقي بوسائل إعلامنا المسموعة والمرئية إلى درجة تقل معها الأغلاط إلى الحدود الدنيا، والعلاقة بيننا وبين هذه الوسائل جدلية، فهي تؤثر فينا مثلما نؤثر فيها.. وحسبنا تدوين هذه المقترحات بغية تحسين الأداء:

١ - يجب تقديم دروس تقوية في مسائل اللغة العربية ونحوها وصرفها، يشارك في الاستماع إليها مقدمو البرامج والمترجمون.

٢ - ضرورة وجود دائرة من المراجعين المدققين اللغويين ذوي الأهلية، يتابعون نشرات الأخبار والبرامج والأعمال المترجمة، من أجل تصويب ما يرد فيها من أغلاط ولفت أنظار المسؤولين عنها مباشرة، ويمكن استشارتهم في أثناء إعداد نشرات الأخبار.

٣ - عرض ترجمات الأفلام والتمثيليات والبرامج الأجنبية، على المراجعين المدققين اللغويين قبل طباعتها وتسجيلها على الأشرطة، على أن يكون هذا شرطاً لشرائها أو مبادلتها[١٩].

٤ - إصدار نشرة بأهم الأغلاط مع تصويبها.. وتعميمها على العاملين الرئيسيين في الإذاعة والتلفزيون.

الهوامش :

(١) سورة المائدة - الآية/ ٢.

(٢) «شذور الذهب في معركة كلام العرب» لابن هشام - شرحه محمد محي الدين عبد الحميد - مصر الجديدة - يوليو ١٩٤٨م ص ٤٤٢ فما بعد.

(٣) «أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد» تأليف: سعيد الخوري الشرتوني - مطبعة اليسوعية - بيروت - سنة ١٩٨٩م.

(٤) سورة العنكوت / ٥١.

(٥) سورة الجن / ١.

(٦) سورة الأنعام / ٨١.

(٧) سورة فصلت / ٣٩.

(٨) سورة الحج / ٦ .

(٩) سورة الذاريات / ٢٣.

(١٠) سورة البقرة / ٤٧.

(١١) «الواضح» محمد زرقان الفرخ ص ١٨٠.

(١٢) سورة الكوثر / ١.

(١٣) سورة القصص / ٧٦.

(١٤) سورة الانفال / ٥.

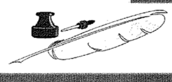
(١٥) سورة المنافقين / ١.

(١٦) سورة مريم / ٣٠.

(١٧) سورة الدخان / ١.

(١٨) «الجزيرة» العدد ٨٢٧٦ لعام ١٩٩٥م.

(١٩) «اللغة العربية الفصيحة في العصر الحديث» تأليف: سمر روحي الفيصل، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق ١٩٩٣م.



الفروق في اللغة

الفرق بين ملك ومالك

عندما يقرأ الإنسان قوله تعالى ﴿مالك يوم الدين﴾ من سورة الفاتحة، ثم يرجع الى كتب التفسير أو بالأحرى الى كتب القراءات، يجد أنها تقول إن هناك قراءة بـ (ملك) وقراءة بـ (مالك)، فيخيل إليه أن لا فرق بينهما ما دام أنهما قراءتان قرأ بهما النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، لكن العلماء لا تمر عليهم مثل هذه الأمور دون تمحيص وتحقيق، وبيان الفرق بين الكلمتين، وقد قال الإمام القرطبي عن القراءتين في هاتين الكلمتين ما يلي :

قوله تعالى {مالك يوم الدين} قرأ محمد بن السُميقع بنصب مالك، وفيه أربع لغات َمالك ومَلِك ومَلْك - مخففة من مَلِك - ومليك.

قال الشاعر :

وأيام لنا غر طوال

عصينا الملك فيها أن ندينا

وقال آخر :

فاقنع بما قسم المليك فإنما

قسَم الخلائق بيننا علامُها[١]

الخلائق : الطبائع التى جبل الإنسان عليها.

وروي عن نافع : إشباع الكسرة في مَلِك ، فيقرأ ملِكي على لغة من يشبع الحركات وهي لغة للعرب ذكرها المهدوي وغيره اهـ [٢].

وقد تولى الإمام القرطبي - رحمه الله رحمة واسعة - بيان الفرق في هذه المسألة، كما تولى النقل عن العلماء، فقال:[٣]

اختلف العلماء أيهما أبلغ مَلِك أو مالك، والقراءتان مرويتان عن النبي {صلى الله عليه وسلم} وأبي بكر وعمر، ذكرهما الترمذي.

فقيل : ملك أعم وأبلغ من مالك، إذ كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكاً؛ ولأن أمر الملك نافذ على المالك في ملكه حتى لا يتصرف إلا عن تدبير الملك ، قاله أبو عبيدة والمبرد.

وقيل : مالك أبلغ؛ لأنه يكون مالكا للناس وغيرهم، فالمالك أبلغ تصرفاً وأعظم، إذ إليه إجراء قوانين الشرع، ثم عنده زيادة التملك.

وقال أبو علي : حكى أبو بكر بن السراج عن بعض من اختار القراءة بملك، أن الله سبحانه قد وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله {رب العالمين} فلا فائدة في قراءة من قرأ مالك لأنها تكرار.

قال أبو علي : ولا حجة في هذا؛ لأن في



بقلم : د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

التنزيل أشياء على هذه الصورة: تقدم العام ثم تذكر الخاص، كقوله {هو الله الخالق البارىء المصور}[٤] فالخالق يعم، وذكْر المصَوّر لما فيه من التنبيه على الصنعة ووجود الحكمة، وكما قال تعالى {وبالآخرة هم يوقنون}[٥] بعد قوله {الذين يؤمنون بالغيب}[٦] والغيب يعم الآخرة وغيرها، ولكن ذكرها لعظمها، والتنبيه على وجوب اعتقادها، والرد على الكفرة الجاحدين لها، وكما قال {الرحمن الرحيم} فذكر الرحمن الذي هو عام، وذكر الرحيم بعده لتخصيص المؤمنين به في قوله {وكان بالمؤمنين رحيما}[٧].

وقال أبو حاتم : إن مالكا أبلغ في مدح الخالق من ملك، وملك أبلغ في مدح المخلوقين من مالك.

والفرق بينهما : أن المالك من المخلوقين قد يكون غير ملك، وإذ كان الله تعالى مالكا كان ملكا، واختار هذا القول القاضي أبو بكر بن العربي، وذكر ثلاثة أوجه:

الأول : أنك تضيفه الى الخاص والعام فتقول مالكُ الدار والأرض والثوب، كما تقول مالك الملوك.

الثاني : أنه يطلق على مالك القليل والكثير، وإذا تأملت هذين القولين وجدتهما واحدا.

الثالث: أنك تقول مالك الملك، ولا تقول ملك الملك.

قال ابن الحصار: إنما كان ذلك لأن المراد من مالك الدلالة على الملك - بكسر الميم - وهو لا يتضمن المُلك - بضم الميم - وملك يتضمن الأمرين جميعا، فهو أولى بالمبالغة، ويتضمن أيضاً الكمال، ولذلك استحق الملك على من دونه؛ ألا ترى إلى قوله تعالى {إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم}[٨] ولهذا قال عليه السلام «الإمامة في قريش»[٩]، وقريش أفضل قبائل العرب، والعرب أفضل من العجم وأشرف، ويتضمن الاقتدار والاختيار، وذلك أمر ضروري في الملك، إن لم يكن قادراً مختاراً نافذا حكمه وأمره، قهره عدوه وغلبه غيره وازدرته رعيته، ويتضمن البطش والأمر والنهي والوعد والوعيد، ألا ترى إلى قول سليمان عليه السلام {ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا}[١٠] الى غير ذلك من الأمور العجيبة والمعاني الشريفة التى لا توجد في المالك.

قلت : وقد احتج بعضهم على أن مالكا أبلغ؛ لأن فيه زيادة حرف، فلقارئه عشر حسنات زيادة

عمن قرأ ملك؟

قلت: هذا نظر الى الصيغة لا إلى المعنى، وقد ثبتت القراءة بملك، وفيه من المعنى ما ليس في مالك على ما بينا، والله أعلم.

قال الإمام القرطبي (المسألة) السادسة عشرة:

لا يجوز أن يتسمى أحد بهذا الاسم، ولا يدعى به إلا الله تعالى.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض»[١١] وعنه أيضا عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال «إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك» زاد مسلم «لا مالك إلا الله عز وجل»[١٢].

قال سفيان : مثل شاهان شاه.

وقال احمد بن حنبل : سألت أبا عمرو الشيباني عن أخنع؟ فقال: أوضع، وعنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه رجل كان يسمى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله سبحانه»[١٣].

قال ابن الحصار: وكذلك ملك يوم الدين ومالك يوم الدين ، لا ينبغي أن يختلف في أن هذا محرم على جميع المخلوقين كتحريم ملك الأملاك سواء.

قال القرطبي : وأما الوصف بمالك وملك وهي (المسألة) السابعة عشرة، فيجوز أن يوصف بهما من اتصف بمفهومهما، قال الله العظيم {إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً}[١٤]، وقال {صلى الله عليه وسلم} «ناس من أمتي عرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة»[١٥].

قال القرطبي: إن وصف الله سبحانه بأنه ملك كان ذلك من صفات ذاته، وإن وصف بأنه مالك، كان ذلك من صفات فعله.اهـ.

الهوامش :

(١) انظر تفسير الطبري ١٨٣/١٣.
(٢) تفسير القرطبي ج ١ ص ١٣٩ ـ ١٤٠.
(٣) تفسير القرطبي ج ١ ص ١٤٠ ـ ١٤٣.
(٤) الحشر/ ٢٤.
(٥) البقرة/ ٤.
(٦) البقرة/ ٣.
(٧) الأحزاب/ ٤٣.
(٨) البقرة/ ٢٤٧.
(٩) صحيح البخاري ٢٦١١/٦، صحيح ابن حبان ٤٤٥/١٠، سنن البيهقي الكبرى ١٤٤/٨.
(١٠) النمل/ ٣١.
(١١) صحيح البخاري ٢٣٨٩/٥ ـ ٢٦٨٨/٦، صحيح مسلم ٢١٤٨/٤.
(١٢) صحيح البخاري ٢٢٩٢/٥، صحيح مسلم ١٦٨٨/٣، سنن أبي داود ٢٩٠/٤.
(١٣) المراجع نفسها.
(١٤) البقرة/ ٢٤٧.
(١٥) صحيح البخاري ١٠٢٧/٣ ـ ٢٣١٦/٥، صحيح مسلم ١٣٣٠/٣ و ١٥١٨، صحيح ابن حبان ٥١/١٥.

اعد الحوار : **هيثم يحيى الخواجة** - الامارات



د. عبد الكريم الأشتر

التراث.. والمعاصرة المعادلة الصعبة..!

المنهل في حوار مع: الاستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر

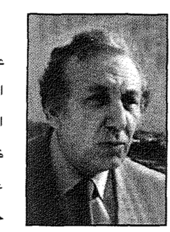
بطاقة تعريف:

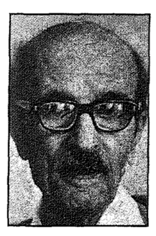
الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر:

- ولد ونشأ في مدينة حلب بسورية.. وحصل على الشهادة الجامعية من جامعة دمشق.
- رحل الى القاهرة ونال شهادتي الماجستير والدكتوراه.
- عمل أستاذا للأدب العربي والدراسات العربية في عدد من الجامعات العربية، منها: سورية - الاردن - الجزائر - الامارات العربية، والعراق.
- شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات واللقاءات الادبية والثقافية.
- عضو لجنة التحكيم في جائزة الشيخة فاطمة بنت هزاع آل نهيان لقصة الطفل العربي.

أهم كتبه وآثاره:

- تعريف بالنثر العربي الحديث.
- معالم في النقد العربي الحديث.
- دراسات في أدب النكبة (الرواية).
- نصوص مختارة من الأدب العباسي (اختيار وتقديم: في الشعر والنثر).
- كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (اختيار وتحقيق وتقديم).
- النثر المهجري.
- فنون النثر المهجري.
- نصوص مختارة من الأدب العربي الحديث (اختيار وتقديم: في النثر).
- دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل البيت.
- شعر دعبل بن علي الخزاعي (جمع وتحقيق وتقديم).
- غروب الأندلس وشجرة الدر (دراسة للمسرحية والرواية)
- حديث الاثنين (من أدب المقالة)
- الشعر العربي في كبار ممثليه (دراسة من العصر الجاهلي الى العصر الحديث).
- دراسات في الأدب والنقد والاجتماع.


نزار قباني


ميخائيل نعيمة

** لم نفلح حتى اليوم في كتابة المعادلة الصعبة بين التراث والمعاصرة.

كانت مناسبة طيبة عندما التقيت الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر الذى زار أبو ظبي مؤخراً باعتباره عضواً في لجنة تحكيم جائزة الشيخة فاطمة بنت هزاع آل نهيان لقصة الطفل العربي.

ود. الأشتر عالم بارز في ميدان الأدب تخرج على يديه الكثيرون .. عن تجربته الأدبية وعن آرائه في الثقافة كان هذا الحوار:

*** النقد العربي الحديث: ما موقعه في ساحة الدراسات الادبية في كل مجالاتها.. وما حجم عطائه وأدائه؟ وما أسباب تخلف نقدنا الحديث في بعض اتجاهاته وبعض موضوعاته؟.**

** لا جرم أن ميادين النقد اتسعت اليوم كثيراً، وأصبح هناك نقد لكل جنس من أجناس الأدب، وأصبح هناك نقاد متخصصون في كل فن أدبي فتعددت الميادين والاختصاصات، لكن الذى لابد من قوله إننا - فيما يبدو - ما عدنا نمسك بدفة توجيه الثقافة، كما ما عدنا نمسك بدفة التوجيه الحضاري. فالنقد جزء من حضارة الأمة، لأنها تفحص تراثها، وتفحص واقعها الفكري،. وواقعها الثقافي العام، فنحن لا نزال في كثير من مفاهيم النقد، كما لا نزال في كثير من مفاهيم الحياة عالة على الحضارة التى نعيش في ظلها، لذلك من الطبيعي أن نجد هذا التقصير في هذا المجال، ثم إننا لم نفلح إلى اليوم في كتابة المعادلة الصعبة بين التراث، وبين ما نسميه المعاصرة، وما نسميه الثقافة الحديثة.

ما نزال عاجزين عن كتابة هذه المعادلة الصعبة. يعني كيف نأخذ من التراث، ونوظفه في خدمة ثقافتنا المعاصرة؟ وفي خدمة الفكر العربي المعاصر.. أرى أننا لا نزال عاجزين عن كتابة هذه المعادلة، لذلك ينقطع بعضنا - تماماً - عن العصر، وينقطع بعضنا - تماماً - عن التراث.. ننقطع عن العصر فنصبح أسرى الماضي، وننقطع عن التراث فنصبح عاجزين في الواقع عن دخول العصر بهويتنا الثقافية الخاصة.

في عالمنا الأدبي اليوم هناك نوع من الخلط والفوضى في الميدان النقدي .. إنا نجد بعض النقاد لا يكادون يعرفون نقادنا القدامى. حتى الأسماء والكتب لم يطلعوا عليها.. ونجد - أيضاً - كثيرا من النقاد الذين يعملون في ميدان النقد لم يطلعوا على ميادين النقد الحديث.. ثم نحن في مرحلة تمزق، وهذا ينعكس على كل مجالات النشاط الفكري.. مرحلة خلخلة نفسية وفكرية وروحية.. ومن الطبيعي في مثل هذا الواقع أن تطالع الصفحة النقدية على مثل

ما ذكرت من الفوضى، أو مثل ما ذكرت من التقصير أو مثل ما ذكرت من الخلخلة والغموض.

الصلات الشخصية بين الأدباء ضرورية ومهمة لخدمة الفكرة وتطويرها في مجال النقد. ولكنا - بكل أسف - نعمل بعقلية الشلل. نحن - مثلا - ننتسب الى خط فكري معين فنعلي من شأن الأدباء الذين ينتسبون الى هذا الخط الفكري بشكل أو بآخر، ونهاجم أو نهمل الأدباء الآخرين.. قد نعلي من شأن أديب من الدرجة الرابعة أو الخامسة أو السادسة، لأنه ينتسب إلى الخط الفكري الذي نحن نعمل فيه، أو تنتسب إليه الشلة لولائها الفكري، ونهمل مظاهر النشاط الفكري الأخرى فهناك - كما ترى - عجز فكري مشتق من العجز الحضاري العام باعتبار أن النشاط الفكري هو وجه من وجوه الحضارة التى تعيش الأمة على مفاهيمها.

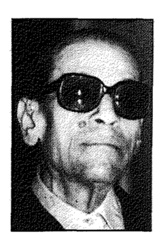
*** وماذا عن الحداثة؟ هل تطال فنوننا الأدبية جميعها؟! بمعنى آخر هذا الكم الكبير من النتاج الأدبي .. ما مدى علاقته بالحداثة؟.**

** في رأيي مفهوم الحداثة عندنا لم يتبلور بعد .. ما أعنيه هناك حداثات، والإنسان ضمن هذه الفوضى الفكرية.. دعنا نسميها خلخلة فكرية.. كل فئة تفهم الحداثة على نحو معين، فالذين يكتبون شعر التفعيلة (الذي سميناه الحر في مرحلة من الزمان) يفهمون الحداثة على أنها التخلص من قيود الشعر التقليدي أو العمودي مع أن الفن هو تطويع للقيود. وهذا الكلام لا يعني أنني أستنكر شعر التفعيلة، أو أنظر إليه نظرة سلبية فهناك شعراء كتبوا شعر التفعيلة، ووفروا لها كل أدوات التأثير. فنزار قباني استطاع أن يوفر للشعر الموسيقا التى لا يمكن للأذن العربية أن تتذوق شعرها دونها. ووفر لها الرموز الواضحة، ولم يفرط في التجريد بل كان أقرب الى الحسية في رموزه كلها. فهو يفهم الحداثة على أنها نوع من التزاوج ينبغي أن يتوفر للحداثة وهذا ما يجعل القارىء العربي مقبلا عليها وغير منقطع عنها.

أقرأ بعض الشعر الذى ينشر هنا وهناك فأحس بأن كثيراً من النماذج الشعرية غير مفهومة لدى فأسأل نفسي هل تخلفتُ ؟ ثم أسأل نفسي أيضاً كيف يستطيع القراء الفهم؟.

*** هذا الغموض هل هو نتاج الحداثة؟ أم سببه الغموض الذي وصل حد التغميض ؟.**

** عندما درس بعض الشعراء التراث درسوه على أساس تسليط مفاهيم نقدية غربية فيه، وكأنما غربوا



نجيب محفوظ



محمود درويش

**** إن أي أدب نكتبه إن لم تكن فيه رائحتنا الخاصة لا يكتب له أن يصل الساحة العالمية.**


جبران خليل جبران


محمود محمد شاكر


نازك الملائكة

التراث بدل أن يقرؤوه قراءة جديدة.

هؤلاء الذين درسوا الشعر القديم - الجاهلي حصراً - على أساس المنهج الأسطوري بددوا كثيراً من صور الشعر الجاهلي وحقائق الشعر الجاهلي على طريقة فهمهم.. ألبسوه ثوباً لم يكن الشاعر يفكر فيه على الإطلاق، ولا أعتقد - إطلاقاً - أن الشاعر الجاهلي كان يفكر أو يتصور الأشياء على النحو الذي تصوروه.

باعتقادي سيطول بنا الزمان حتى تصفو النظرة الى الحداثة وتستقيم. ونستطيع في ضوء المزاوجة بين التراث والمعاصرة دون أن يكون هناك تعصب للتراث أو للمعاصرة، وإنما هناك فهم لأولويات العصر والدخول فيه.

لكن أن نحتفظ بأوراقنا الخاصة، أن نحتفظ بهويتنا فهذا ضروري تظل الكلمة التى قالها غاندي: «أريد أن أفتح نوافذي على العالم، لكن دون أن تقتلعني رياحها» صحيحة، والعتب على أدبائنا ومفكرينا.. تصور أن البعض يفكرون - تماماً - في حدود ما هو شائع في التراث العالمي دون قراءة معمقة لتراثنا وفكرنا القديم.

نحن نقرأ التراث الهندي وما فيه من تناسخ وتصوف وغير ذلك دون أن نقرأ المتصوفين العرب.. عندنا أشياء باهرة، وما أظن أن البعض اطلع عليها أو قرأها بالعمق المطلوب، وإذا قرأوا فتكون القراءة في ضوء ما قرؤوه من التراث الهندي عن التصوف والمطلوب أن تكون القراءة في ضوء النظرية الإسلامية ما أريد قوله: لنا هوية فكرية ليس من باب التعصب، وإنما من باب الفهم.

حين نطلع على نصوص أو نماذج من الآداب العالمية، ونود أن نقومها يجب أن نقومها من خلال نظرتنا الخاصة وبما نحمل من موروث ثقافي وحضاري وروحي وبناء على ذلك فأنا أقرأ طاغور لا كما يقرؤه الهندي أقرؤه وأفهمه، وأفهم كل المحركات الروحية من خلال خلفية معينة تنطلق من معرفتي بكبار المتصوفة العرب مثل الحلاج والسهروردي وكثير من الرموز..

** لا نزال في كثير من مفاهيم النقد عالة على الحضارة.

درست أدب المهجر وفيه متصوفة مثل ميخائيل نعيمة، وجبران خليل جبران وغيرهما .. وعندما كتبت الرسالة الجامعية.. كتبتها في ضوء منقطع - تماماً - عن الجو الروحي الذي ورثته، ويعمل في روحي.. وعندما أعود الى القراءة بهرتني بعض الإطلالات الروحية عند جبران ونعيمه ولو كنت قرأت بعض المتصوفة قراءة أعمق، وحملتها معي وأنا أكتب الرسالة الجامعية لكنت أنفذ نظراً. وما دام هؤلاء قد كتبوا بالعربية للعرب فأنا أستطيع أن أقدم ما كتبوه في ضوء توجههم، وهذا الذي لفتني إليه في يوم من الأيام وفهمني ذلك - آنذاك - الأستاذ محمود شاكر الذي قال لي: (أنت تدرس التصوف في المهجر، ووقفت أمام بعض رموزهم وصورهم لكن هل قرأت (فلاناً وفلاناً وفلاناً) من المتصوفة المسلمين وكيف اتجهوا اتجاهاً معيناً مثل النفري؟) قلت له: لا أعرف أن هناك مثل هذا الكتاب. قال لو قرأته ستجد أن كثيراً مما قاله المهجريون لا يسمو - إطلاقاً - الى ما سما إليه النفري.. حين تتسع الرؤية تضيق العبارة، فلذلك يلجأ الإنسان الى الرمز.

*** بمناسبة الحديث عن أدب المهجر .. ما سمات الحداثة عند المهجريين ؟.**

** لما كتب المهجريون أدبهم في المهجر، نقلت بعض المجلات والصحف نتاجاتهم الى صحفنا ومجلاتنا، وقد كان لمجلة المقتطف بصورة خاصة دور الريادة في هذا الأمر بينما مجلاتهم لم تكن تصل الى البلاد العربية، وإن وصل فعدد ضئيل لا يذكر يرسل الى الأهل والأقارب في لبنان وسورية وفلسطين.

لقد تأثر أدباء المهجر بما قرؤوا في الأدب باللغة الإنكليزية وبغيرها من اللغات، فنعيمة - مثلا - قرأ بالروسية جوانب من النقد عند النقاد الروس، وهو يعلي من شأن بيلينسكي، ونحن لا نكاد نعرف بيلينسكي. ثم هم تأثروا بطبيعة الحياة في المهجر.. التجربة الروحية والنفسية التى عاشوها من طبيعة ملونة وخصبة.. وعندما أنظر الآن للذين يعيشون في أمريكا ينظرون إلينا كما لو أنهم عاشوا في القمر، وعادوا إلى كوكب آخر. بينما حمل المهجريون معهم أرضهم وذكرياتهم وصور الحياة في وطنهم، ولذلك لم ينقطعوا عنا .. فالحداثة التى كتبوها أقرب إلينا من كثير من صور الحداثة التى أقرؤها عند البعض الآن. كأن هؤلاء انقطعوا تماماً عنا. فهل الحداثة تعني التخلي عن أكثر مما نقل إلي، أو مما أعرفه في تراثي؟.

**** جائزة الشيخة فاطمة بنت هزاع آل نهيان لقصة الطفل العربي جديدة في وجهها الموسمي.. تطل على المستقبل من خلال الطفل ودولة الإمارات جديرة بتطلعاتها.**

**** النقد جزء من حضارة الأمة.**

**** يجب أن ندخل العصر بهويتنا الثقافية الخاصة.**

**** وظيفة الحداثة تقريب الأديب من عصره.**

**** في قصيدة النثر روح شعرية .. وهناك نماذج ستبقى.**

صحيح أن المهجريين تأثروا بالإنجيل المترجم، وتجد عند بعضهم غرابات لكنهم - مع ذلك - جددوا بالصورة والصياغة اللغوية فبقي تجديدهم مقبولا فجبران على سبيل المثال قد يكون أكثرهم بعداً عن تراثنا لكنه قريب جداً من هذا التراث، فكتابه المسمى (النبي) يسميه (المصطفى) وهو أفضل كتب جبران، وأكثرها شيوعاً، وقد ترجم الى أكثر من خمسين لغة عالمية. الكتاب يحمل صوت جبران ونظرته الى الكون والحياة.. فجو الإنجيل جو شرقي.. على كل حال ما يجب أن أشير إليه هو أن المهجريين في أمريكا الجنوبية والبرازيل أقرب إلينا بكثير من مهجريي الشمال، لأنهم ظلوا متصلين بالتراث اتصالا أعمق قد يكون لطبيعة البيئة التى عاشوا فيها - التى تأخذ من الأندلس ومن الوسط الذي عاشوا فيه، ولذلك كان الجو أقرب إلينا.. لنتوقف قليلا عند حداثة الشمال نجد أن ما نسميه حداثة الآن كتبه نسيب عريضة منذ عام ١٩١٣ ولا يكاد يذكر الآن اسمه في هذا المضمار، يقول في احدى قصائده :

دربي بعيد
وأنا وحيد
ما من مجيب
ما من حبيب

صرخات ممزقة نوَّع فيها، لكنه لم يتخل عن الموسيقا، ولم يتخل عن القافية وإن كان نوَّع فيها.

خذ الآن ما نسميه بقصيدة النثر. كتبها جبران وغيره من أدباء المهجر، كتبوا النثر بلغة الشعر وكتبها نعيمة بالصورة التى نعرفها عنده.

إن أدب هؤلاء فيه رائحة الشرق. لم يبتعدوا عنها في أعمالهم وفنونهم الأدبية كلها.

قرأت قصصاً لبعض أدبائنا ولم أفهم شيئا منها، الشاعر محمود درويش بنى سمعته على طلعته الأولى.. على شعره الأول لكنه الآن غير ذلك إذ ما معنى قوله: (كباذنجانة نضجت؟) لقد غربنا حتى أذواقنا.

إذا كان هناك فرق بين حداثة المهجريين وحداثتنا فهو أننا غربنا حداثتنا، وأن المهجريين بقوا متصلين بنا.

لقد جدَّت الآن مذاهب ورؤى، وأرى أن نكون قريبين من الحداثة، لكن دون أن نبتعد عن الساحة.. إن أي أدب نكتبه إن لم تكن فيه رائحتنا الخاصة لا يكتب له أن يصل الساحة العالمية، وخير مثال على ذلك

الروائي نجيب محفوظ الذي وصل الساحة العالمية لأن أدبه حمل رائحة الوطن. أحياء القاهرة وحواليها، والناس الذين يعيشون فيها.

*** إذا كان لكل عصر حداثته ـ بغض النظر عن قوتها وضعفها ـ ألا توافقني بأن الحداثة ترتبط بالجودة والجدّة والتوصيل؟ وما رأيك بمن يقول إن حداثة العصر العباسي اقتصرت على المضمون فقط؟.**

** الذى أراه ـ في الجملة ـ أن وظيفة الحداثة تقريب الأديب من عصره فحداثة أدباء العصر العباسي قربتهم من عصرهم الذى عاشوا فيه، وحداثة هذا العصر يجب أن تقربنا من عصرنا. هذه هي وظيفة الحداثة، وإلا ما معنى ذلك! ليست هناك حداثة مقصودة: الحياة.. طبيعة الموقف.. الزمن.. طبيعة المرحلة.. هي التى تقودنا إليها.. الذي أعنيه أنني لا أظن أن أبا نواس برموزه التى وصل إليها، وبالشكل الشعري، وغير ذلك.. لم يتقصد ذلك، وإنما عبر عن روح العصر، وحتى رموز العصر التي فرضت خليطاً من الثقافات تأثر بها شعراء العصر ومنهم أبو نواس.

إنني أخالف من يقول إن الحداثة في العصر العباسي اقتصرت على المضمون لنتذكر قضية مذهب البديع، ومذهب القرب من الطبيعة الذي مثله التماميون والطبيعيون.. إن حداثة أبي تمام أثرت في الصورة الشعرية فتجربته تقوم على تعميق المعنى من جهة وعلى تجديد الصياغة من جهة أخرى ، لذلك وصف شعره بالانغلاق والغموض. كل ما في الأمر أن الحداثة مرتبطة بالعصر، وبحدود العصر الذي عاشوه.. نحن الآن نعيش حضارة، وهم عاشوا حضارتهم وأملوا على العصر حضارتهم. العصر الآن يملي علينا كيف نعيش، وكيف نفكر.. لذلك بقيت حداثتهم مفهومة ومرتبطة بتراثهم.

التماميون ـ أصحاب البديع ـ وجدوا من يدافع عن أبي تمام، والمتنبي يحمل ديوان أبي تمام أينما ذهب.. وكان يقول هو الذي علمه كيف يتعمق المعنى.

وأسأل بماذا جددنا نحن إذا تجاوزنا قضية التفعيلة والتخلص من رتابة القافية؟. دليل الفوضى أن بعضنا أضرب عن القافية على الإطلاق، وبعضنا أخذ بها على صورة من الصور، وبعضنا راعى بين الأخذ بالقافية، وعدم الأخذ بها كما كان يفعل نزار قباني الذي خلف أثراً مهماً لأنه قرأ التراث قراءة ممتازة برغم أن في بعض صياغته ضعف يمكن أن يعرفه الذين صلتهم بالتراث قوية.. نزار تنسم في شعره من تراث العروبة، رائحة البلدة التى نشأ فيها، وبذلك استطاع أن يكتب معادلة ناجحة وخاصة حفاظه على الموسيقا في الشعر.

لم يفرط أبداً بموسيقا الشعر كما يفعل البعض، وإذا كانت نازك الملائكة حكت عن البحور المزوجة والبحور الصافية، ونصبت من نفسها قيماً على ما يصلح وما لا يصلح فإن هذا فسح المجال لإدخال البحور بعضها ببعض الى حد ضاع فيه الإيقاع، والأذن العربية لا تستطيع أن تتخلى عن الإيقاع ومن يؤمن بغير ذلك مخدوع.

يظن هؤلاء أنهم يكتبون شعراً يمكن أن يبقيه الزمن.. أما عن قصيدة النثر فأعترف بأن فيها روحاً شعرية، وأن هناك نماذج ستبقى، لكن لن تبقى على أنها شعر نثري وإنما تبقى نوعاً من النثر الشعري الجميل الذي يحمل حرارة في الروح وحرارة في الفكر.

التوأمان عبد القدوس الأنصاري ومجلة المنهل

(قصة ريادة الصحافة السعودية في المدينة المنورة)



بقلم : د. عبدالرحمن الشبيلي - عضو مجلس الشورى

في مساء يوم الثلاثاء ١٤٢٤/١/٨هـ الموافق ٢٠٠٣/٣/١١م، وفي النادى الأدبي في المدينة المنورة، ألقى الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الشبيلي/ عضو مجلس الشورى وعضو المجلس الاعلى للإعلام، محاضرة قيمة بعنوان «التوأمان: عبد القدوس الانصاري ومجلة المنهل.. قصة ريادة الصحافة السعودية في المدينة المنورة» وكانت المحاضرة قيمة مضموناً وعرضا، وأفاد منها الجميع.

وجاءت هذه المحاضرة لفتة وفاء وتقدير للأستاذ الرائد عبد القدوس الانصاري ومجلته المنهل التى أسسها في المدينة المنورة..

شرّف هذا اللقاء الادبى والثقافي الاستاذ م/ عبدالكريم الحنين وكيل إمارة المدينة المنورة، ورئيس وأعضاء النادي الأدبي بالمدينة المنورة، وجمع من محبى الثقافة والأدب والفكر.. وسعد بحضور هذا اللقاء الادبي الثقافي الأستاذ/ زهير بن نبيه الانصاري نائب رئيس التحرير لمجلة المنهل، وبعض أسرة المنهل.

وفي نهاية المحاضرة قدم الاستاذ/ زهير الانصاري دروع المنهل هدية لسعادة وكيل إمارة المدينة المنورة.. الأستاذ المهندس عبدالكريم الحنيني وللدكتور/ عبد الرحمن الشبيلي، وللدكتور/ عبد الله عبد الرحيم عسيلان رئيس النادي.

هذا وقد قدم سعادة رئيس نادي المدينة المنورة الأدبي د. عبدالله عسيلان للمحاضرة بكلمة جاء فيها :

يطيب للنادي الأدبي بالمدينة المنورة أن يلتقي بكم في هذه الأمسية المباركة في إطار نشاطه المنبري ويسعدني ويسرني في مستهل هذه الكلمة أن أرحب بسعادة/ وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة على تفضله بحضور هذه المحاضرة وذلك دليل على العناية بجانب الثقافة والاهتمام بهذا الجانب.

كما يسرنى أن أتوجه بالشكر الجزيل للاخوة الحضور أيضا الذين أسعدونا بحضورهم، وقبل ذلك أيضا أتوجه بالشكر الجزيل لسعادة الدكتور/ عبد الرحمن الشبيلي الذى تجاوب مع دعوة النادي على الرغم من كثرة أعماله ومشاغله.. فله منا جميعا الشكر الجزيل.

وسنعيش في هذه اللحظة - أو في هذه الساعة - التى ستخصص لهذه المحاضرة سنعيش مع موضوع قيّم وعلى جانب كبير من الأهمية؛ ذلك لأنه يتحدث عن شخصية من شخصيات المدينة العلمية والثقافية التى كان لها دور واضح ملموس في ثقافة المملكة العربية السعودية الأستاذ الرائد عبدالقدوس الأنصاري، وأيضا له دور رائد في مجال الصحافة عن طريق مجلته المنهل التى تعد بحق من المجلات الهامة جدا، المجلات الثقافية والأدبية، ولئن عرفنا مجلات مصرية معروفة مشهورة مثل مجلة الرسالة ومجلة المقتطف فإن مجلة المنهل في تقديري لا تقل شأنا ومكانة ومنزلة واهمية في نشر الثقافة والأدب عن هذه المجلات.

وما كان لنا أن نتعرف على ألوان من الثقافة الأدبية والثقافة بعامة - ما كان لنا أن نتعرف على ذلك - إلا من خلال هذه المجلة فقد وقفنا من خلالها على كتابات لرواد الأدب والثقافة في بلادنا وغير بلادنا.

سيحدثنا المحاضر عن مجلة المنهل وعن صاحبها - أيضا - وعن ريادة الصحافة في المدينة المنورة.

والدكتور عبد الرحمن الشبيلي علم من أعلام الثقافة والفكر والإعلام والتعليم في بلادنا.

ولد الدكتور في مدينة عنيزه عام ١٣٦٣هـ وتلقى دراسته الجامعية أول ما تلقاها في كلية اللغة العربية جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية وحصل منها على الليسانس عام ١٣٨٣هـ ثم حصل على البكالوريوس في الجغرافيا من جامعة الملك سعود، ثم الماجستير في الاعلام من جامعة كانساس بأمريكا عام ١٣٨٩هـ، ثم الدكتوراه في الاعلام - أيضا - من جامعة ولاية أوهايو الامريكية عام ١٣٩١هـ، وكذلك - أيضا - درس دورة في اللغة الفرنسية.

أما ما يتعلق بخبراته العملية والعلمية فهي كثيرة.

إذ يعتبر من رواد الاعلام في بلادنا رافق بداية إذاعة الرياض، كما رافق - أيضا - بداية التليفزيون - تليفزيون المملكة العربية السعودية - وقد كان مديرا عاما للتليفزيون من عام ١٣٩١هـ الى ١٣٩٧هـ .

كما كان أيضا استاذا للاعلام في جامعة الملك سعود، وأيضا تولى وكالة وزارة التعليم العالي، وكان - أيضا - أمينا عاما للمجلس الأعلى للجامعات، وله العضوية في مجالس الجامعات وعضوية في المجلس الأعلى وهو أيضا - صاحب مشاركات جمة في مجال الاعلام وفي المؤتمرات وفي الندوات داخل المملكة وخارج المملكة.

كما أنه الان هو عضو في مجلس الشورى.

له مؤلفات عديدة من أهمها:

- نحو إعلام أفضل.

- محمد الحمد الشبيلي - سيرة ذاتية.

- إعلام وأعلام.

- الاعلام في المملكة السعودية.

والشيخ محمد بن جبير جوانب من سيرته .

ونثبت هنا نص محاضرة الدكتور الشبيلي :

أعلم أن أمري في هذه المشاركة كقصة جالب التمر الى هجر، أو بالأحرى إلى طيبة المباركة، وأثق أن كل واحد من مثقفيها يدرك جانباً من جوانب الموضوع أو كله، وكان الأنسب أن يلقى في أي منتدى إلا في هذا النادي، من أجل ذلك، عملت قدر الإمكان، على طرق الموضوع من زاوية مختلفة، علّي أتلافى تكرار معلومات معروفة، وحسبي أن أذكر أن هذا العنوان الذي اخترته لهذه المحاضرة، هو أحد الموضوعات القليلة، التى يظنها المرء سهلة فإذا هو ممتنع، وواسعة فإذا هو ضيق، وواضحة فإذا به محيّر.

كُتب الكثير عن التوأمين : عبد القدوس الأنصاري ومجلة المنهل، حتى صار مجموع ما كتب من مقالات أو دراسات عنهما يحتاج، بحد ذاته، الى فهرسة، وكدت لا أجد ما أكتب عنه لهذه الأمسية، لكنني وقد اختزلت كثيراً من المعلومات المعروفة عن المنهل ومنشئها، أتوقف عند محطات تعد في تقديري، من أبرز ما يوجز به تاريخ الصحافة والطباعة في المدينة المنورة، وعلامتها (الأنصاري)، وتاريخ منهله العذب، الذي - أي المنهل - يعتبر بحق موسوعة المعارف، وسجل الإدارة والآداب والعلوم خلال سبعة عقود، وأحد معالم الثقافة الشاخصة في بلادنا، لكن ما تأتي به هذه المحاضرة يظل غيضاً من فيض ما يمكن أن يقال عنهما.

صحافة المدينة المنورة في العهد العثماني:

لكنني قبل الحديث عن المنهلين التوأمين: الأنصاري ومجلته، أورد مقدمة موجزة عن تاريخ الصحافة والطباعة في المدينة المنورة، الذى اقترن بدؤه بصدور صحيفة (الرقيب) لمحرريها إبراهيم خطاب، وأبو بكر الداغستاني، وكانت جريدة تخط باليد وتطبع على ورق الجيلاتين، وكذلك بصدور صحيفة (المدينة المنورة - الأولى) التى حررها محمد مأمون الأرزنجاني بالعربية والتركية، وقد صدرتا بعد عام أو أقل من صدور أول صحيفة حجازية في العهد العثماني في مكة المكرمة (حجاز أو الحجاز الرسمية ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م).

ظهرت صحيفتا (الرقيب والمدينة المنورة - الأولى) في عام واحد، هو سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م إبان العهد التركي، وهو عام مشهود في تاريخ الصحافة في الحجاز، ظهرت فيه صحيفتان أخريان في مكة المكرمة (شمس الحقيقة وصفا الحجاز) وجريدة واحدة في جدة (الإصلاح الحجازي)، فصار مجموع ما صدر في مدن الحجاز في عامي ١٣٢٦هـ و١٣٢٧هـ ست صحف، ما لبثت أن اختفت سريعاً لأسباب مختلفة فنية ومالية وسياسية.

والذي يغلب على الظن، أن صدور هذه الصحف دفعة واحدة في فترة زمنية متقاربة قد ارتبط بصدور الدستور العثماني ١٩٠٨م، الذى أجاز للولايات الخاضعة للحكم التركي مبدأ إصدار صحف خاصة بها، تسمى باسمها وتنطق بصوتها وتعبر عن شؤونها، كما اقترن مع صدور قانون المطبوعات العثماني (في عام ١٩٠٩م)، وهي فترة زمنية شهدت صدور صحف أخر في ولايات عثمانية مختلفة من المشرق العربي، ومن بينها بغداد، التى - من طريف ما أعلم - صدر فيها في العام نفسه جريدة لا علاقة لها بالأخرى، تحمل اسم (الرقيب)، لأديب وصحفي عراقي مشهور من أصل نجدي هو عبد اللطيف ثنيان.

مرت سبع سنوات، كان الوضع السياسي والعسكري فيها في المشرق غير مستقر، سعى

الأشـــراف خـــلالهـــا الى الاســتـقــلال بالحــجــاز عن الأتراك، مــســتــفــيــدين من ظروف الحرب العالمية الأولى، فــمــا كــان من الأتراك الذين اقـتـصـر حكمـهم على المدينة المنورة إلا ـ على قـول أحـمـد السباعي ومحمد على مغربي وغيـرهـمـا ـ أن نقلوا الجـريدة الرسـمـيـة (الحجاز) من مكة المكرمــة الى المدينة المنورة، يشرف عليها السيد حمزة غوث، ويساعده في تحريرها الصحفي السوري بدر الدين النعساني، فصدرت في ١٣٣٤/١٢/٩هـ (١٩١٦/١٠/٧م) ثلاث مــرات في الأسبوع قبل أن تصبح شبه يومية، في حين أصدر الهاشميون في مقابلها جريدة (القبلة) في مكة المكرمة، كما صدرت صحف هاشمية أخرى في مكة المكرمة وجدة.



نائب رئيس تحرير المنهل يسلم درعاً تذكارياً لسعادة وكيل إمارة منطقة المدينة المنورة

ومع أن جريدة (الحجاز) صدرت قوية في المدينة المنورة، كما يبدو من شكلها وموضوعها، تساندها السلطة العثمانية وإن لم تصرّح بسمتها الرسمية، إلا أنها توقفت ـ على الأرجح ـ في عامها الثاني (١٣٣٥هـ ـ ١٩١٧م) بعد صدور (١٠٥) عدد منها، متأثرة بشح ورق الطباعة، ولتتعطل بذلك الحركة الصحفية في المدينة المنورة لعقدين قادمين.

بدايات الطباعة في المدينة المنورة:

أما بالنسبة لبدايات الطباعة في المدينة المنورة، فإن تفاصيلها ما تزال غامضة، تنتظر من يجتهد لإجراء تحقيق علمي حولها، فإذا ما سلمنا بأن جريدة (الرقيب) كانت تطبع على الجيلاتين وتخط باليد، فقد أشار محمد لبيب البتنوني الذي زار المدينة المنورة في سنة ١٣٢٧هـ الى جــريدة (المدينة المنورة ـ الأولى) مطبوعة بمطبعة البالوزة (البالوظة، التى تعني بالتركية نوعاً من الطباعة الحجرية)، وربما تكون تلك هي المطبعة العلمية التى أسسها كامل الخجا لتلبية احتياجات التجار من المطبوعات، لكن د. عباس طاشكندي يرجح أنها لم تجلب إلا في عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م).

أما جريدة (الحجاز) المدنية التركية، وهي من أربع صفحات بالعربية، فيبدو أنها كانت قد طبعت بمطبعة حكومية عرفت باسم (مطبعة الحجاز) جلبت من مدينة حلب لهذا الغرض، رفقة بدر الدين النعساني، وقد اقترن وجودها ـ في تقديري ـ بوجود السلطة العثمانية ثم نقلت أو اندثرت بانتهائها، وقد يكون النعساني نفسه عاد بها الى الشام، وذلك بدليل

فترة انقطاع طويلة دامت عشرين عاماً (بين ١٣٣٥هـ - ١٣٥٥هـ) قد مرت دون أن يكون لتلك المطابع شأن طباعي يذكر في المدينة المنورة، حتى إن عثمان حافظ أشار في روايته لقصة إصدار جريدته (مطلع ١٣٥٦هـ) الى أن مطبعته القديمة (طيبة) كانت الوحيدة آنذاك، مما دعاه الى أن يستورد مطبعة جديدة من مصر لتعزيزها.

ثم هناك مطبعة طيبة الفيحاء التى جلبها أحمد الفيض أبادي وعبد الحق نقشبندي (وربما مع غيرهما) سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٥م، وكان مقرها مدرسة العلوم الشرعية، ثم آلت ملكيتها فيما بعد لعثمان حافظ - كما أسلفت - وأسماها (مكتبة ومطبعة طيبة)، وكانت بدائية بسيطة تستخدم لطبع الأوراق التجارية والكتب المدرسية، وقد لوحظ أن عبد القدوس الأنصاري قد طبع فيها أول كتبه: إصلاحات في لغة الكتابة والأدب ١٣٥٢هـ، ثم جلب عثمان حافظ مطبعة جديدة من مصر طبع عليها جريدته (المدينة المنورة - الثانية)، وسمى المطبعة باسمها.

من هنا يستطيع المرء أن يجتهد في تلخيص بدايات الطباعة في المدينة المنورة على النحو الآتي[١]:

١ - في عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م مطبعة أهلية صغيرة (طبعت فيها جريدة المدينة المنورة - الأولى).

٢ - في عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م مطبعة حكومية صغيرة (طبعت فيها جريدة الحجاز).

٣ - في عام ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٦م مطبعة أهلية كبيرة (طبعت فيها جريدة المدينة المنورة - الثانية.

ومن ثم يتبين أن تحديد أسماء المطابع المدنية وتواريخ إنشائها ومعرفة أسماء أصحابها وعناوين الكتب الأولى والصحف التى طبعت فيها، يحتاج الى تحقيق أدق، وقد كتب فيها كل من د. أحمد الضبيب ود. يحيى الجنيد ود. عباس طاشكندي وغيرهم.

أما بالنسبة (للمنهل)، فقد طبعت أعدادها الثلاثة الأول في مطبعة طيبة، ثم نقلت الى مطبعة الحكومة (أم القرى) في مكة المكرمة، وكانت تتألف من أربعين صفحة، بإخراج مبسط، وتبويب فني واضح.

نظام المطبوعات :

كانت كل صحف الحجاز (التى صدرت في العهدين العثماني ثم الهاشمي) مشمولة بقانون المطابع والمطبوعات التركي الذى صدر في ١٣٢٧/٧/١١هـ/ ١٩٠٩/٧/١٣م[٢].

وفي ظل العهد السعودي، صدر - متأثراً بسابقه التركي - أول نظام للمطبوعات والمطابع في سنة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، أي قبل ثمانية أعوام من صدور (مجلة المنهل وجريدة المدينة المنورة)، وقد جدد هذا النظام بصدور نظام آخر للمطبوعات والمطابع عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م [٣].

وكانت أول إدارة سعودية للمطبوعات قد استحدثت بأمر السلطان (الملك) عبد العزيز رحمه الله في مكة المكرمة في محرم سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م [٤]، ولما صدر نظاما المطبوعات والمطابع (في عامي ١٣٤٧هـ و١٣٥٨هـ)، جعلا إدارة المطبوعات تلك مرجعاً للصحف السعودية، ولإصدار تراخيصها، وقد تحوّل اسم هذه الإدارة، بعد فترة وجيزة الى اسم قلم المطبوعات، وألحقت بوزارة الخارجية عند إحداث الوزارة سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، وذلك على أساس أن جزءاً من مهام قلم المطبوعات هو إصدار البلاغات الرسمية المتعلقة بالأمور الخارجية، والأصل، أن كل الأجهزة الحكومية آنذاك كانت ترتبط بالأمير فيصل رحمه الله، فهو نائب الملك في الحجاز ووزير الخارجية

ورئيس مجلس الوكلاء الذى تطور فيما بعد ليصبح مجلساً للوزراء.

تُساق هذه المعلومات لأن البعض كان يستغرب ارتباط شؤون المطبوعات بوزارة الخارجية، التى أصدرت ترخيص (مجلة المنهل وجريدة المدينة المنورة) وما صدر بعدهما، كما يستغرب اشتراط وجود كفيل غارم وتقديم ضمان مالي من أجل منح الترخيص، أو صدور صك شرعي به، فهى أمور تفهم من نظام المطبوعات المعمول به وقتذاك (وبخاصة المادة ١٥ من النظام الأول الذى صدرت المجلة في ظله).

عبد القدوس الأنصاري :

سوف لن نستغرق الوقت القصير لهذه المحاضرة بالحديث مفصلا عن أمور تعرفونها، فعبد القدوس الأنصاري، ولد سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م وتربى، بعد سن الخامسة، يتيماً في كنف أستاذه وقريبه الشيخ محمد الطيب الأنصاري رحمهما الله، وقد حفظ القرآن الكريم في صغره، وعمل بعد تخرجه من مدرسة العلوم الشرعية في التدريس، ثم في إمارة المدينة المنورة *[أ]، ثم رئيساً لتحرير جريدة (أم القرى) بين ربيع الأول ١٣٥٩هـ وحتى نهاية ١٣٦١هـ، ثم سكرتيراً لمجلس الوكلاء، ثم موظفاً في ديوان نائب الملك في الحجاز، ثم في ديوان رئاسة مجلس الوزراء، وقد عشق القراءة والأدب متأثراً بصديقه الأستاذ عبيد مدني رحمه الله، وبدأ - كما سيأتي ذكره - يكتب في (صوت الحجاز) مع بداية صدورها سنة ١٣٥٠هـ، وكان نجماً مضيئاً في سماء الصحافة السعودية، وفي عالم الشعر والأدب واللغة والتاريخ والآثار، وتوفي رحمه الله قبل عشرين عاماً (١٤٠٣/٦/٢٢هـ - ١٩٨٣/٤/٥م) عن عمر يقارب الثمانين، مخلفاً أكثر من (٣٠) كتاباً بين مطبوع ومخطوط، وعدداً كبيراً من المقالات والمحاضرات.

وإذا ما استبعدنا كتابات الرحالة والمستشرقين، وما كتب عن المدينتين المقدستين وما فيهما من معالم إسلامية، فإنه يحتسب للشيخ الأنصاري ريادة الدراسات الأثرية في المملكة العربية السعودية، بمفهومها العلمي الحديث الذي يعنى بالتنقيب والرموز والكتابات القديمة، فحظيت بنسبة من كتاباته، وذلك منذ أن أصدر كتابه عن آثار المدينة المنورة سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م [٥]، وهو الذى ذكر أنه ترجم الى الفرنسية، وأقيم له حفل ترحيبي نوهت عنه في حينه جريدة (أم القرى العدد ٥٤١)، وكذلك تحقيق أمكنة في الحجاز وتهامة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، وكتاباته عن العين العزيزية ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م، وقد بدأ يهتم بالآثار - حسبما رواه عنه الدكتور عبد الرحمن الأنصاري - في إثر ما لاحظه من أن فيلبي كان يركز في دراساته الأثرية المحيطة بالمدينة المنورة على خدمة أغراض معينة في ذهنه، كما أنه لا يجوز أن يترك فيلبي وأمثاله من الرحالة والمستشرقين ينقلون الى العالم الخارجي ما نحن أدرى به وأعلم.

واقترنت دراسات الشيخ الأنصاري عن الآثار، مع اهتماماته الأساسية بالتاريخ، فأصدر عام ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م كتابه: (بين التاريخ والآثار) [٣٧٥ صفحة]، وموسوعة تاريخ جدة (المؤلفة من أكثر من ألف صفحة) ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، كما ارتبطت بولعه بالرحلات التى وثق بعضها في كتب أو أعداد خاصة من (المنهل)، كرحلته الى مصر ١٣٧١هـ/ ١٩٥٣م، والى المنطقة الشرقية ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، ورحلته الى الرياض ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٧م، ورحلته الى بلاد بني سليم ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ومع ابن جبير في رحلته ١٣٩٦هـ/١٩٧٧م، وطريق الهجرة النبوية ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.



من اليمين د. الشبيلي، زهير الأنصاري، د. عبدالله عسيلان

ويحسب للأنصاري اهتمام مبكر بكتابة ترجمات أبرز الشخصيات السياسية والثقافية في المجتمع السعودي، حتى تمنى كثيرون على أسرة (المنهل) أن تقوم بجمع تلك التراجم في موسوعة واحدة، فلقد أصدر في حياته دراسات بيوجرافية مستقلة - بعضها غير مسبوق - عن سيرة الملك عبد العزيز والملك سعود وأحمد الفيض أبادي وعبد الرحمن السعدي وعبد الله القرعاوي وعبيد مدني وعبد المحسن الكاظمي رحمهم الله، وتراجم أخرى في ثنايا المجلة عن عشرات من أعلام الفكر السعودي في عصره، فضلا عن السلسلة التى أصدرها بعنوان: بناة العلم الحديث في الحجاز، وكتابه عن أدباء المملكة.

وكما اهتم الأنصاري بالتاريخ والآثار والرحلات، كان الأسبق الى لفت الأنظار الى مصايف البلاد، والدعوة الى الاهتمام بها، عبر مؤلف مبكر أصدرته مجلة المنهل في عدد خاص (١٣٦٠هـ/ ١٩٤٠م).

ويسجل للشيخ الأنصاري أنه كان من أوائل من طالب بإنشاء جامعة سعودية، وبتسمية المنازل والشوارع في مدن المملكة، وبإنشاء لجنة للبحوث العلمية، ومثلما كان من أوائل من دعى لافتتاح الإذاعة السعودية، فإنه، بعد افتتاحها، ظل يمدها بأحاديث في موضوعات مبتكرة وشيقة، دوّن بعضها في العدد الخاص من مجلة (المنهل) بعنوان: أوعية وغلال (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، وقام بتوثيق السنوات الأولى من تأسيسها من خلال عدد خاص قيّم من مجلة (المنهل) عنوانه: الإذاعة العربية السعودية، تاريخها وتطورها (١٣٧١هـ/ ١٩٥١م).

وإذا ما عرفنا أن الشيخ الأنصاري قد كتب أول محاولة تأليفية وقصصية له (التوأمان) وعمره لم يتجاوز الرابعة والعشرين، فقد بدأ يكتب مقالاته الصحفية في جريدة (صوت الحجاز) مع بدايات صدورها في مكة المكرمة بتاريخ ١٣٥٠/١١/٢٧هـ - ١٩٣٢/٤/٤م، وذلك قبل ولادة مجلة (المنهل) بخمس سنوات، وقد ذكر د. منصور الحازمي، الذى قام بفهرسة المادة الأدبية في صحيفة (صوت الحجاز) أنه رصد للشيخ الأنصاري خلال هذه السنوات الخمس ما يقرب من (٣٥) مقالا وبحثاً لغوياً وأدبياً وتاريخياً، وقد استمر يكتب فيها، لم يثنه عن ذلك صدور (المنهل)، بل لقد أصبح يواظب على كتابة زاوية بعنوان (ما قل) في جريدة (البلاد السعودية) التى تعد امتداداً لـ (صوت الحجاز) بعد توقفها في الحرب العالمية الثانية.

وبالإضافة الى ذلك، كتب في الجريدة الرسمية

(أم القرى) ونشر شيئاً من أشعاره قبل رئاسته لتحريرها (بين بداية عام ١٣٥٩هـ ونهاية عام ١٣٦١هـ) وأثناءها وبعدها، كما كتب في الصحف والمجلات الآتية: (الرابطة الإسلامية والحج والنداء الإسلامي والمدينة المنورة وعكاظ وقافلة الزيت والخفجي والأهرام والمقطم والسياسة الأسبوعية والرسالة والكتاب والمعرفة والشرق الأدنى والرابطة العربية) وغيرها، كما ألقى بعض الأحاديث في الإذاعة المصرية، والمؤمل أن تسعى مجلة (المنهل) الى تتبع كل المقالات الصحفية والأحاديث الإذاعية التى كتبها ونشرها، وتدوينها في دراسة بيبليوجرافية تساعد الباحث في العثور عليها، مشيراً في هذا الصدد الى أنه قد استخدم في أحيان كثيرة أسماء مستعارة لبعض مقالاته، سواء في مجلة (المنهل) أو غيرها، فظهرت له مقالات بتوقيع ابن القاسم، وأبو العلاء وأبو نبيه والشاعر المجهول ورمز (ع٠أ٠)، وكان توقيع (باحث) من أكثرها استعمالا، ولم يكن لذلك دائماً صلة بجرأة موضوعاتها٠

هناك ثلاث مسائل، والمرء يقرأ في التاريخ الثقافي للأنصاري، تلفت النظر الى مكانته الفكرية المتقدمة وريادته الإعلامية والأدبية، وهي مسائل لم تسلط عليها الأضواء ـ بما فيه الكفاية بعد ـ من قبل دارسي تاريخه، لا وحتى من قبل (المنهل)، الذي خصص العديد من الأبحاث عنه منذ رحيله قبل عقدين من الزمن:

الأولى : تلك الاستفتاءات، وكذلك الندوات، المستنيرة في أبعادها، الثرية في مضامينها، التى أطلقها عبر (المنهل) بين فترة وأخرى، عن قضايا فكرية وأدبية جدلية، وكان يشارك فيها أبرز أعلام الثقافة والأدب السعوديين في عصره، يمارسون من خلالها عصفاً ذهنياً لآرائهم، في حوارات راقية واعية هادئة، ما تزال بعض محاورها تطرح في المجتمع السعودي وأوساطه الثقافية حتى اليوم، أي بعد مضي أكثر من نصف قرن على طرحها في (المنهل)٠

فمن أمثلة القضايا المطروحة في تلك الاستفتاءات والندوات الدورية عبر (المنهل): ندوات عن الأخلاق والتعليم، وعن خير الطرق لتعميم التعليم، وعن التعليم العام أم التعليم العالي، وعن الابتعاث الى الخارج من عدمه، وعن الصناعة أم الزراعة، وهل استفدنا من الأدب، وعن الوضع الأدبي الراهن بين الصعود والركود، واستفتاءات حول رسم برنامج عملي لرفع مستوانا الاقتصادي، وعن أثر الأدب الحديث في هذه البلاد، وهل يصلح أدبنا للتصدير، واستطلاع للآراء حول ذبائح منى، وتخطيط وسائل النهضة الصحفية[٦]٠

الثانية : فهي تلك الصلة الفكرية التى كانت تربط الأنصاري بعبيد مدني رحمهما الله، والتى يذكر أنها خلفت بينهما، رغم قربهما الجغرافي، حصيلة أدبية مخطوطة تستحق التدوين والنشر، فكما أن من المعروف أن الشيخ محمد الطيب الأنصاري رحمه الله، كان الأب الروحي ـ إن جاز التعبير ـ للشيخ عبد القدوس، فإن الأستاذ عبيد مدني كان يعد المؤثر الثقافي والأدبي عليه منذ صغره، وقد شعرت من خلال التعمق في إعداد هذه المحاضرة أن شيئا ما حول هذه المسألة، قد يكشف النقاب عنه قريباً من خلال مجلة (المنهل) أو من خلال د٠ عبد الرحمن الأنصاري، الذي يحتفظ لنفسه بإفشاء المزيد من التفصيل عنه، وكان الشيخ عبد القدوس قد تحدث عن صديقه عبيد مدني حديثاً ضافياً، كما نعاه إثر وفاته، في مقالين

مطولين[٧] ألمح فيهما الى طرف من علاقتهما الفكرية وجهودهما في بدء ما أسماه بالأدب الحديث في المدينة المنورة، وقد بدا واضحاً فيهما مدى تأثر الأنصاري بصديقه ورفيق دربه * [ب]، علماً بأنهما ولدا في عام واحد، وسلكا خطوات متقاربة في حياتهما.

الثالثة : فهي أن عبد القدوس الأنصاري كان في الواقع موسوعي التخصص، لا يتردد المنصف في أن يطلق عليه لقب العلامة، فهو متشعب الاهتمامات، متنوع المواهب، وهو، بدون مشاحة، الأستاذ في الأدب والتاريخ واللغة والآثار، بالإضافة الى العلوم الشرعية، ويكفي أن يضرب المثل بموسوعة (مخطوطة) ضخمة عن النخلة، خلفها الشيخ الأنصاري، وهي تقع في (٧٠٠) صفحة، ستصدر مطبوعة في هذا العام عن دار (المنهل) بإذن الله تعالى.

ولم تكن تلك الريادات العلمية والثقافية سوى أمثلة من التنوع المعرفي، والانفتاح الفكري لدى الأنصاري، تتوج ما اشتهر به في الوسط الثقافي من تعمق في الأدب وفروعه: الكتابة، والنقد، والقصة، والشعر، والرواية، وما اكتسبه في تعليمه المبكر من ثقافة إسلامية متأصلة، فضلا عما عرف عنه من أدب وخلق وسجايا إنسانية رفيعة المقدار.

مجلة المنهل :

واقترن اسمه في أذهان المثقفين بمجلة (المنهل) التى أصدرها في المدينة المنورة في ذى الحجة سنة ١٣٥٥هـ/ فبراير ١٩٣٧م، مسجلا بها الريادة الصحفية، في كونها أول مطبوعة صحفية سعودية في طيبة الطاهرة، وأم المجلات الثقافية السعودية، وأقدمها وأطولها عمراً، وأول مجلة أهلية سعودية، وثاني مطبوعة صحفية سعودية أهلية في المملكة بعد (صوت الحجاز)، إذ صدرت جريدة (المدينة المنورة) السعودية لعثمان حافظ بعد (المنهل) بشهرين.

وقد انتقلت مجلة (المنهل) الى مكة المكرمة سنة ١٣٥٩هـ بسبب انتقال مؤسسها للعمل رئيساً لتحرير جريدة (أم القرى)، ثم توقفت عن الصدور مضطرة أربع سنوات ونيف (بدءاً من شهر رمضان المبارك ١٣٦٠هـ/ سبتمبر ١٩٤١م) بسبب شح الورق إبان الحرب العالمية الثانية، بعد أن مرت بها فترة اضطرت فيها الى تقليص صفحاتها، ثم عاودت الصدور من مكة المكرمة في شهر محرم ١٣٦٥هـ/ ديسمبر ١٩٤٥م، وفي شهر شعبان سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م نقلت الى جدة، حيث مازال صدورها منتظماً، تقترب في عامنا هذا من السبعين في العمر.

وأقولها بصدق، إن عودة (المنهل) الى أحضان أمه الأصل (المدينة المنورة) هو بالنسبة لمحاضركم من أسعد تمنياته الإعلامية، والتى أرجو أن يسعى ناديكم الأدبي وآل الأنصاري الى تحقيقها.

لقد كان الكتابان: الفضي، الذي صدر بعد مرور ربع قرن على تأسيس (المنهل)، والذهبي، الذى صدر بعد نصف قرن، سجلين ضافيين لمسيرة البلاد، السياسية والثقافية والإدارية، مع تراجم لعدد كبير من الأعلام والشخصيات، ورصداً دقيقاً لحركة التأليف والطباعة والنشر، ومسرداً لتفاصيل مفيدة عن الصحافة السعودية.

وفي تقدير المحاضر أن هذين الكتابين هما - وبخاصة الأول - أفضل مرجعين عن الشيخ الأنصاري ومجلته، فقد اشتملا على معلومات مهمة عن تاريخ (المنهل) وقصة الترخيص له، وعلى عرض لتطوره التاريخي والفني، منذ أن بدأت فكرته سنة ١٣٤٨هـ، وعلى سرد مفهرس (مبوّب) للموضوعات التى نشرت فيه، وعلى الأوليات العديدة التى سبق فيها غيره من الإصدارات الصحفية، وقد ذيّل الكتاب الثاني بإعادة

طباعة أول عدد من (المنهل، في ذي الحجة ١٣٥٥هـ)، وكانت نخبة من الأدباء والمفكرين، قد شاركت في الإشراف على إعدادهما.

لقد كان (المنهل)، وما يزال، علامة مضيئة في التاريخ الثقافي لمدينة المصطفى عليه الصلاة والسلام، ونجماً من نجوم الصحافة السعودية والعربية المعاصرة، ولم يعد مجرد مجلة من المجلات، فهو في شأنه ومقداره، يضاهي مجلات (المختار والمقتطف والهلال)[٨] في مصر، و(العربي) في الكويت ونحوها في أنحاء العالم العربي، ولابد أن نحافظ عليه حفاظنا على معالم الوطن وشواهده الحضارية.

وقد حرص الأنصاري على أن يجعل (المنهل) مجلة شهرية تخدم الأدب والثقافة والعلوم، وتتجنب الإقليمية والخصومات الأدبية، مبتعداً في ذلك عما ظهر في صحف أخرى من مقالات جدلية، فطرق ميدان النقد الأدبي بأسلوب رزين بناء ونقاش فكري جاد، وكان من أبرز صوره ما دار بين الأنصارى وحمد الجاسر حول حركة (جيم جدة)، التى نشرت مناقشاتها في مجلة (المنهل) والمطبوعات الصحفية الأخرى، ثم ضمها كتاب مطبوع للأنصاري بعنوان: التحقيقات المعدة بحتمية ضم جيم جدة.

ووفت مجلة (المنهل) بما وعدت به من الإسهام في إحياء التراث الأدبي، وتشجيع القصة القصيرة والشعر الحر، والاهتمام بما كان يترجم من الأدب العالمي الى اللغة العربية (وبخاصة في مجال القصة القصيرة)، وكانت ذات شخصية واضحة وثابتة متأثرة بميول صاحبها فيما يكتب أو يستكتب، حريصاً على تقسيم (المنهل) الى أبواب ثابتة، ومواضيع متجانسة، كمنهل الشعر، ومنهل القصص، ومنهل التلاميذ والشباب، ومنهل الكتب والصحف ونحوها، واهتمت المجلة بأدب المرأة ونشاطها الفكري، وابتكرت فكرة الاستفتاءات المنشورة على صفحاتها، لمعالجة بعض الموضوعات الفكرية، مما كان يشترك في مناقشته عدد من الكتّاب المشهورين.

وامتاز (المنهل) منذ عامه الأول بفكرة إصدار أعداد سنوية ممتازة، وأعداد خاصة عن موضوعات محددة، تعدّ، في جودة المضمون والإخراج والطباعة، بمثابة كتب قائمة بذاتها، بلغت حتى الآن ما يقرب من (٣٨) عدداً ممتازاً و(٥١) عدداً خاصاً، وكان من بينها ما نشرته مجلة (المنهل) لآخرين في مجال الأدب والرواية (منفصلة عن المجلة، هدية منها)، وذلك بالطبع بخلاف ما كان يؤلفه الشيخ الأنصاري من كتب مستقلة تحمل اسمه.

ونجت مجلة (المنهل) من عملية إلغاء تراخيص الصحف والمجلات السعودية الفردية تمهيداً لإنشاء المؤسسات الصحفية سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م، حيث استثنيت بقرار مجلس الوزراء الذى مهد لصدور نظام المؤسسات الصحفية، وصارت القاعدة منذ ذلك الحين استثناء المجلات المتخصصة التى سارت على خطى (المنهل).

وبعد :

لقد كتبت مقالات عديدة عن فكر الأنصارى وتراثه في الأدب واللغة والتاريخ والآثار، وأبحاث أخرى عن مجلة (المنهل)، كان من بينها تلك الدراسة التحليلية الشاملة التى أصدرها د. السيد تقي الدين في كتاب بعنوان: مجلة المنهل وأثرها في النهضة السعودية[٨]، والواقع أنها دراسة متميزة تناولت محتوى (المنهل) من شعب ثلاث: صحفية واجتماعية وأدبية، وأحصت كثيراً مما انفردت به مقالات (المنهل) ودراساته من مبادرات وخصائص خلال النصف قرن الأول من عمره، ومع ذلك، فإن توأمي الأنصاري و(المنهل) يستحقان ندوة علمية من إحدى جامعاتنا، تخصص للتعمق فيهما، وجمع شتات ما كتب وتدوينه، والتعريف به.

أما الأمنية الثانية فهى أن يتعاون المجتمع الثقافي لإعداد فهارس شاملة لهذه المجلة وإصداراتها الأخرى، ولا أجد أفضل من ناديكم، أو مركز أبحاث المدينة المنورة، لتبني هذه الفكرة والعمل على تنفيذها، خاصة وقد مهد عبد القدوس الأنصاري - وابنه نبيه وحفيده زهير من بعده - هذا الطريق، عندما دأبوا - منذ أن أصدر المنهل كتابيه: الفضي ثم الذهبي[٩] - على إصدار كشافات دورية عن محتوياته، كما بذل آخرون محاولات جيدة لتحقيق هذه الغاية، وكان من أبرزها ما أصدرته مكتبة الملك فهد الوطنية من إعداد د. عبد الله سالم موسى القحطانى (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، وقد تضمن تكشيفاً للمجلة لمدة خمسة وأربعين عاماً (من ١٣٥٥هـ - ١٤٠١هـ).

وحسبي في النهاية أن أقول: إن الأنصارى الذي مر في دنيانا هذه بين عامي ١٣٢٤هـ و١٤٠٣هـ، هو من فئة من الرواد الذين يزداد تقديرهم بعد فقدهم، وقد لا يستوعب المرء مدى ريادتهم إلا بعد مضي فترة من الزمن على غيابهم، فهو علامة موسوعة، تقدم عصره، وفاق بيئته، وسبق محيطه والجيل الذى عاش فيه.

رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن أمته خير جزاء.

الهوامش :

(١) لمحمد سعيد عبد المقصود ورشدى ملحس، أبحاث جيدة حول هذا الموضوع نشرت في (أم القرى).

(٢) ألغى هذا النظام نظاماً تركياً سابقاً كان صدر في ١٢٨١/٨/٢هـ، وقد نشر الدكتور محمد الشامخ نصوص النظام في كتابه الصحافة في الحجاز، الصادر عن دار الأمانة ببيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

(٣) نشر الأول في جريدة (أم القرى)، في عددها رقم (٢٢٦) الصادر بتاريخ ١٣٤٧/١١/١٦هـ/ ١٩٢٩/٤/٢٦م والعدد التالي له، ونشر الثاني في عددها رقم (٧٨٨) الصادر بتاريخ ١٣٥٨/١٢/١٦هـ/ ١٩٤٠/١/٢٦م والعدد اللاحق له.

(٤) تضمن كتاب المحاضر: تاريخ الإعلام في المملكة العربية السعودية، دراسة وثائقية وصفية وتحليلية (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ، نص الأمر السلطاني المشار إليه.

(٥) طبع في مطبعة طيبة الفيحاء في المدينة المنورة، ويقع في (٣٢٤) صفحة.

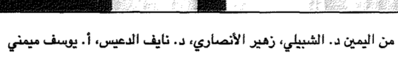
(٦) كان من أبرز الشخصيات الثقافية التى أسهمت في تلك الاستفتاءات والحوارات: الأمير عبد الله الفيصل وعبد العزيز بن محمد آل الشيخ ومحمد بن مانع وابراهيم الشورى وعبد الله خياط وحمد الجاسر وعبد الله بن خميس وأحمد على واسماعيل الأنصاري وعبد العزيز بن باز ومحمد حسن عواد وحسين سرحان ومحمود عارف وعلي فدعق وحسين عرب ومحسن باروم وعبد الله عبد الجبار وعبد العزيز الرفاعي وأحمد ابراهيم الغزاوي وضياء الدين رجب وحسن قرشي ومحمد سعيد العامودي وأحمد السباعي وصالح قزاز ومحمد على مغربي ومحمد مغيربي ومحمد حسن كتبي ومحمد عمر توفيق وعبد الله عريف وعبيد وأمين مدني ومحمد حسين زيدان وعلي وعثمان حافظ وأحمد عبد الغفور عطار وطاهر زمخشري وأحمد عبد الجبار ومحمد حسن فقي ومحمد على السنوسي ود. منصور الحازمي وهاشم الزواوي ومحمد أحمد العقيلي وسعود بن عبد الرحمن السديري وعبد الفتاح أبو مدين ود. عبد الله الزيد وعاتق بن غيث البلادي وعباس العقاد وعبد الله فدا وعمر الطيب الساسي وهاشم دفتر دار وغيرهم.

(٧) مجلة المنهل، ربيع الأول ١٣٧٨هـ وشوال/ ذو القعدة ١٣٩٦هـ.

(٨) نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ٣٣٥ صفحة.

(٩) اخذ الثاني تسلسل أعداد المنهل (٤٣٠)، محرم وصفر ١٤٠٥هـ (أكتوبر ونوفمبر ١٩٨٤م).

في نهاية المحاضرة كانت هناك تعقيبات من الحضور وكلمة لنائب رئيس تحرير مجلة المنهل الأستاذ زهير نبيه الأنصاري جاء فيها :



من اليمين د. الشبيلي، زهير الأنصاري، د. نايف الدعيس، أ. يوسف ميمني

أشكر نادى المدينة الأدبي العريق على تبنيه هذه المحاضرة بعنوان (عبد القدوس الأنصاري ومجلة المنهل قصة ريادة الصحافة السعودية).

وهذا ديدن نادينا العريق لتكريم رموز الأدب والفكر في مدينتنا مدينة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} شاكرا لأستاذي الدكتور/ عبد الرحمن الشبيلي (عضو مجلس الشورى) هذا الطرح المميز؛ ولقد شرفتُ بأن ساهمتُ بقدر المستطاع في الاستجابة لطلبات أستاذنا الدكتور/ عبد الرحمن خلال كتابته لهذه المحاضرة القيمة، والواقع أني لمستُ ولمستْ معي أسرة تحرير مجلة المنهل - حرص أستاذنا الدكتور عبد الرحمن على أن تكون المحاضرة شاملة ووافية وكان حرصه دقيقا حتى في التواريخ والأرقام وأشكره وأكرر شكري العميق له.

وهذا ما أسعدنا جميعا في مجلة المنهل..

وأعدكم بأن المنهل ستستمر - إن شاء الله - وستتطور - إن شاء الله - في حدود إمكانياتها المتاحة البسيطة - والتي تعرفونها جميعا - فهي ذات موارد بسيطة، يسندها من ورائها دعم حكومي، له عندنا مكان التقدير.. وان كنَّا ننتظر المزيد، لما يوافي ضخامة حجم المسئولية.. ومجلة المنهل أخذت عهدا على نفسها بأن تستمر في الصدور بأي حال من الأحوال وفي أي ظرف من الظروف. وهى كذلك منذ إنشائها وحتى يومنا هذا، لم تتوقف.. وهذا فضل كبير من الله سبحانه ان سدّد الخطى ووفق.

وأتمنى، كما تمنى الدكتور الشبيلي، أن نرى المنهل - ان شاء الله - في المدينة المنورة - حيث نشأتها الأولى - وأشكر الدكتور على أمنيته هذه وكم اتمنى تحقيق هذه الأمنية مع نادينا وبمباركة أهل المدينة الكرام .. ولكن تبقى هناك ظروف وصعاب تمنعنا من تحقيق ذلك على المدى القريب.

كذلك أعد الجميع في القريب - إن شاء الله - أن نجمع ما نشر في المنهل عن تاريخ مدينتنا الحبيبة - المدينة المنورة - وان نعمل على تحقيقه ونشره بمباركتكم ودعمكم وبأفضالكم جميعا على المنهل وأسرة تحريرها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

زهير الانصاري

المحرر :

* [أ] حسبما جاء في كتابات الشيخ عبد القدوس الانصاري بقلمه انه بعد نجاحه وتفوقه في اداء الاختبار النهائي عمل في ديوان امارة المدينة المنورة مباشرة.

يقول الانصاري:

«وثاني يوم بعد نجاحي في الاختبار الشاق العنيف كنت جالساً على مكتبي في ديوان امارة المدينة المنورة موظفاً صغيرا بها. أصغر من جميع الموظفين به، كان ذلك في غرة شهر رمضان ١٣٤٦هـ». (ص ١٤/ عدد ذو القعدة وذو الحجة ١٤٠٣هـ).

وكان أن حضر الاختبار العمومي الذى أجرى لطلاب المدرسة (مدرسة العلوم الشرعية) رئيس ديوان امارة المدينة المنورة الشيخ اسماعيل حفظى. وكان ان اعجب بالاداء المتفوق للشاب النابه عبد القدوس الانصاري فاشار الى وكيل الامارة بأن يلحقه بديوان الامارة.

وفي مقال سابق للأستاذ عبد القدوس الانصارى بعنوان (عهد جديد) نشر في عدد رجب - شعبان ١٣٧٤هـ.

يقول الانصاري متحدثا عن نفسه بأسلوب الحكاية الذي يجيده (.. وقد ألح المدير للفتى - أي مدير مدرسة العلوم الشرعية - والفتى أى الانصاري يقصد نفسه - بانه مزمع تعيينه مدرساً عقب تخرجه مباشرة، إلا أن مطالب الحياة دعت الفتى الى ان يقبل وظيفة كتابية بأحد الدواوين الحكومية.. وقد أحس حينئذ بشيء من وخز الضمير تجاه مديره الذى طالما عطف عليه..) ص ٣٦٣/ نفس المقال والعدد..

ثم عمل بعد ذلك (أستاذاً للادب العربي بالمدرسة - أي مدرسة العلوم الشرعية - زهاء اثنى عشر عاما..) ص ٦٤٨/ عدد جمادى الآخرة ورجب ١٣٩٨هـ.

ويقول الانصاري في نفس هذا المقال: (وما أبعدنى عن هذا الدرس الذى كنت احبه حباً جماً الا صدور الأمر الملكى الكريم من جلاله الملك عبد العزيز رحمه الله بان اشتغل بمكة المكرمة رئيساً لتحرير جريدة ام القرى الرسمية) نفس العدد والصفحة.. وكان ذلك في عام ١٣٥٩هـ.

ونلحظ هنا ونسجل ان الشيخ عبد القدوس الانصاري، ذلك الفتى المتدفق همة ونشاطا وطموحاً، كان (موظفاً في ديوان الامارة.. وأستاذاً في مدرسة العلوم الشرعية.. ومباشراً عمله في مجلته المنهل) كل هذا في وقت واحد.

المحرر :

* [ب] الرائدان العظيمان: عبد القدوس الأنصارى وعبيد مدني - رحمهما الله بفضله وأحسن اليهما - تماثلت بدايات حياتهما - ولا أقول حياتيهما - تماثلا كبيرا، من حيث النشأة والتكوين العلمي والثقافي..

ومن حيث الطموح المشترك المتناغم بينهما.. وإن تمايزا بعد ذلك، في أسلوب ومنهجية العطاء..

لهذ، يصعب الذهاب الى أن أحدهما قد أثر في الآخر.. أو تأثر به.. وان كان شيء من ذلك فهو الأثر المتبادل بين الاتراب.

والأستاذ عبد القدوس الانصاري، حين يكتب عن السيد عبيد مدني، فانه إنما يكتب عن نفسه أيضاً، والى حد كبير جداً.. ذلك للتقارب الكبير بينهما في:

- البيئة العلمية والاجتماعية العامة التى عاشا فيها، وشكلت معارفهما، وتوجهاتهما.

- الطموح والجديَّة، والثبات على المبدأ.. والرغبة في الاصلاح.

- التفكير المشترك بينهما في إنشاء وتأسيس صحافة أدبية تنشر بوادر النهضة الادبية والاجتماعية والعلمية في الحجاز، ورعاية هذه النهضة وتنميتها.

- اقترح السيد عبيد مدني ان ينشىء مجلة أدبية باسم (الفاتحة) واقترح الاستاذ الانصاري ان ينشىء مجلة ادبية باسم (المنهل) وشاء القدر أن تستمر هذه الأخيرة في الصدور حتى يومنا هذا.

- الانصاري ومدني تلقيا تعليمهما في المسجد النبوى الشريف وفي مدرسة العلوم الشرعية على شيخهما الشيخ محمد الطيب الانصاري.

- الأنصاري تعهده بالتربية والتعليم منذ صغره شيخه محمد الطيب الانصاري.. وعبيد مدني تولى تربيته الأدبية منذ الصغر الاديب محمد العمري.

- مكتبة والد السيد عبيد مدني وكانت مكتبة عامرة، متنوعة المعارف كما يصفها الانصارى - تلك المكتبة كانت المنهل الأول الذي نهلا منه سوياً.

- بدءا سوياً - الأنصاري وعبيد مدني - أول نشاط أدبي جماعي يهدف الى تنشيط الحركة الادبية في المدينة المنورة بخاصة، وفي الحجاز بعامة.

- شاءت ارادة الله سبحانه وتعالى أن يتحد تاريخ مولدهما فقد ولدا في عام ١٣٢٤هـ. في المدينة المنورة.. وشاء القدر - أيضا - أن يتوفى والداهما وهما دون العاشرة من العمر.

- وشاء القدر أيضاً ان يمتد الود بينهما، وتمتد صداقتهما امداً مديداً.

مواطن اللقاء بين حياتيهما - عليهما رحمة الله - شكلت توافقاً - الى حد كبير - في تفاصيل عطائهما، وبخاصة في المرحلة الأولى من حياتهما.

ولولا مخافة الاطالة، لبسطت القول في هذا الموضوع، ببعض ما قال الشيخ عبد القدوس الأنصاري.. والمراجع المدقق للمقالات التى كتبها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري عن الأستاذ السيد عبيد مدني يتبين اليه ما ذهبنا اليه.. ويمكن مراجعة المقالات المنشورة في المنهل : «الأعداد»

- ربيع الأول ١٣٧٨هـ/ ص ص ١٧٢ - ١٨٣.

- رجب ١٣٨٦هـ/ ص ص ٣٤٣ - ٣٤٧.

- شوال وذو القعدة ١٣٩٦هـ/ ص ص ٦٧٣ - ٦٨٠.

وهذا الأخير بعنوان (الصديق الكبير الذى فقدناه السيد عبيد مدني) ومراجعة ما كتبه عنه الاستاذ عبد القدوس الانصاري في كتابه الذى لا يزال مخطوطاً وهو بعنوان (أول أثر ظهر من آثار النهضة الأدبية الحديثة بالمدينة المنورة).



أكذوبة العولمة في الزمن الصيني

هنا في الصين يتوقف زمن العولمة وتتلاشى أطروحة الكوكبة أو الكونية (العالم قرية صغيرة)، قد يبدو هذا القول للوهلة الأولى غريباً وبعيداً عن الواقع المعيش في أوطاننا ودنيا الغرب المتحضر، لكن الزائر لامبراطورية الصين الشعبية بهذه العقلية «العولمية» يصطدم - خاصة زائرها لأول مرة - بحقيقة أكذوبة «العولمة».

كيف يُصدّقُ هذا الزعم والصين - وما أدراك ما الصين في ذهنيتنا وذاكرتنا - ذلك العالم وحده الذى غذى أسواق الكون الأرضي ولم يترك بقعة فيه من بلاد العرب والعجم إلا وغزا سوقه من عود الثقاب والإبرة والقلم الى آخر نوع من أجهزة الحاسوب المتطورة.

بقلم : د. محمد سعيد الصمدى - المغرب

ذلك التنين الأصفر الذي أغرق العالم - المصنف عالميا بالأول - بانتاجه وسلعه؛ بل هو البلد الذى استطاع أن يفرض - بقوة عزيمة وكدّ متواصل - تسويق صادراته واجتياح السوق العالمي بماركة (صنع في الصين)!!.

هل فعلا ينتهي هنا زمن العولمة ويبدأ الزمن الصيني؟ هل من تفسير لهذا الكلام؟!!

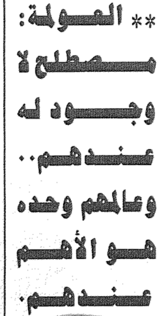
دخلنا الصين من بابها الواسع وبعقليتنا العربية المغربية الممزوجة بصبغة التحضر والعصرنة المدنية ونزلنا بأحد أكبر مطارات الدنيا بشانغهاي الذي يضاهي مطار هيثرواللندني وقد لا يساوي أمامه شيئاً مطار «برفاص» بمدريد ولا «شارل ذي غول» بباريز.

وأثناء هذا الدخول الذى تلمس فيه مدى التقدم والصنعة الصينية بمطار (Pudong) تذكرت يوم دخل بلدينا ابن طنجة ابن بطوطة - رحمه الله - الى الصين وقد تلاطمت به الأمواج ولطف الله به وأنقذه ومن معه من موت محقق؛ تذكرت كنه الرحلة ومشاقها ومدى المفارقة بين الرحلة العربية التقليدية والرحلات المعاصرة المريحة.

بدأنا ننغمس شيئا فشيئا في الحياة الصينية وآثرنا التركيز على الهامش والمحيط أي الابتعاد عن أماكن الزيف والمظاهر السياحية والاستهلاكية قصد استكناه العمق في الزمن الصيني؛ عندها بدأت تتلاشى في ذاكرتي أطروحة «العولمة» الحقيقة حسب الزعم الأوربي الامريكي، وينمحي من مخيلتي سراب «الكوكبة» لألس بصدق وعفوية حقيقة الحقيقة، تفاهة خطاب الحداثة والعصرنة أمام الإقلاع الحقيقي لبناء الأمة الصينية كأحد أقوى قوة اقتصادية تؤمن بالذات وتحاصر زحف الآخر.

يصعب على المرء الذي يلامس هنا في الصين معطيات حياتية قد تكون غريبة - وهي غريبة حقا - عن المألوف العربي والغربي، أن يطرح هذا الكلام ليفصل الشرح والبسط؛ لكن العيش في أحضان هذا الفضاء الواسع بمساحاته وخلائقه وعجائبيته - ولو لأسابيع معدودة - يفرض على الحائر العربي - عفواً الزائر العربي المسلم - تسطير بعض الحقائق التى تقرب القارىء من هذا الواقع/ الزمن الهارب من كل شيء إلا من أمته وإثنيته:

** يقصد هذا البلد/ الأمبراطورية - التى لا يكفي المرء مدة حياته كلها لطوافها ومشاهدتها - تجار العالم الكبار والاقل درجة منهم الى جانب السياح الغربيين الذين يظل عددهم قليلا جداً مهما ارتفعت نسبتهم، وكذلك الهيئات الدبلوماسية الرسمية، وتبقى بطبيعة الحال لغة التخاطب والتواصل الوحيدة هى الإنجليزية، وكل واحد من هؤلاء يعتقد أن ما معه من هذه اللغة سيكفيه لقضاء مآربه وحاجياته؛ وبهذا الاعتبار كنتُ اعتقد - أستعمل الفعل الماضي لدلالة توقف الفعل - أنه سيكون لزاماً على السياسة الثقافية والتعليمية للدولة الصينية أن تجعل من هذه اللغة مادة أساسية مركزية تحقق للإنسان الصيني بمختلف شرائحه تواصلا بها



** العولمة: مصطلح لا وجود له عندهم.. وعالمهم وحده هو الأهم عندهم.

** حسبنا أن الانجليزية هي لغة التخاطب العالمية، لكن أهل الصين لا يولونها انتباها.. ولا يرغبونها.

** الغرب حاول كثيرا اختراق الصين بعولمته.. لكنه لم يقدر.

مع العالم الذي يحتاج الى هذا البلد/ الصين.

يعجب المرء إذا علم أن الصيني ـ كما خبرته ولتعذرني النخبة الجامعية والأكاديمية الصينية ـ لا يعلم بل لا يهمه أن يعلم ولا خطر بباله أن هناك لغة عالمية مهيمنة على ثقافة الحاضر هي «الإنجليزية» إن الذي يمكن أن يحدثك به صيني ما بهذا الخصوص هو أن لغته التى أرضعته إياها تربة بلاده هي اللغة التى خلق للتحدث بها في هذه الحياة ـ وقد نعود لموضوع الخلق والإيجاد والبداية والنهاية وما بعد النهاية في مخيلة الإنسان الصيني في مناسبة ما ـ والقلة القليلة جداً هي التى تتحدث الإنجليزية على نحو لو علمه أصحاب هذه اللغة لأرسلوا برقية احتجاج.

ويبقى أنك تحتاج الى مترجم يرافقك في رحلتك لقضاء مآربك التجارية والسياحية والمعيشية ومن خلال هذا المرافق المترجم ـ وهو شاب ظريف يتعامل معه صديقي في التجارة منذ سنوات قليلة ـ استطعنا أن نعرف الكثير عن بواطن وأغوار الحياة في أدنى الأرض، أو بلاد «يأجوج ومأجوج» كما نعتها أحد أصدقائنا الذين زاروها من قبل.

وإذا استثنينا موضوع «المترجم» فإن وسيلة التواصل مع المجتمع تجاريا وسياحيا تبقى مفككة مجزَّأة تحتاج لطول الوقت وتوظيف اللغة الإشارية والجمع بين اللغات لعلك تحقق الفهم والتفاهم. وطرحنا على أنفسنا جملة تساؤلات: كيف لهذا الإنسان أن يحقق تواصلا مع العالم حوله بدء من الكوريتين واليابان وروسيا وانتهاء بالطرف الآخر من الكون؟! بل تساءلنا هل هو في حاجة الى الاهتمام وإشغال فكره وباله بما يجري حوله؟ هل تتحرك هنا ثقافة المجتمع المدني وخطاب المنظمات الحقوقية والرفق بالحيوان، و«موضة» النزعات الإثنية والنبش في مآسي الماضي؟.

وأخيرا هل الحياة هنا في الصين ـ بهذا الكنه والعمق والخصوصية التى تحسسها هنا.

تركت لهذا الإنسان وقتا بل قبساً من فكر في الجلوس أمام الحاسوب ليوظف قناة الإنترنيت لملاقاة من يشاركونه الهموم والرغبات؟ وهل لهذا الإنسان هموم حتى يبوح بها؟!!

** وأنت تأتي الى الصين لا يخطر ببالك أنك ستنقطع عن عالمك ودنياك الساكنة في قرص ذاكرتك، يكفي أن نؤكد انسجاما مع ما سبق أن ما يعرف بـ «الفضائيات» و«النيميريك» هذه القنوات المتعددة التى ألهت الكثير من العقول الجامدة والتى قدمت ـ أي القنوات ـ خدمة كبرى لموضوع العولمة لا يعرف لها هنا ذكر ولا معنى؟! والتساؤل لماذا؟ لكن السؤال نطرحه نحن أما الصينيون فمنغمسون في عالم بناء الأمة والنهوض بالذات.

السياسة الثقافية الصينية على مستوى وسائل الإعلام تقوم على الهوية الصينية، وبهذا المبدأ فهي تبث فقط الفضائيات الصينية المتعددة الوطنية والمحلية لكل منطقة وجهة، يضاف الى ذلك قنوات اليابان (واحدة) الهونك كونك (واحدة رياضية)؛ ولا يسمح لأي قناة أجنبية بالالتقاط حتى الشهيرة عالميا كـ (CNN) والأورونيوز أو (BBC) التى يفترض وجودها في إطار خدمة الاستثمار السياحي، ولأكون أمينا، على الأقل لا وجود لها في الفنادق الفخمة المصنفة كفندق Orchid Garden Hotelوسط مدينة سوزو، وفندق New Aria بشانغهاي.

نحن هنا الآن لا نتحدث عن الزائر العربي الذى بإمكانه أن يحصل على الخدمة الإعلامية بلغة أجنبية عن الصين بالتجائه الى الوسيلة الوحيدة القاهرة الإنترنيت، نحن نقصد علاقة المواطن الصيني بما وراء الحدود/ العالم الخارجي، يمكنه الحصول على بصيص من هذه الأخبار من خلال قنواته المحلية.

ومع ذلك للقارىء الكريم أن يقدر مدى استغرابنا من عدم وجود قناة فضائية عالمية - بالمفهوم الغربي - ولا نقول قناة عربية، بل ولم لا عربية؟! تحقق تواصلا بينك وبين أخبار بلادك العربية في عز زمن الانتفاضة والطغيان اليهودي.

أكذوبة العولة تقتحم أسوار الصين فتعود بجبروت هذا الإنسان المتعالي عن التفاهات خائبة منذ مدة أمام زهو الحضارة الصينية المحصنة في عمقها بروح البساطة والابتذال والدروشة بلغة المتصوفة.

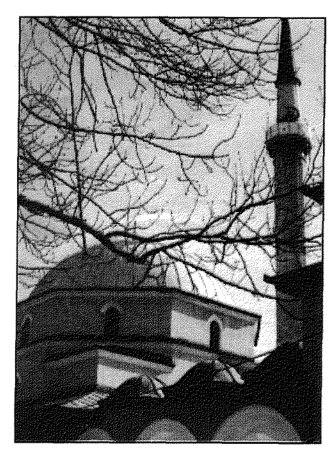
** نكتة «عرض صور المشاهير»: كانت معنا صحيفة عربية شهيرة حملناها معنا من المغرب، وذات مساء عرضنا بعض صور الملوك والرؤساء على أحد مرافقينا فلم يعرف أحداً منهم، وكانت ذات الصحيفة قد أجرت حواراً مع المغني الأمريكي الإقامة الأسباني الأصل (خوليوكليسياس) الذى غنى لأول مرة في حياته بالمغرب هذا الصيف، وهو الذي زار المغرب أكثر من مائة مرة كما قال في الحوار ولم يطلب منه الغناء إلا الآن - إنه زمن الحداثة والتقدمية المزيفة - قلت لصاحبي هذه ثلاث صور مختلفة لمغن فتنت به الأجيال من الكبار والصغار سنسأل هذا الشاب الجامعي المجاز كاختبار لعقلية الجيل الجديد من الصينيين فلم يعرفه وبان على ملامح وجهه كأنه يقول: ولماذا أعرفه؟! الشباب هنا يعيشون زمنهم وعالمهم الصيني. فإذن هناك «عولمتان» لينتبه دعاة «الكوكبة» الى هذه الحقيقة التى يصمون آذانهم عن سماعها.

وحتى بلاد المغرب الأقصى الذى يحبه المسلمون الصينيون المثقفون لتجذر الإسلام في تاريخه وماضيه وحينه، هذا المغرب لم يعرفه صاحبنا المرافق لنا إلا سنة ١٩٩٧م بعدما اضطرته ظروف عمله للتعامل مع أحد التجار المغاربة. وأكثر الناس هنا الذين يسألوننا عن أصلنا وبلدنا لم يعرفوه وعليك أن تنطقه باللسان الصيني «مولّوكو» أما (Morocci) بالانجليزي فلا يعرفونه، ويتكلف المرافق بتحديد موقع بلدنا فيبتسمون كأنهم قد عرفوا، والله أعلم بهم هل فعلا عرفوا موقعه أم مجرد أدب ولباقة.

وأخيراً أعجبُ ما أعجب له - والصين كلها عجب - هو لماذا لم يتحدث ابن بطوطة الطنجي عن غرابة شكله وجهاً وقامة عن الشكل الصيني لمّا دخل هذه الديار قبل ٧٠٠ سنة؟ ألم يقلقه انتباه الناس واندهاشهم بل ووقوفهم للحملقة أمام شكله كما نحن الآن هنا؟!!

العولمة الغربية هذه الأكذوبة التى حملتها معي الى بلاد الصين سرعان ما تلاشت من ذاكرتي؛ إن الزمن الصيني منيع الاختراق، حاول الغرب أن يدشن من «هونغ كونك» منطلق الاختراق وإشاعة قيم الاستهلاك والرذيلة فلم تسمح له «عالمية» الصين.

مدينة الجسر مدينة موستار بالبوسنة والهرسك



من المؤكد أنك إذا أردت الاطلاع على تاريخ شعب من الشعوب وطبيعته فمن السهل أن تفعل ذلك عن طريق التعرف على أحيائه وقراه ومدنه، إذ أن دراسة المدن تقدم لنا عرضا موجزا لتاريخ الشعب وانجازاته الحضارية والثقافية والعمرانية، هذا بالاضافة الى تعرضها لعاداته وطباعه وتقاليده وما الى ذلك من أمور.. ومن هنا فمن أراد التعرف على تاريخ شعب البوسنة والهرسك وإنجازاته الحضارية والثقافية والعمرانية فلابد أن يقوم بدراسة المدن البوسنية، وسيشعر على الفور، منذ الوهلة الأولى، بطابعها الشرقي الاسلامي الذى استمر باقيا منذ عهد وجود الأتراك العثمانيين بهذه المنطقة منذ عام ١٤٣٥م تقريبا وحتى وقتنا الحالي.

وتحفل مدن البوسنة والهرسك بالعديد من الآثار والمنشآت الأسلامية المتنوعة التى تم تشييدها خلال فترة تواجد الأتراك العثمانيين بها من أجل تلبية مختلف الاحتياجات الدينية والثقافية والصحية والأمنية وما شابه ذلك. وقد تمت إقامة معظم هذه الآثار والمنشآت على نفقة أهل الخير والمتبرعين من سكان هذه المناطق من مسلمين ومسيحيين، وتم اتخاذ اللازم نحو تعديلها وتكييفها وجعلها ملائمة لظروف البيئة المحلية والمفاهيم الخاصة بها.

بقلم : د. جمال الدين سيد محمد - مصر

وتعد هذه المدن البوسنية بكل آثارها ومنشآتها شاهدة على عصرها وتسجيلا موثقا لزمانها، كما تعتبر مرآة لمفاهيم شعب البوسنة والهرسك وتطلعاته آنذاك. وتحسب انعكاساً لأساليبه التعبيرية المعمارية في ذلك الحين، هذا بالاضافة الى قيمتها التاريخية والفنية التى تتزايد مع مرور السنين والقرون.

ومن المدن البوسنية الشهيرة مدينة موستار التى تقع على نهر نيرتفا ويمكن اعتبارها المركز التاريخي والعسكرى والاقتصادي والاداري لكل منطقة الهرسك.

وإذا أردنا البحث عن الأصول الأولى لهذه المدينة فسنجد أن المراجع التاريخية القديمة تفيد بانه كانت توجد في القرون الوسطى منطقة سكنية في نفس مكان مدينة موستار الحالية وينسب تشييدها الى شخص يدعى راديفوى ويرجح أنه كان أحد زعماء الكنيسة البوسنية ويعمل في خدمة الحاكم ستيبان. أما الجسر الخشبي الذى كان متواجدا مكان جسر السلطان سليمان الكبير فجرى ذكره لأول مرة في عام ١٤٥٢م. حينما تمرد أحد أبناء الحاكم ستيبان ضد والده واستولى على بعض مدنه وعلى القلعتين المشيدتين على الجسر.

ومنذ بداية تواجد الأتراك العثمانيين بالبوسنة والهرسك تعودوا على تجديد المدن القديمة بها وإعادة الاستيطان بها وتوسيع رقعتها وذلك بالاضافة الى تشييدهم للمدن الجديدة. وهنا، في مدينة موستار، عملوا على توسيع رقعة المنطقة السكنية القديمة فنشأ حي فيدان على الشاطئ الأيسر لنهر نيرتفا وحول أقدم جامع، ثم ظهرت السوق التجارية بكل مشتملاتها وظهرت الأحياء والمناطق السكنية الجديدة التى ازاحت مثيلاتها القديمة الموجودة في المكان نفسه منذ القرون الوسطى وزادت مساحتها وتفوقت عليها في أهميتها الاقتصادية والتجارية والسياسية وذلك لوقوع المدينة في مفترق الدروب بين طرق السفر والترحال بمنطقة الهرسك حينذاك.

وفي المرحلة التالية تم تشييد الجسر وقلاعه الدفاعية ومن ثم ازدهرت بمدينة موستار مختلف ألوان الحياة البشرية وفنون الهندسة المعمارية بحيث أصبحت، وخاصة بعد جعلها مقرا لسنجق الهرسك آنذاك، تضم حوالى سبعة وثلاثين جامعا وحيا وتسع مدارس وخمسة وثلاثين كتابا وثماني نافورات ومائة وخمسين صنبورا عموميا وثلاثة حمامات عمومية وتسع استراحات للمسافرين ولعابرى السبيل ومائة وخمسين مكتبة خاصة وعامة للقراءة. وحفلت المدينة خلال نفس الفترة بالعديد من العلماء والمتعلمين والشعراء ورجال الدولة وغيرهم. واشتهرت المدينة بكونها أفضل وأكبر مركز للثقافة ومقر للعلم في البوسنة خاصة وفي كل منطقة البلقان الاسلامية عامة.

وجرى ذكر مدينة موستار لأول مرة في الوثائق العثمانية في عام ١٤٧٤م. حينما أقام اسكندر، جابي الضرائب، عدة مشروعات خيرية بها وأوقف لها عدة أوقاف للانفاق عليها.

أما الجسر المعروف باسم جسر السلطان سليمان الكبير أو الجسر القديم فقد تم الانتهاء من إقامته وبنائه في عام ٩٧٤هـ الموافق عام ١٥٦٦ - ١٥٦٧م. وأقيم الجسر في المقام الأول من أجل تسهيل تلبية احتياجات التجارة المحلية والاقليمية وكذلك لخدمة العمليات العسكرية التى اعتزم العثمانيون القيام بها على الشاطىء الأيمن من نهر نيرتڤا.

وليس من نافلة القول التنويه الى أن المهندسين العثمانيين قد نجحوا نجاحا باهراً آنذاك في السيطرة على فن ومهارة هندسة تشييد الجسور وإقامتها، وهو أمر كانت له أهمية بالغة بالنسبة لغزوات العثمانيين وحملاتهم التوسعية وكذلك بالنسبة لإقامة المدن وتأمين حركة المواصلات على الطرق الرئيسية للامبراطورية العثمانية.

وقد سجل بعض الرحالة العثمانيين انطباعاتهم عن جسر موستار القديم، فذكر الرحالة الحاج كالفا أن هذا الجسر يرجع الى القرون الوسطى وكان مقاما من الأخشاب ومعلقا بجنازير حديدية ويتأرجح أثناء المرور عليه بحيث كان يتملك العابر خوفٌ شديد عند اجتيازه، أما الرحالة أوليا جلبي فقد سجل أنه وفقا لروايات المؤرخين اللاتين فكان يوجد بهذه المدينة جسر مشدود بسلاسل حديدية قوية. ومن هنا حصلت المدينة على اسم موستار باللغة البوسنية وترجمته «مدينة الجسر».

وكان جسر السلطان سليمان الكبير يثير الزائرين بجماله ويلفت انتباه العابرين بروعته وفتنته وتم تصميم وتشييد هذا الجسر وفقا لأسلوب المهندس المعماري العثمانى المشهور سينان الذى يعد من أساطين العمارة العثمانية التقليدية حينذاك. وتم العثور على وثائق مكتوبة تفيد بأن تلميذه اللبيب ومساعده النجيب المهندس خير الدين هو الذى قام بتصميم هذا الجسر والاشراف الهندسى على إقامته وتشييده.

ويقال أن عملية بناء الجسر استغرقت تسع سنوات تقريبا.

ويعلو هذا الجسر القديم مجرى نهر نيرتڤا العريض بقوس حجرى جسور. ويبلغ طول الجسر ٤٠ر٤٩ مترا ويرتفع فوق مستوى المياه بحوالى ٢١ مترا ويقدر عرضه بحوالى ٣٠ر٤ من الأمتار، وترصع جانبي الجسر قلعتان مشيدتان من الأحجار وتستخدمان لأغراض حراسته وحماية حركة العبور فوقه، ومن المرجح أنه لم يتم تشييدهما مع الجسر وإنما في أواخر القرن السابع عشر الميلادى في فترة الازمة السياسية والاقتصادية وفي عهد نشوب حرب العصابات وقطع الطرق، وتم الانتهاء من تشييدهما في عام ١٦٧٦م، على وجه التحديد كما هو مسجل بالنقوش المحفورة على العمود الأيسر للجسر.

وسجل الرحالة أولياجلبي أنه طاف بكثير من

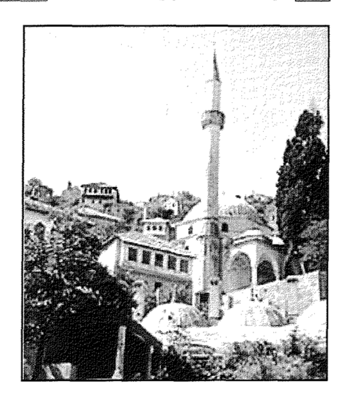


البلدان ولكنه لم يجد في أى مكان مثيلا لهذا الجسر العالى الجميل.. جسر السلطان سليمان الكبير، وبدا له أن هذا الجسر الذى يبلغ طوله مائة خطوة يلوح كقوس من أقواس الطيف.

وكما هو الحال مع العديد من المدن البوسنية فقد أقام أصحاب الأيادى البيضاء بمدينة موستار الكثير من المنشآت الاقتصادية والانسانية والاجتماعية، وبلغ ما أقامه ثلاثة منهم فقط، وهم: تشيڤان تشيهاى ونصوح أغا فوتشياكوفيتش وقرقوز بك، حوالى ١٤٥ دكانا بالأسواق وثلاث استراحات للمسافرين والعابرين ومطعما عموميا وتكية وغير ذلك من المنشآت الإسلامية الخيرية.

وخلال الفترة من عام ١٤٧٦م، وحتى عام ١٦١٨م، تم - على سبيل المثال لا الحصر - بمدينة موستار تشييد الجوامع والمدارس الاسلامية التالية: (جامع بابا بشير، جامع قراقوز بك ومدرسته، جامع تشيڤان تشيهاى بك ومدرسته، جامع درويش باشا بايزيد أغا، جامع روزنا ميدجي ابراهيم أفندى، جامع كوسكى باشا ومدرسته، جامع تابا تشيتش، جامع نصوح أغا فوتشياكوڤيتش، جامع ميمن ومدرسته، جامع كامبر أغا، جامع الحاج فيلين، جامع كوتلين وغيرها.

ومن أقدم الجوامع الموجودة بمدينة موستار جامع بابا بشير الواقع في أقصى الناحية الغربية في حى بالينوڤاتس، وبالاطلاع على سجلات الإحصاء لسنجق الهرسك في عام ١٥٨٥م، تبين أنه يوجد بمدينة موستار أربعة عشرة حيا ومنها حي بشير أغا الذى يقطن به اربعة وثلاثون عائلة، وقد تشكل الحي ونما في النصف الثاني من القرن السادس عشر حول جامع بشير أغا الذى تم تشييده



آنذاك. فالجامع هو الأقدم عمرا، وحصل الحى على اسمه وفقا لاسم الجامع، ولم يتم التوصل مطلقا الى أية معلومات عن شخصية بابا بشير أغا، ولا إلى وصيته الوقفية أو ما شابه ذلك. إلا أنه وفقا للروايات الشعبية فقد قام اثنان من عائلة باكوفيتش: بابا بشير والحاج على بك لاقو بإقامة جامعين بمئذنتين حجريتين.

وقد أوقف بابا بشير بعض الأوقاف للانفاق من إيراداتها على الجامع وصيانته، وعلاوة على ذلك أوقف الدرويش محمد باكوفيتش بوصيته المؤرخة في عام ١٨٣٨م، بعض الأوقاف الأخرى لكى يقوم المسئولون عن الجامع بتوزيع الخبز على الفقراء وقراءة القرآن وختمه على أرواح صاحب الوقفية وأسرته، وكانت هذه من التقاليد المتبعة آنذاك.

وقد تم تشييد الجامع بالأحجار المصقولة، وعلاه سقف ذو أربعة جوانب، وأقيمت بجانب الجدار الأيمن مئذنة حجرية بلغ ارتفاعها حوالى عشرين مترا، وشكل الجامع مستطيل وبلغت أبعاده الداخلية ١٠٫٤٥ × ١٠٫٦م، أما المساحة الاجمالية مضافا إليها مساحة الفناء فقد بلغت ٢٣٨ مترا مربعا، وفتحت بجدار المحراب أربع نوافذ، وبالجدار الأيمن نافذتان، وثلاث نوافذ بالجدار الأيسر، وزين ساحته الداخلية جناح جميل للحريم مصنوع من الأخشاب وممتد بعرض الجامع كله.

وخلافاً لما كان يتم اتباعه عند إقامة الجوامع من تشييد المئذنة على الجانب الأيمن والمدخل وبجانب الجدار الأيمن للجامع فان جامع تشيڤان تشيهاى بك يعد من الجوامع النادرة الذى تمت إقامة مئذنته على الجانب الأيسر من المدخل، ووفقا لاحدى الروايات الشعبية فقد كان واقف هذا الجامع مملوكا ثم أصبح عالما كبيرا ومن كبار رجالات الدولة ثم واليا على هذه المنطقة، ولذا فقد قام بتشييد المئذنة على اليسار حتى لا ينسى ما كان فيه وما أصبح عليه وحتى يتذكر على الدوام أن القضاء والقدر بيد الله وحده.

وفي مرحلة لاحقة أضيف الى الجامع كتّاب ومدرسة يحملان نفس الاسم، وأقيمت المدرسة على شكل حرف (إل) وضمت أربع حجرات لاقامة التلاميذ ومعيشتهم وحجرة واحدة لتلقى الدروس، والمدرسة والكتّاب مشيدتان من الأحجار ولهما سقف خشبى مثل كثير من المبانى بمدينة موستار، وجدير بالذكر أنه تم هدم المدرسة في عام ١٩٣٠م.

ويوجد بمدينة موستار أربعة جوامع لها مآذن صغيرة منفصلة عن مبنى الجامع نفسه، وهى

جوامع: كامبر أغا والحاج بايزيد أغا والحاج ڤيلين وكوتلين، وحجم هذه المآذن صغير ولا يتعدى ارتفاعها عدة أمتار ومشيدة بشكل منفصل تماما عن مبنى الجامع بالقرب من الشارع أو الممر على قاعدة ارتفاعها حوالى مترين، ويوجد من الخارج سلم بدرجات حجرية تقود الى برج حجرى أيضا، وعادة ما تكون للبرج ثمانية أضلاع، وينتهى البرج بنهاية علوية مدببة، كما توجد علامة حجرية عند القمة، وتوجد في نهاية البرج فتحات من جميع الجهات يستخدمها المؤذن في رفع الأذان، وفي بعض الأحيان كان رجال الصوفية يلقون من هذا المكان دروس الوعظ والدين على أهل مدينة موستار أو يدعون العابرين لأداء الصلاة.

ويتحلى جامع قراقوز بك بقيمة فنية عالية، وتوجد بفناء الجامع مدرسة تحمل نفس الاسم وهى تعد من أقدم وأهم المدارس الاسلامية في موستار، وكان قراقوز بك من كبار المسئولين وشقيقا للوزير الأول حينذاك وفي الوقت نفسه مشرفا على تشييد جسر موستار القديم، ويرجح الباحثون أنه كلف بعض العمال العثمانيين المشتركين في إقامة الجسر بالمساهمة في إقامة جامعه ومدرسه، كما يفترض الباحثون أن المهندس المعمارى خير الدين مشيد جسر موستار قد أشرف هندسيا على إقامة جامع ومدرسة قراقوز بك وذلك بسبب ارتفاع قيمتهما المعمارية والفنية ولأنه تم الانتهاء منهما في نفس العام الذى بدأت فيه الأعمال التمهيدية لتشييد الجسر.

وقد عاشت مدينة موستار أياما عصيبة في عهد الاحتلال النمساوى المجرى للبوسنة والهرسك، وكذلك في عهد الملكية اليوغسلافية فقد تمت مصادرة الأراضى والاملاك والأوقاف وتم تطبيق قوانين الاصلاح الزراعى بهذه المنطقة دون غيرها من المناطق. وهكذا - في غمضة عين - أصبح العديد من السكان المسلمين بمدينة موستار فقراء معدمين. وتم إغلاق جميع المدارس في وجه المسلمين وأهملت المدارس والكتاتيب الاسلامية وشمل الجوامع إهمال لا مثيل له. ولم تلق المدينة معاملة أفضل في عهد الحكم الشيوعى، فقد اختفت وتهدمت جوامع وتحطمت مآذن بالاضافة الى اضطهاد المسلمين.

ووفقا لتعداد عام ١٩٩١م فيعيش في موستار ١٢٦٠٦٧ نسمة، منهم ٣٤٫٨٪ من المسلمين و٣٣٫٨٪ من الكروات و١٩٪ من الصرب و١٠٪ من القوميات الأخرى. وتعتبر موستار من المدن التى يعيش فيها المسلمون بأغلبية نسبية.

وقد كابدت مدينة موستار أفظع مكابدة خلال الحرب الانتقامية الأخيرة بدءاً من أبريل عام ١٩٩٣. فقد قامت التشكيلات العسكرية الكرواتية والجيش الكرواتى بتدمير المبانى السكنية والمنشآت ومختلف الآثار العريقة وأغلبها من الآثار الاسلامية. وقامت على مرأى من العالم كله بهدم جسر موستار القديم الأمر الذى أثار سخط الرأى العام العالمى والكرواتي أيضا. وكان الهدف من كل هذا هو الإبادة الجماعية للمسلمين في موستار وطمس كل ما له صلة بالهوية الاسلامية بها.

معالم الوراثة بين العلم والدين



ماهو مستقبل الجينات؟

لم تقتصر علوم النبي الأعظم ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ على العلوم التشريعية، بل تعدتها الى كل العلوم الكونية والبشرية، ومن تلك العلوم علم الوراثة الذي وضع ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ مبادئه، بشكل دقيق، مبينا دور العرى الصبغية والأعصاب التى فيها في عملية الوراثة، وذلك من خلال الرموز الوراثية (جينات) الموجودة فيها، وكيف أنها عند الالقاح وبدء الانقسام تتداخل مع بعضها وتتشابك معطية الصفات الإرثية، فحين تضطرب العروق الموجودة في نطفة الرجل ونطفة المرأة في الرحم بعد الإلقاح، تحاول كل مورثة أن يكون الشبه لها، فأيها غلب كان الشبه له، وهذه العروق تحمل الصفات الإرثية من جميع الآباء والاجداد الى آدم (عليه السلام) فلا يقولنَّ أحد: هذا ليس ابني لأنه لا يشبهني.

معالم الوراثة :

لم ينكر أحد من القدماء أو المحدثين أثر الوراثة على الإنسان، إلا أن العلماء اختلفوا في مدى تأثير الوراثة والفطرة في مقابل تأثير البيئة والمحيط، وقد حاول دعاة المادية والشيوعية التعويل كثيرا على تأثير البيئة، ليخدم ذلك هدفهم في بناء الإنسان كما يشاؤون، ضاربين عرض الحائط بالحقيقة الفطرية التى تحاول تحقيق ذاتها مهما تغيرت عليها البيئة وحاولت تغييرها، وفي مقابل ذلك حاول بعض العلماء التأكيد على أثر الوراثة، والتقليل من أهمية البيئة.. وثار الجدال الحامي بين الفريقين، حيث تزعم (مورغان) الفرنسي جانب الوراثة، في حين تزعم (ليسينكو) الروسي جانب البيئة.



بقلم : د. محمد صبحي محمد

كلية الطب - جامعة دمشق - سوريا

ولا يشك أحد من العلماء المنصفين في تأثير العاملين معا، وأهمية كل عامل في التأثير على الإنسان إلا أنهم اختلفوا في تحديد النسبة الكمية لتأثير كل من عامل الوراثة وعامل البيئة وعندما أخضعوا الصفات الجسمية للدراسة العلمية التجريبية تبين لهم أن العاملين متداخلان بصورة يصعب الفصل فيما بينهما، إلا أنهم وجدوا أن تأثير البيئة محدد بعامل الوراثة، بحيث أن البيئة لا تستطيع أن تغير من أثر الوراثة المفروض إلا بمقادير معينة.

مثال زيادة الطول :

كمثال على ذلك نضرب مثال الطول: فمن المعروف أن متوسط الطول يرتبط بعوامل وراثية، وقد بينت البحوث في الوراثة والبيئة ذلك التشابك المعقد بين هذين العاملين في التكوين الجسدي، وعلى حد أكبر في التكوين النفسي للكائن البشري، فنمو الطول الى جانب ارتباطه الاكيد بالعوامل الوراثية يرتبط أيضاً بنوع الغذاء الذى يتناوله الطفل، وبالشروط الصحية العامة التى تؤمنها البيئة، إضافة الى التأثير الذي لا يمكن إغفاله للظروف النفسية والعاطفية التى تحيط بالطفل.

وإذا درسنا تأثير الغذاء المادي على الطول خلال مراحل نمو الطفل نجد أن للغذاء أثرا على الطول ولكن هذا الغذاء إذا قدم بنفس الكمية الى عدة أطفال فإن تأثيره على الطول لا يكون متساويا، بل إنه يتأثر بالبنية الوراثية لكل منهم، فبعضهم يزيد نمو طوله عن الحد المقرر بنسبة ١٢٪ وهم يحملون استعدادا وراثيا للطول، وبعضهم يزيد بنسبة ٨٪ وهم يحملون استعدادا ضئيلا للطول. وقد لا يؤثر ذلك الغذاء أبدا على الطول في بعض الحالات[١].

نستنتج من ذلك أن العامل الوراثي هو الأساس، وهو الذي يفرض وجوده بمعزل عن أثر البيئة، فإذا جاءت البيئة لتؤثر عليه فإن أثرها يكون في حدود معينة، لا تصل بحال من الأحوال الى أثر الفطرة وربما لم تؤثر أبدا في بعض الأحيان، وما يقال على الصفات المادية يقال على الصفات المعنوية لأن المبدأ واحد.

أثر الوراثة والبيئة في الأسرة :

وإذا انتقلنا الآن الى الآثار المختلفة، المادية والمعنوية، على الطفل، نجد أثر الوراثة الواضح فالولد يرث صفات أبيه المادية، كما يرث طباعه وميوله وأخلاقه، والمقصود بالأب هنا ليس الوالدين فقط، بل كل آبائه وأمهاته مهما علوا، وقد قالت العرب: الولد سر أبيه وقالوا: كل فتاة بأبيها معجبة، وهذا صحيح لأن الولد - صبياً كان أو بنتاً - فإنه يحمل في خلاياه (الهندسة الوراثية) لأبيه وأمه وأجداده بدون إرادته وقصده، وليس له انفكاك عن ذلك الإرث الفطري.

والآن إذا نظرنا إلى عدة أطفال يعيشون في أسرة واحدة، نجد رغم تشابه العوامل البيئية فيما

بينهم إلا أن لكل واحد منهم شخصية فطرية مستقلة تقوم عليها شخصيته، وأن عامل البيئة لم يستطع أن يطبع أثره عليه إلا بمقادير محددة، فأحد الأبناء نجده يحب الأدب والشعر، وأحدهم يحب الهندسة والتكنيك، والآخر يحب الرسم والرياضة... الخ.

ومن هذا المنطلق نرى أن كل شاب منهم يختار صديقاً له مشابهاً له في ميوله وعقليته فيتخذه صاحباً ورفيقاً، ويراه أقرب إليه من أخيه الذي تربى معه تحت سقف واحد، وقد قيل قديماً:

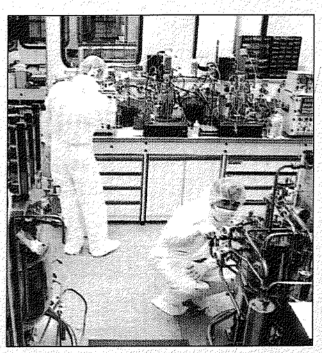
كل ولف على ولفه يلفي

حتى الطيور على أشكالها تقع

كل ذلك يدل على أثر الفطرة والوراثة الطاغي على شخصية الإنسان وسلوكه وميوله.

قوانين الوراثة :

يذهب علماء الغرب اليوم الى أن أول من وضع قوانين الوراثة ونظريتها في النبات والحيوان هو



جانب من فحوصات الأطباء

الراهب (ماندل) النمساوي (ت ١٨٨٤م)، ولو أنهم اطلعوا على الحقيقة في تاريخنا الفكري، لعلموا أن أول من وضع أسس نظرية الوراثة وطبقها على الإنسان هو النبي الأعظم سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} والأئمة من آله الكرام.

تفسير الآية: (فِي أيِّ صُورَةٍ ما شاء رَكَّبَك):

قال العلامة الطبري في تفسيره مجمع البيان (ج١ - ص ٦٨٢) في تفسير الآية (في أي صُورَةٍ ما شاء رَكَّبَك) أي في أي شبه من أب أو أم أو خال أو عم.

قال النبي {صلى الله عليه وسلم} لرجل: ما ولد لك؟ قال: يارسول الله، وما عسى أن يولد لي، إما غلام وإما جارية، قال: فمن يشبه؟ قال يشبه أمه وأباه.

فقال النبي {صلى الله عليه وسلم} : إن النطفة إذا استقرت في الرحم، أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم، أما قرأت هذه الآية (في أي صورة ما شاء ركبك)؟ أي فيما بينك وبين آدم (عليه السلام) وعن الإمام الصادق (رضي الله عنه) قال: إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً، جمع كل صورة بينه وبين أبيه إلى آدم (عليه السلام)، ثم خلقه على صورة إحداهن، فلا يقولنَّ أحد لولده هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي[٢].

ودعوني أسرد عليكم الروايتين التاليتين لما فيهما من إفصاح وإيضاح أكبر لمفهوم المورثات الموجودة في العرى الصبغية المستودعة في كل نواة من خلايا الكائن الحي.

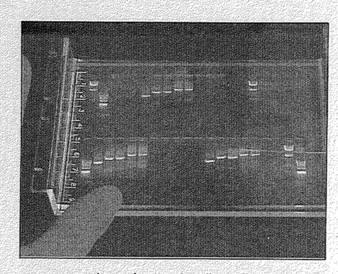
- الرواية الأولى:

جـاء رجل الى النبي {صلى الله عليـه وسلم} ومعـه امرأته تحمل طفلا أسود، أفطس مقطط الشعر (أي له شعر متجعد)، وقال: يارسول الله.. هذه زوجتي، وهذا الولد ليس مني، فالتفت النبي {صلى الله عليه وسلم} الى المرأة وقال: ماذا تقولين؟ فقالت: والذي بعثك بالحق ما أوطأت فراشه غيره منذ امتلكني، فـأطرق النبي {صلى الله عليـه وسلم} برأسـه الى الأرض، ثم رفعه وقال للرجل: يا هذا، خذ ولدك، فإن بين نطفة الرجل وبين آدم تسعة وتسعين عرقاً كلها تضـرب في الأنسـاب فـأي جد أصـابت من أولئك الأجداد ظهر الولد على شاكلته.

الرواية الثانية:

وعن الإمـام علي (رضي الله عنه) قـال: أقبل رجل من الأنصـار الى رسـول الله {صلى الله عليـه وسلم} فقال: يارسول الله هذه بنت عمي وأنا فلان بن فلان، حتى عد عشرة آباء، وهذه (زوجتي) بنت فلان، حتى عد عشرة آباء، وليس في حسبي ولا في حسبها حبشي، وإنها وضعت هذا الحبشي، فأطرق رسـول الله {صلى الله عليـه وسلم} طويلا، ثم رفع رأسه فقال: إن لك تسعة وتسعين عرقاً، ولها تسعة وتسعين عرقاً، فإذا اشتملت (وفي رواية وقعت تلك النطفة في الرحم) اضطربت العروق، وسأل الله عز وجل كل عرق منها أن يذهب الشبه إليه، قم فإنه ولدك، ولم يأتك إلا من عرق منك أو عرق منها. قال: فقام الرجل وأخذ بيد امرأته، وازداد بها وبولدها عجباً[٣].

فـفي هاتين الروايتين ومـا ورد فـيـهـمـا من

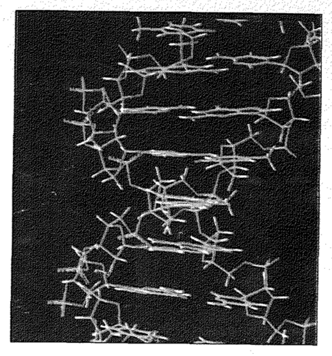


فحص مجهري للجينات عن طريق علمي بحت

تصـريحين، يظهر لنا واضحـا جليا مفـهوم وجود العرى الصبغية ذات المورثات في نطفة الإنسان، وقد عبر عنها النبي {صلى الله عليه وسلم} بالعروق وقرر أن نصفها ٩٩ هو في نطفة الرجل، ونصفها ٩٩ في المرأة، فـإذا همـا اجـتـمـعـا اضطربت العـروق، أي اهتـزت وتشـابكت، كل عـروة من الرجل مع العـروة المشـابهـة لهـا من المرأة، فكل عـروة تحـاول أن يكون شبه المولود الجديد لها وهذا ما نسميه بالصفات الظاهرة، في مقابل الصفات الباطنية التى تظل مستورة حتى تظهر في الانسال القادمة بتقدير من الله تعالى.

مبدأ الوراثة في العلم الحديث :

وقد قرر العلم الحديث بعد اكتشاف المجهر أن خلية الإنسان الجسمية تحوي في نواتها ٤٦ عروة صبغية سميت بالصبغية لأنه وجد أنه عند إضافة بعض المواد الملونة للخلية بغية رؤيتـهـا بوضـوح بالمجـهـر أن هذه العـرى تصطبغ بشـدة وتظهـر بوضوح، منها ٤٤ عروة جسمية، سميت بذلك لأنها



إحدي خلايا الجينات

تعطي صفات أعضاء الجسم، ومنها عروتان جنسيتان سميتا بذلك لأنهما تقرران جنس المولود ذكرا أم أنثى، وهاتان العروتان يكون شكلهما في الذكر XY وفي الأنثى XX مما يدل على أن الصبغي Y هو عامل الذكورة، والصبغي X هو عامل الأنوثة، والرجل يحوي العاملين، بينما المرأة تحوي عاملها الخاص.

هذا هو تركيب الخلية الجسمية، أما الخلية الجنسية التى تتشكل في خصية الرجل أو في مبيض المرأة فإنها تحوي نصف العدد السابق، أي ٢٢ عروة جسمية زائد عروة جنسية، هذه العروة الجنسية تكون في المرأة من الشكل X أما في الرجل فتكون نصف نطافة من النوع X والنصف الآخر من النوع Y وهو الأصغر حجما، وعند اقتران الخلية الجنسية المذكورة مع الخلية الجنسية المؤنثة في الرحم لتشكيل البيضة الملقحة، تصطف عرى الرجل مقابل عرى المرأة ثم تندمج في بعضها وتتشابك فإذا كانت خلية الرجل فيها Y أعطت ذكرا، وإذا كانت من النوع X أعطت أنثى، فالرجل هو المسؤول الرئيسي عن النوع المولود.

يقول تعالى {**ألم يك نطفة من مَني يُمْنَى، ثم كان عَلَقَة فخلق فسَوَّى، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى**} (سورة القيامة/ ٣٧ ـ ٣٩).

من مظاهر رحمة الله تعالى :

ومن مظاهر رحمة الله بالإنسان، أنه إذا كانت إحدى المورثات (جينات) فيها خلل بحيث تعطي لو ظهرت كائنا مشوها، فمنذ الاقتران تكون هذه الصفة هي الصفة المختفية في حين تتغلب عليها الصفة السليمة المقابلة لها فتظهر، أما إذا كانت هذه المورثة مصابة في الرجل والمرأة معا ظهر العيب فيها ولهذا كان الزواج المتعدد من الأقارب سببا لظهور العاهات المتأصلة فيهم، ولذلك قال النبي {صلى الله عليه وسلم} في وصاياه للشباب: تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس، وقال {صلى الله عليه وسلم} تغربوا تنجبوا، أي كلما كانت الزوجة أبعد في القرابة كان الولد نجيبا.

ومما يروى في قصص الوراثة أن أعرابيا كان طويلا ودميما، أراد أن يتزوج بامرأة قصيرة وجميلة، فسئل عن ذلك، فقال: أرجو أن يأتيني نسل طويل وجميل، فلما تزوج جاءه ولد قصير وقبيح.

ومما يروى في ذلك أن فتاة جاءت للفيلسوف برناردشو وهي فائقة الجمال، وقالت له أريد أن أتزوجك. قال: وما دعاك الى ذلك؟ قالت: لعل الله

يرزقنا ولدا يحوي ذكاءك وجمالي. قال: اذهبي، أخاف أن ينعكس الأمر، ويأتي الولد يحوي غباءك وقبحي.

خاتمة حول مبدأ الزوجية والاستنساخ :

يحلو لي في ختام هذا الحديث أن أتكلم عن قيمة الزوجية في حياة الإنسان، في مقابل الاستنساخ الحيوي الذي يظن البعض أنه يمكن أن يكون بديلا لأسلوب الزوجية الفطري. ولقد تمت مشيئة الله جلت قدرته أن يوجد الخلق ويستمر بطريقة الزوجية سواء أكان ذلك في النبات أو الحيوان أو الإنسان، حيث يشترك طرفان في دوام النسل واستمرار الحياة. يقول تعالى: **{سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون}** (يس/ ٣٦) . ويقول تعالى: **{من كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون}** (الذاريات/ ٤٩).

ولو شاء سبحانه لكان التناسل عن طريق الفرد الواحد، لكنه سبحانه لا يقرر شيئا إلا بحكمة وفائدة، فطابع الزوجية في حياة الناس يفرض منافع كثيرة منها:

- إن الإنسان بفطرته يحب ذاته ويمجدها وهو ما نسميه «عقدة التركيز على الذات» فتأتي الزوجية لتحد من هذه العقدة، وتجعل نوعا من التآلف والتلازم بين الناس.

- إن الزوجية تخلق روابط بين الأفراد والعوائل، مما يسمح ببناء مجتمع مترابط متماسك. ولولا الزوجية لعاش كل فرد في معزل عن الآخرين، وانعدمت الحياة الاجتماعية .. فكل مفاهيم المحبة والألفة والمودة والعلاقات العاطفية الناتجة عن مبدأ الزوجية. يقول فيها تعالى: **{ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة}** (الروم/٢١).

- إن الزوجية تخلق بين الزوجين مفهوم المشاركة والتآزر والتعاون والتساعد، ليستطيعا من خلالها خدمة الوليد الجديد وتربيته، فالمسؤولية تصبح متعذرة إذا كانت ملقاة على فرد واحد.

- من ناحية الوراثة فقد جعل الله تقرير الصفات الموروثة والصفات الكامنة بيده: (في أي صورة ما شاء ركبك) بحيث تتوزع الصفات الموروثة المختلفة التى تحتاج الى إمكانيات ومواهب متباينة ولولا ذلك لما استقامت الحياة ولما تكاملت.

ومن هنا نرى أن مبدأ الزوجية قد أثبت جدارته في حياة الإنسان موفرا مجتمعات متسمة بالترابط والتآلف والمحبة والسعادة، مما لا نجد له مثيلا في أية آلية أخرى لاستنباط الحياة، كالاستنساخ الحيوي وغيره .. فتبارك الله أحسن الخالقين.

الهوامش :

(١) التربية العامة وفلسفة التربية: مبحث الأسس العلمية للتربية، ص ٧٩، أمليه في كلية التربية، جامعة دمشق ١٩٦٢م.

(٢) الوافي للفيض الكاشاني، ج ٣، باب ٤٠٥ عن أبواب النكاح.

(٣) مستدرك الوسائل للنوري، ج ٢، باب ٧٦ من أبواب أحكام الأولاد.



امرأة بلا عنوان

ارتعدت فرائصي، وأنا أتطلع الى تلك العيون السماوية اللون وهي تتفرس في وجهي وكأنها تطالع شيئا لم تكن تعرفه من ذي قبل، ولكني أدركت خطاي عندما التقت عيناي عينيها التي امتلأت حنانا وحبا لم أره إلا من أمي التي رحلت.

كنت أظنها غربية المولد والمنشأ لكنها لم تكن كذلك وإنما كانت شرقية.

قالت وهي تمد يدها اليَّ أنا الطفل الذي لم يجاوز العاشرة «صافيناز من كشمير»..

أجبتها بهدوء وروية وكأنني أخاف على وجهها أن يغيب عن ناظري أنا من بلد أخالك تعرفين عنه الكثير: فأنا ... ولم اكمل، لأنها التفتت الى رجل يكبرها في العمر ومضت تتحدث معه حديثا طويلا لم افقهه حتى إذا ما انتهت استدار الرجل وسلم عليَّ بطرف عينه وتركها معي، وأنا منتش، لأنها بقيت ولو ذهبت لا ادري ماذا افعل.

في تلك اللحظة جاء أبي واشترك معنا في الحديث، عرفت عنها كل شيء، وأن الرجل زوجها. وأنني أشبه الى حد كبير أخاها الذي فاضت روحه منذ شهور، هكذا عرفت سبب اهتمامها بي، أما هي فلم تعرف سبب اهتمامي بها لأنها تجهل ما في قلبي أنا الصغير الذي لم يشب عن الطوق، أحسست ساعتها أنني أحبها من كل قلبي وأنني اعرفها منذ سنوات طويلة.

أمضيت اكثر من أسبوع وأنا معها في الفندق الكبير في ماليزيا التي أزورها مع أبي في رحلة عمل بعد أن جئنا من جدة، لكن تلك الأيام كانت جميلة لدرجة جعلتني أفاتح أبي في أن يتزوجها لو لم تكن متزوجة، ضحك أبي من كل قلبه! وقال وهل نسيت الرجل الذي سلم عليك مرارا وحادثك كثيرا، استحيت من أبي وأشفقت من جهلي.

فأنا اعرف أنها متزوجة ولكنني قصدت أن أقول ما أقول وبقيت صورة تلك المرأة تعيش في ذاكرتي حتى كبرت والتحقت بكلية الطب في جامعة دنفر بالولايات الأمريكية المتحدة، في تلك الأيام تزوج أبي من خالتي التى أحبتنا هي الأخرى وأحببتها أنا أيضاً لكنه حب يغاير حبي لتلك المرأة (صافيناز) الكشميرية.

ترددت كثيرا على ماليزيا في إجازاتي ونزلت في نفس الفندق الذى نزلت فيه مع أبي ولكني في كل مرة لم اعثر على صافيناز التى أعطت أبى عنوانها لكني وبعد أن سألت عنها في ذلك العنوان عرفت أنها عادت مرة أخرى الى مدينتها في كشمير.

وحتى أنفث عن نفسي أخذت أرسم صورة وجه تلك التي أحببت مرة تلو المرة فقد كانت هوايتي الرسم حتى استطعت بعد رسم أكثر من عشرين صورة أن أجد جميع ملامح (صافيناز) أمامي تتطلع اليَّ بعينيها الصافيتين ووجهها الجميل والمريح معاً. وابتسامتها تعلو شفتيها وكأنها تحاول أن تهمس في أذني بأنها تحبني، ولكن كما تحب المرأة أخاها الذي ذهب.

ومضت أيام الدراسة وأنا أنظر الى وجه كل فتاة أراها أمامي حتى إذا لم تكن التي أحببت أشحت بوجهي عنها في هدوء.

وتلمست طريقي في دنفر بين صخب الحياة في الجامعة وصخب المدينة، وانزويت بعيداً عن مجتمع الطلبة الذي عرفت ثم وجدته مغايراً لأخلاقي.

وكبرت أحلامي ومع تلك الأحلام ازدادت همومي فأنا



غالب حمزة أبو الفرج - جدة

لم أر بعد فتاة تشبهها لا هنا في مدارج الكلية ولا في شوارع المدينة.. وأخذت أكتب الرسالة تلو الرسالة إليها ولا أبعث بها وكيف أبعث برسالة الى امرأة بلا عنوان.

وتفتق ذهني عن فكرة جريئة جذبتني لأن أتخصص في جراحة التجميل بعد قبولي الدراسة في الكلية، ووجدت في هذه المهنة شيئا من الراحة لأنني كنت أخلص الناس من عيوب أجسادهم واستلهم أفكارهم عندما أقوم بجراحة لأثبت في الأخير أنني طبيب نطاسي معروف يهمه أولا وأخيراً أن يريح الناس من متاعبهم.

فظل شغلي الشاغل البحث عن شبيهة لتلك التى أحببت، ولا تضحكوا مني عندما أؤكد ذلك والمثل يقول يولد الطفل رجلا وعندما يكبر تزداد رجولته أو تضعف ولكنه في كلتا الحالتين رجل، وأنا رجل منذ طفولتي أحسست بوجيف القلب وأنا صغير ولازمني هذا الوجيف ولم يتركني أبداً حتى في لحظات النسيان لأنني كنت أستحثه ليبدو ويظهر ويكبر أيضاً.

ومللت عشرة المرضى فرأيت أن أرحل الى كشمير عسى أن آراها هناك وعندما فكرت بعد كل تلك الأعوام في فارق السن بيني وبينها ضحكت من هذا الهاجس الذي لم أكن أفكر فيه، ولكن، فأنا وقبل كل شيء لم أعدم فريضة الإصرار بعد، وسافرت إليها في كشمير ونظرت الى وجوه الناس في الشارع والطرقات وصالات الفنادق، كنّ جميعاً في مستوى راق من الجمال والحشمة لكن فتاتي لم أرها بعد.

يا لقلبي الأعمى ويا لعيني التى لا تبصر فهذه الأحلام التى تراودني جديرة بعد كل هذا أن تظل في الأعماق كحكاية انتهت ومرت ولم تعد سوى ضرب من الماضي أحاول أن لا أحس به أو أراه، ولكم جربت أن أنسى لكنني لم أنس بل أتذكر وأتذكر وتظل حكايات الأمس وكأنها أمامي جديدة براقة تلمع. والعالم يتطور وتتصل أطرافه بعضها بالبعض الآخر وجراحة التجميل أصبحت صناعة محببة يجيدها الكثيرون.

يوم نلت شهادة الزمالة في هذه الجراحة تنفست الصعداء فغدى أمرى شيئا آخر لأنني شعرت بأن الوقت قد حان لأن أجسد صورة تلك المرأة التى أحببت خصوصاً بعد أن رأيت (ماري) الممرضة التى تعمل عند أستاذي بعيداً عن هذه الجراحة، انجذبت إليها بحكم الشبه الذى تصورته فيها حتى إذا ما تعرفت إليها أكثر سألتها إن كانت تريد أن تصبح أكثر من جميلة، أعطيتها الصورة التى رسمت وقلت لها فكري فقد أستطيع أن أصنع من وجهك شيئاً أقرب الى هذه التى ترين صورتها معك.

فأخذت تفكر وتفكر دون أن تصل إلى حل، وببساطة متناهية قالت دعني للغد فقد يحمل الغد ما تريد وما أريد!.

عندما التقيت بها في المرة التالية سألتها عما إذا كانت ترغب في ذلك الذي قلته فلم تجب.. وعندها قلت لها بصوت خافت لو وافقت وكنت على هذه الصورة التى رأيتها فسأتزوجك، فغرت فيها قليلا ثم قالت تتزوجني؟! ولماذا لا تتزوجني دون أن أخضع لمبضعك؟! ضحكت وقلت لها ولكنني لن أتزوج غير تلك الفتاة، وأردفت قائلا (ها) ما رأيك؟ قالت، (لا) وفي إصرار عجيب وعندما سألتها عن السبب قالت بأنها لا تريد أن تصبح شبحاً لفتاة يبحث عنها من لا يعرف عنوانها.. وواصلت كلامها ألا يكفي أن نكون أصدقاء دون كل هذه الجراحة وإن كنت لا أرى مانعاً من أن أتزوجك.

ومرت الأيام حتى جاءت من ترضى أن أقوم بتجميل وجهها وفق الصورة التى عرضتها كانت في طول صافيناز وحجم جسدها، شديدة بياض الوجه مشوبة بحمرة، قلت لها قبل العملية، قد أطلبك من أهلك فهلا تزوجتيني عندما أتقدم، ضحكت في وجهي وأحسست بأن شيئاً في ضحكتها يجعلها تسخر من أفكاري وأصرت بعد قبولها بالعملية على الرفض هي الأخرى حتى ولو قمت بالعمليات بدون أجر.

وعندما نظرت مرة ثانية الى وجهها فرأيت ما كنت لم أره من قبل، شبه كبير بينها وبين تلك التى أحببت فتشجعت وسألتها مرة أخرى أتقبلينني زوجا؟ قالت وهي تضحك (لا) وعندما سألتها عن السبب قالت ربما لم تكن صادقاً معي ولا مع نفسك لأنك تبحث عن امرأة بلا عنوان وأنا لست كذلك.

ما أجمل أدب الطفل .. عندما تكتبه يد طفلة:



فنجان قهوة

لطالما فكرت في أن قبرها سيكون بلا شك في قعر كوب شاي أو قهوة.. كوب قهوة على الأغلب .. تدرك أيضا أنه لن توضع عليه أزهار جميلة ولن تزقزق فوقه عصافير الفضاء. قالت لها جدتها، حكيمة المملكة، إن الناس يضعون الورود على مقابرهم، صدقتها، لأنها تعرف كل شيء.. نظرت اليها يوما وقالت «اتعرفين يا عزيزتي، أنني أتمنى أن يذيبني الانسان». ارتجفت قطعة السكر من هول المشهد لكن الجدة لم تنتبه لذلك فقد كانت قصيرة النظر، بل قالت: «إن لم يحدث هذا فسأصير مُرّة». لم تفهم قطعة السكر معنى كلام جدتها.. بالنسبة لها، أن تصير مُرّا خير من أن تذوب في كأس قهوة مُرّة.

إلا أنها، في اليوم الذي سحب أحدهم الجدة وألقى بها في سلة المهملات أمام عينيها، فهمت لماذا تمنت أن تموت.. منذ تلك اللحظة، أخذت قطعة السكر الصغيرة تفكر. لم تعلم إن كان عليها أن تذاب أو أن تلقي في القمامة.

كلاهما مؤلم، لكن عليها أن تختار. الا أنها عندما شاهدت بأم عينيها جماعات النمل تلتهم جدتها المرة أحست كأن أحدهم يعتصر قلبها. كان النمل يهجم على الجدة غير مبال بقوة مرارتها. تابعت قطعة السكر تلك الحادثة.. شاهدت كيف تفكك جسم جدتها حبات حبات .. ورأت كل نملة تحمل حبة الى بيتها حيث ستأكلها هناك .. ولعلها ستدخر بعضها لأيام الشتاء.

كانت تبكي بهدوء .. كانت تبكى بلا دموع حتى لا تذوب .. كانت تبكي بصمت حتى لا يعرف النمل مكانها وحتى لا تمسي سُكّرا مُرّا.

عندما فتحت العلبة، لم تفكر كثيرا هذه المرة، بل دفعت الجميع وراءها وتركت نفسها أمام الجميع.. أمام الموت.

نظرت الى اليد التى تهم بسلبها حياتها، نظرت اليها مبتسمة. وقفت بتحدٍّ وشجاعة وتركت اليد تسحبها. أحست بأنها خفيفة في الهواء وفكرت في أنها ستصير أخف بعد عدة ثوان..

عندما رمى الرجل قطعة السكر الصغيرة في الكوب تمنت لو نبت لها جناحان لترتفع بعيدا عن فنجان القهوة، وبعيدا قبل كل شيء.. عن النمل.

لكن شيئا من هذا لم يحدث لأنها شعرت بماء الشراب يدغدغ رجليها. بدا يغطيها رويدا رويدا..

سمر المزغني - تونس



لم تحاول أن تقاوم لأنها تعلم أنها لا تجيد السباحة بل أخذت تتمتع بحلاوة تفككها. لم تكن ترى شيئا فقد كان الظلام دامسا.

سحقها جسم الملعقة وأخذ يقطعها في هدوء. كانت تحس بتمزق أطرفها لكنها لم تبك بل ابتسمت في ألم لأنها تتجزأ في حلاوة..

صارت الحفيدة فتاتا وأخذ الرجل يحركها الآن.. كانت أعضاؤها تتلاحق، تتالى، تتلاحق لكنها لا تتجمع.. رغم أن الفنجان كان فنجان شاي لا كما تمنت الا أنها كانت تتذوق حلاوتها.. فكرت في أن الرجل سيستمتع بطعمها الحلو. فكرت في أن ذلك سيمدّه بطاقة جديدة لكل أعماله.. فكرت في أنه سيسهر ليناجي نجوم الليل لأنها منحته روحها الحلوة.. لابد أن تلك أحلى لحظات حياتها.

إنها الآن تلفظ أنفاسها الأخيرة.. لم تبق، تقريبا سوى حبة سكر واحدة الا أن الرجل بدأ يرتشف الشاي بصفاء.

فكرت في جدتها. تعلم أنه لن تكون هناك ورود على قبرها وأن العصافير لن تزورها..

كانت تدرك أنها تموت بحلاوة.. فصاحت في أعماق قلبها الشاحب المتبقي بحبة السكر الأخيرة: «الى الجحيم، أيها النمل!»..

الإعجاز العلمي في تحريم الدم

إنك إذ تنظر في قائمة الأطعمة والأشربة التى حرمها القرآن الكريم، تجد «الدم» في الطليعة منها. وعلى مدى مئات السنين، انطوت الحكمة من وراء هذا التحريم، وظل الناس غافلين عنها.. ومع التقدم في وسائل البحث العلمى الذى شهده القرن العشرين، بدأت بعض الأسرار العلمية تظهر، وبدأت بعض جوانب الحكمة تستبين.

شاربو الدماء والآكلون :

يقول صاحب الكشاف (مفاتيح الغيب - للفخر الرازى): «كان أهل الجاهلية يملأون المعى من الدم، ويشوونه ويطعمونه الضيف».

ويقول المؤرخون، إن الرجل، في الجاهلية كان إذا جاع أخذ أداة حادة، يفصد بها بعيره أو ما لديه من حيوان، ويجمع ما يخرج من دمه ويشرب.

ويقول علماء الأنثروبولوجي (علماء الأجناس) ان ظاهرة شرب الدماء والتغذى بها، ما تزال شائعة، الى اليوم، لدى بعض الشعوب في شتى الأنحاء. إذ نجدها لدى بعض دول شمال القارة الأوروبية، ولدى دول في أوروبا الشرقية، وبخاصة رومانيا ويوجوسلافيا. كما تشيع في بعض الدول الآسيوية مثل الهند والصين، وأجزاء من بنجلاديش.

إن ثمة طوائف، تعيش في الهند وبنجلاديش، مازال أتباعها - الى اليوم - يمارسون عادة شرب دم الحيوان. وهي طوائف وثنية مازالت تعتقد في آلهة الشر «كالى» التى جسدها الهنود القدماء في صورة امرأة، مولعة بشرب الدماء.

وتعتبر دماء الثعابين، لدى مئات الملايين من الصينيين من أهم الوصفات الشعبية الشائعة، التى تجعل شاربيها - في ظنهم - يتمتعون بقدرات جنسية فائقة وصحة دائمة، أى يقترب - في اعتقادهم السقيم - من كمال الآلهة!!

وفي الكثير من البلدان الشاطئية، يقبل الناس على شرب دم ذبيحة البحر. ويُعرف عن بعض الشعوب الأوروبية، الولع بشرب الدم وطبخه وأكله ضمن وجباتهم، بل إنهم ليستعملون الدم في إعداد وصنع سجق الدم بالأرز (Scottish Sausage)، وذلك بعد خلطه بالأرز والملح والتوابل، ويدعونه قليلا حتى يتجمد ويتجلط، ثم يأكلونه مقلياً.

ماذا ؟ هذا غريب حقاً..

ولكن، ماذا عن تحريم أكل أو شرب الدم، لدى المسلمين؟

«الدم» المحرم في الإسلام :

جاءت الآيات الكريمة في سورة البقرة، تنهى

بقلم : د. فوزي عبدالقادر الفيشاوي

جامعة أسيوط - مصر

وتحرم أكل الدم، قال الحق سبحانه: {**يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون، إنما حَرَّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ به لغير الله * فمن اضطر غيَر باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم**} (البقرة/ ١٧٢ ـ ١٧٣).

ويقول الله تعالى في سورة المائدة: {**حُرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلَّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكَلَ السبع إلا ما ذكيتم وما ذُبح على النُّصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق**} (المائدة/ ٣).

وفي سورة النحل، يؤكد الحق سبحانه على هذا التحريم: {**إنما حَرَّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم**} (النحل/ ١١٥).

والدم المحرم في الإسلام، هو «الدم المسفوح» لأن الآيات الكريمة السابقة، قيدتها آية سورة الأنعام {**قل لا أجد في ما أوحي إليَّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً**} (الأنعام/ ١٤٥).

والدم المسفوح هو السائل من الحيوان الذى يتدفق منه عند التذكية..فهذا حرام نجس، لا يجوز أكله أو شربه.. أما ما كان من الدم في معنى اللحم كالكبد والطحال، وما كان مختلطاً في اللحم غير منسفح، فإنه غير حرام للإجماع على حله، ولحديث المصطفى [صلى الله عليه وسلم]: «أحلت لنا ميتتان ودمان، فالميتتان هما السمك والجراد، والدمان الكبد والطحال».

هذا، لأن الكبد والطحال ليسا من الدم المسفوح المنهى عنه، بل انهما نسيجان عاديان في جسم الحيوان، وهما مستودعان غذائيان غنيان بالكثير من المواد المهمة لصحة الأبدان، كالبروتينيات والحديد والجلايكوجين والفيتامينات. ولعل النبي [صلى الله عليه وسلم] أسماها بالدم، تبسيطاً للمعنى، لا سيما وأنهما من أعضاء الحيوان الغنية في محتواها الدموى.

الفطرة توجب التحريم :

فطرة الإنسان، التى فطره الله تعالى عليها، هي منار الهدى له، ما بقيت سليمة، وهى مصباحه الذى ينير له السبيل، ما حافظ عليها، فلم يأذن لأحد أن يعكر زيته أو يعبث بفتيله أو يحطم زجاجه. ولو اتبع الإنسان ما توحى به فطرته تلك، لسلم عاقبة.

ولأن الإسلام هو الشريعة الجامعة التى تتوافق

والفطرة السوية، التى فطر الله الإنسان عليها، فقد كان من المنطقى أن يحرم الله تعالى الدم، الذى أباح أقوام استخدامه طعاماً، حين غابت فطرتهم السليمة.. فالفطرة تعاف منظر الدم ورؤيته، فضلا عن تناوله «غذاء وطعاماً».

تخيل انساناً وهو يشرب كأساً من الدماء..!

يا له من منظر تشمئز منه الأنفس الكريمة، وتقشعر له الأبدان.

وإن الله العليم بخلقه، ليربأ بهم عن شرب أو أكل الدماء، لما في هذا من وحشية وحيوانية سافرة.

ألهذا السبب حرمت الدماء في الإسلام؟

ليس لهذا فحسب، فثمة أسباب أخرى تتعلق بصحة الإنسان، كشف الباحثون - مؤخراً - عنها الغطاء.. وهكذا تجلت معجزة القرآن العلمية في تحريمه للدم المسفوح، قبل قرون طويلة، في وقت كان الناس عن حكمته غافلين.

فماذا قال العلم عن أسباب تحريم الدم، وما الذى توصل إليه الباحثون؟.

الدماء : سموم ونفايات :

الدم - في الحقيقة - نسيج، لكنه نسيج سائل، يتجول بحرية في أنحاء الجسم، ويقوم بوظائف فسيولوجية عديدة، نجملها في وظيفتين:

الأولى: انه يقوم بنقل الغذاء الممتص من الأمعاء الى سائر الأعضاء.. فهو ينقل الأحماض الأمينية، التى تستخدم كوحدات بناء من أجل تصنيع بروتينات جديدة تدخل في بناء الخلايا أثناء عملية النمو، أو لدى تجديد الخلايا التالفة. وينقل الدم - كذلك - سكر الجلوكوز، وهو غذاء الخلايا الأساسى، لا سيما خلايا المخ والقلب والعضلات. كما ينقل المواد الدهنية، والتى تغلف عادة بالبروتينات، حتى تصبح قابلة للذوبان في ماء البلازما، ومنها الكوليسترول والفوسفولبيدات والدهون المتعادلة.

ويحمل الدم صنوفاً من الأحماض الدهنية، وهى مصادر مهمة للطاقة والمجهود. هذا بالإضافة الى طائفة من الأملاح المعدنية، ذات الأهمية الخاصة في اضطراد التفاعلات الحيوية بالجسم، على أوفق حال.

ويقوم الدم - كذلك - بحمل ونقل مجموعة من المواد الخاصة بتنظيم الوظائف والتفاعلات داخل الجسم، مثل الهرمونات وبعض الإنزيمات والفيتامينات. هذا، بالإضافة، الى قيامه بحمل ونقل الاكسجين الى الخلايا جميعها. تلكم - إذن - هي الوظيفة الأولى للدم بالأجسام.

الثانية: تتمثل في حمل نفايات الخلايا القابلة للذوبان في الماء مثل البولينا (Urea)، وحامض البوليك (Uric acid)، الى أعضاء الإخراج مثل الكليتين والغدد العرقية، للتخلص منها في البول والعرق.

ويضطلع الدم - كذلك - بمهمة حمل الفضلات الغازية، مثل ثانى أكسيد الكربون الناتج عن احتراق الغذاء في الخلايا، الى الرئتين للتخلص منه مع هواء الزفير.

والحقيقة العلمية، أن الدم الذى يدور في جميع أعضاء البدن وأجزائه، يحمل إليها العناصر الغذائية، ويأخذ منها المواد السامة المتخلفة، بوسعه طرح جزء

من هذه السموم بشكل سائل بولى، بوساطة الكليتين، ولكن يتبقى فيه جزء آخر من تلك السموم.

وقد اتضح - بالفعل - أن بالدم المسفوح مكونات ضارة كثيرة، ما بين نفايات وفضلات ومتبقيات من المواد السامة. ففي الدم كمية غير مقبولة من حامض البوليك، وهو - بحد ذاته - مركب سمى، يضر بالصحة، لو استعمل غذاء. وفي الدم تركيزات من الإفرازات الداخلية للغدد الصماء الست، وهى مواد إذا زاد بعضها عن المعدل المناسب، فإنه يسبب أعراضاً سمية مختلفة، ونعود فنقول، إن الدم يبدو مشحوناً بكم من العناصر السامة والإفرازات الجسمية الضارة، مما هو معد أصلا للإفراز بواسطة الكليتين، وأن التغذية عليها، تؤذى صحة الآكلين، على نحو يوجب التحريم.

الدماء موئل للميكروبات :

يعرف البيطريون أن الحيوان قد يحمل بعض الميكروبات المرضية في دمه.. فالدم هو أسرع وسائل العدوى للأمراض، حيث تتكاثر فيه الميكروبات، أو تستعمله كوسيلة انتقال من عضو الى آخر، كما تنتقل عن طريقه افرزات الميكروبات وسمومها.

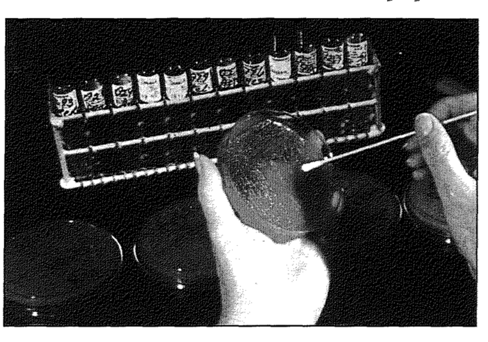
وأغلب الظن، أنك تعرف أن أي مرض حيوانى يستعصى على البيطريين تشخيصه، يمكنهم الكشف عن أصوله من تحليل عينة من دم الحيوان.. والحقيقة، أن الدم يبدو مفعماً بالميكروبات، في معظم أمراض الحيوان. وعندئذ، فإن التغذية بالدم، تكون هى أسرع الطرق لإصابة الآكل بالأمراض المشتركة مع الحيوان.

ويضاعف من مخاطر هذا السلوك الشائن، صعوبة اكتشاف معظم الميكروبات التى تلوثه.

إن هناك، بطبيعة الحال، مغزى وراء هذه الحقائق، وهو أن أعداداً هائلة من الميكروبات تلوث الدماء، حتى في حياة الحيوان، فما ظنك بحاله بعد السفح بالفصد أو بذبح الحيوان؟.

حقاً إنه لأمر بالغ الخطورة، إذ ثبت أن عزل الدم عن الأوعية الدموية بالفصد أو بالذبح، يفقد كريات الدم البيضاء قدرتها على التهام الميكروبات الغازية، كما يحرم الدم من فعل خلايا جهاز المناعة، في مقاومتها. وإذن، يغدو الدم بيئة خصبة، ترتع فيها صنوف الميكروبات.

ولقد عرف علماء الكائنات الدقيقة (الميكروبيولوجيا) هذه الحقيقة، وعرفوا أن بالدم من العناصر المغذية (Nutrients) المتزنة، ما يشجع على النمو الميكروبي. وهكذا وجدناهم يستخدمون الدم



في مختبراتهم، كبيئة زرع (Media) جيدة، لتنمية واستكثار الميكروبات، لأجل التعرف عليها وتشخيصها.

والذين بحثوا في الخواص الميكروبيولوجية للدم المسفوح، كشفوا عن مصادر عديدة لتلوثه.. فهو يتلوث بأفراد من البكتيريا المرضة، عبر سكين الذبح الملوثة، أو من هواء الوسط المحيط، أو من أوعية الاستقبال الملوثة، أو غير ذلك من مصادر.

وقد لا يخطر لإنسان، أن الميكروب الواحد في الدم، يتضاعف هندسياً كل نصف ساعة، على نحو مذهل.. فلو تخيلت أن جراماً واحداً من الدم المسفوح تلوث بألف خلية بكتيرية، لوجدتها بعد نصف ساعة ألفي خلية، ولصارت بعد نصف ساعة أخرى أربعة آلاف خلية، وبعد نصف ساعة جديدة تصبح ثمانية آلاف خلية، وبعد مدة مماثلة تصير ستة عشر ألفاً من الخلايا البكتيرية، ثم يتصاعد العدد البكتيرى الى أربعة وستين ألفاً في جرام من الدم المسفوح، بعد نصف ساعة.. وهكذا دواليك.

ليس هذا فحسب، فعلاوة على الأعداد البكتيرية الهائلة في الدم، فإنها تقوم بإفراز سموم (Toxins) فتاكة، قد تكون أشد مقاومة لحرارة الطهي من الخلايا البكتيرية نفسها.

أبعد هذا يأكله الغافلون؟!.

كريات حمراء وبيضاء ما هي بغذاء:

إن الباحث في معمله يأخذ عينة من الدم، يضيف إليها مادة تمنع تخثره، ويتركها حيناً، فيجدها تنفصل الى طبقتين: طبقة عليا، صفراء شفافة، فهذه هي الطبقة المعروفة بالبلازما (Plasma)، أو مصل الدم (Blood Serum)، وهي تؤلف نحو ٥٥٪ من حجم الدم، وتحتوى على صنوف من البروتينات والدهنيات والسكريات والأملاح وغيرها.

أما الطبقة السفلى، فهى طبقة كريات الدم، من كريات حمراء (Red Corpuscles)، وكريات بيضاء (White Corpuscles) ، وصفائح دموية (Platelates).

فهذه الطبقة أكثر كثافة من طبقة البلازما، فهى تهبط.

ولا يخفى، بالطبع، أن الكريات الدموية الحمراء، هى التى تعطى للدم لونه الأحمر المعروف، بفضل

احتوائها على صبغة الهيموجلوبين (Hae-moglobin). وهى مادة يدل التركيب البنائى لها، على وجود مكونين أساسيين، هما بروتين «الجلوبين» (Globin) ، ومركب غير بروتيني هو «الهيم»، يتميز عن قرينه بوجود عنصر الحديد (هازم الأنيميا العتيد) في تركيبه.

والآن، يتعين علينا أن نتساءل عن القيمة الغذائية *للكريات الدموية الحمراء*، وعن *تفاعلاتها* في جسم الإنسان،، إذا ما طعم شيئاً من الدماء؟.

كارثة ! إن هذه الكريات تفجر منذ لحظة وصولها الى المعدة فيضاً لا ينقطع من المشكلات. وهذا أمر متوقع تماماً، لأن الكريات الحمراء تنطوى على قدر وافر من عنصر *الحديد*، يثقل *الوجبة*، ويجعلها صعبة الهضم، عسيرة التناول، وإذن لابد أن تضج المعدة وتشتكى، وتبعث ـ على الفور ـ برسائل الاحتجاج، في صورة تقيؤ شديد واسهال.

وفرة الحديد في الكريات، جالبة للمزيد من المشكلات.. تلكم هي *الحقيقة التى* يغفل عنها البعض ممن ابتهجوا بها، ظانين أن في تناول الدماء، وقاية لهم من الإصابة بفقر الدماء (الأنيميا). ولكن ها هم الباحثون يقولون بأن هذا وهم وخرافة، لأن حديد الدم من النوع العضوى، الذى يصعب امتصاصه من الأمعاء.

حقاً، إنها لمعضلة حقيقية، ولكن المعضلة الأكبر تتفجر بمجرد نجاح القناة الهضمية في هضم قدر من هيموجلوبين الدماء. إذ ذاك يتحول الهيموجلوبين الى مكونين أساسيين: بروتين الجلوبين، ومركب الهيماتين. وفي حين يلج الجلوبين «بركة الأحماض الأمينية»، فإن الهيماتين يسلك سلوكاً شائناً، باتحاده مع مركب «ألفا ـ ٢ ـ جلوبيولين»، ويتحول ـ من ثم ـ الى «*الهابتوجلوبيولين*» (Haptoglobulin)، وهو مركب مشاغب، لا يلبث أن يتحد مع بروتينات دم الآكلين، ويمنعها من القيام بالأدوار الحيوية المنوطة بها.

ولكن، فلنعد *الى الجزء الآخر* من *الهيموجلوبين*، الذى لم يهضم في الأمعاء.. لقد تمكن ـ بصعوبة ـ من الوصول الى الدورة الدموية، على نفس حالته، ومن دون أى تغيير يذكر في بنيته. على انه لا يلبث أن يتحول في الكلى، الى مركب آخر هو «*الهيموسدرين*» (Haemosidrin).

لقد كان خبثاً منه أن يتحول الى هذا المركب اللعين، فالواقع أن الهيموسدرين يأخذ في *التزايد* بالكلى شيئاً فشيئاً، على نحو يضر بحيويتها، لا سيما حينما ينوى *الخروج* منها مندفعاً بقوة، ساداً بذلك *قنواتها الجامعة*.

وهذا مما يضعف كثيراً من قدرة الكلى على تخليص دم الإنسان، مما يشوبه من بولينا زائدة، وإذن لابد أن يصاب الانسان بمرض (Haemosidrisis).

وبهذه المناسبة، فإن هذا المرض معروف على أوسع نطاق في البلاد الأوروبية، التى يطعم فيها الناس كميات وافرة من «سجق الدم بالأرز».

عند هذا الموضع كنت أود أن أختتم حديثي عن أضرار هضم الكريات الدموية، ولكن لا بأس أن نشير ـ في عجالة ـ الى أضرار هضم الكريات البيضاء، أيضاً. لقد وجد الباحثون أن هضم هذه الكريات في أجسام الآكلين، ينذر بتضاعف مقدار حامض البوليك في دمائهم، على نحو مثير للقلق.

بكتيريا الأمعاء وبروتينات الدماء:

لقد علمت أن بالدم صنوفاً عدة من البروتينات، نذكر منها بروتينات البلازما، من مثل: (الألبيومينات، والجلوبيولينات بأنواعها الألفية والبائية والجيمية).

وثمة بروتينات أخرى غيرها، ذات صلة بتخثر الدم، من مثل: (البروثرومبين، والفيبرينوجين). وغير ذلك من بروتينات تنتشر بمقادير محدودة في الدم.

لقد أصبح واضحاً بعد اجراء المزيد من تجارب تحليل الدماء، كم هي ثرية في محتواها البروتيني. وهذه نعمة، ما في ذلك شك!

ولكن النعم تنقلب الى مصائب، حينما يأكل الإنسان شيئاً من الدماء. وأنت تسأل لماذا، وكيف؟

الواقع أن الخطورة تكمن في الفلورا (الميكروبات) الطبيعية، التى تسكن أمعاء الإنسان، والتى تهوى التعامل مع هذه البروتينات، على نحو مثير.

أجل، فعلى طول الأمعاء تسكن أعداد لا تحصى من الميكروبات.. ففى الجزء الأول من الأمعاء الدقيقة (الاثنى عشر)، توجد صنوف كثيرة من بكتيريا أغلبها بكتيريا موجبة لصبغة جرام، كروية وعضوية.

وفي الجزء الأوسط (الصائم) تتزاحم أنواع بكتيرية موجبة لجرام، اختيارية للهواء، من مثل:

Diphtheroids, Enterococci (Streptococci), Lactobacilli.

وفي الجزء الأخير من الأمعاء الدقيقة (اللفائفي)، تتشابه البكتيريا الموجودة به، مع تلك الموجودة بالأمعاء الغليظة، إذ نميز بينها الإنتروباكتريا Enterobacteria، والسالبة لجرام اللاهوائية من مثل: Fusobacterium، وكذلك Bacteriods.

ومما يستطاب ذكره، أن الأمعاء الغليظة تنطوى على قدر هائل من الميكروبات يبلغ نحو (١٠/جم وزن طرى) في براز الإنسان السليم، وهى تتوزع على نحو ثلاثمائة نوع بكتيرى. هذا، وتعج الأمعاء الغليظة بأعداد لا حصر لها من الفلورا الطبيعية، لا سيما البكتيريا اللاهوائية السالبة لجرام، من مثل: Fusobacterium، Bacteroides. وكذلك أنواع البكتيريا اللاهوائية، والبكتيريا المحبة لكميات قليلة من الهواء، الموجبة لجرام، من مثل:

Lactobacillus، Bifidobacterium، Eubacterium، Clostridium إضافة الى أنواع من بكتيريا اختيارية للهواء، سالبة لجرام، من مثل:

Escherichia , Enterobacter , Proteus , Klebsiella.

ونعود فنقول، إن الباحثين وجدوا أن أنواعاً من الميكروبات التى تستوطن الأمعاء، يمكنها تحويل بروتينات الدماء الى الأمونيا (النشادر)، بعملية كيميائية يقال لها «النشدرة» Ammonification. وقد تتم هذه العملية لا هوائياً - أيضاً - وتسمى عندئذ «التعفن» وينتج عنها روائح كريهة، ولا تكون مصحوبة بتكوين الأمونيا مباشرة، بل تتحول البروتينات الى أمينات ومركبات وسطية مختلفة. وفي وجود الهواء تتأكسد هذه الأمينات والمركبات الوسطية بواسطة بكتيريا أخرى، وتنتج أمونيا وثانى اكسيد الكربون.

هذا هو (السيناريو) الذى يدور بين البكتيريا وبروتينات الدم المسفوح، ولكن ما وجه الضرر فيه؟.

(السيناريو) يفجر «غيبوبة الكبد»:

الواقع أن الضرر يكمن في طبيعة التفاعل الحادث بين الفلورا المعوية، وبروتينات الدم.. فهذا

التفاعل يخلف كمية وافرة من الأمونيا، شديدة السمية، التي تدخل الى الدم، عقب الامتصاص من الأمعاء، حيث تبلغ الوريد البابى، ومنه الى الكبد.

وفي الأحوال العادية، وحينما تكون كمية الأمونيا ضئيلة للغاية، فإن الخلايا الكبدية تتولى مهمة التقليل من سميتها، من خلال تحويلها الى بولينا (Urea)، تفرز في البول، ولا تصل الى الدورة الدموية العامة، ومن ثم يأمن الجسم من شرها.

أما الآن، فإن كمية الأمونيا المتولدة عن استقلاب بروتينات الدم (ميكروبياً) تفوق قدرة الخلايا الكبدية، على تشكيل البولينا. وإذن، لابد أن تعجز الخلايا الكبدية عن مواصلة العمل، وتصاب بإجهاد شديد، يفضى الى هبوط متسارع في وظائف الكبد. فما الذى يحدث للأمونيا الآن؟.

لسوء الحظ، أن نجد بعض الأمونيا المتولدة بالأمعاء تنجح في الوصول من الوريد البابى مباشرة الى الدورة الدموية، دون المرور على الكبد، أو بعد مروره على الكبد ذى الخلايا المدمرة، الذى يفشل في تحويلها الى بولينا غير سامة.. وإذن، تدور الأمونيا مع الدورة الدموية العامة، حتى تصل في النهاية الى المخ، وعندئذ تبدأ تؤثر في خلاياه، وفي وظائفها الحيوية تأثيراً سيئاً، فيصاب المرء بخمول عقلى، وينتابه الذهول.

وفيما بعد، وحينما تصل الأمونيا الى مستوى معين، يصاب الإنسان بغيبوبة كبدية (hepatic coma)، أو بالفشل الكبدى. وهى مرحلة خطيرة تنذر بوصول الكبد الى وضع سيء، وتشير الى الخلل الوظيفي الجسيم الذى أصاب خلاياه. وهذا حق، ألم تعجز عن معالجة التأثير السام للأمونيا، مما مكنها من الوصول الى المخ، والتأثير في خلاياه؟.

على أن «الغيبوبة الكبدية» الحادثة، لا تكون على وتيرة واحدة، بل إنها تتفاوت في شدتها من تغيرات نفسية بسيطة ومحدودة الأثر، الى غيبوبة كبدية تودى بالحياة. فالشخص المصاب يعانى - فى البداية - من تدنى قدرته على التركيز، كما يشعر بعجزه عن تحديد المكان والزمان بدقة كالمعتاد، ويبدأ في الهذيان. وبعدئذ، ومع تطور الحالة، يصبح خاملا، دائم النعاس، كما تجتاحه رعشة بالأطراف، ويهذى أكثر مما كان. ويعقب ذلك مباشرة، اصابة المرء بهياج شديد، ويصبح عدوانياً وعنيفاً، كما يعلو صوته بهذيان متصل.

ويوصلنا هذا الى المرحلة الأخيرة الخطيرة، مرحلة الغيبوبة العميقة، التى قد تفضى الى الوفاه.

ومما يستطاب ذكره، أن هذه الأحداث المأساوية تشابه ما يحدث لدى انسان اضطر لإبتلاع كمية كبيرة من الدم، بسبب اصابته بنزيف المرىء أو المعدة أو الأمعاء. وهى الحالة التى توجب على الأطباء تخليص الأنبوب الهضمى مما تراكم فيه من دماء، بمص محتويات المعدة، واعطاء الحقن الشرجية لغسيل القولون، لئلا تتفجر التأثيرات الدماغية العاصفة، التى تنجم عن وصول الأمونيا الى خلايا الدماغ.

وعند هذه النقطة، لابد أن يقف الباحث العلمى المؤمن أمام جوانب الإعجاز في آيات تحريم الدم في كتاب الله الكريم متأملا، وغارقاً في تأمله، ثم ينظر فيما توصل اليه العلم، وتشوقه المعرفة فيبحث، فيزداد علماً ومعرفة، ويزداد إيماناً بحكمة هذا التشريع المعجز المتين، ويزداد يقيناً بخالقه ومولاه، سبحانه المشرع الأول العظيم.

المسرح الاحتفالى بين القبول والرفض

لا شك أن المسرح كوسيلة من وسائل التعبير الفني، بل من أرقاها، شيء دخيل على الثقافة العربية المعاصرة، دخل إليها بعد احتكاكها المباشر بالثقافة الغربية وذلك في القرن التاسع عشر، وهو وليد هذه الثقافة منذ عصورها القديمة، أي منذ العصر اليوناني والروماني، وذلك في قرون ما قبل الميلاد.

وقد أخذ شكله واصطلح عليه بهذا المصطلح منذ ذلك الحين.. وهكذا أُعِدّ له مكان خاص، ذو هندسة معينة، وألفت المسرحيات على طراز خاص، من طرف مؤلفين مشهورين إلى حد الآن، يلقيها على المسرح أناس محترفون، هم الممثلون.. ولا حاجة الى ذكر أشهر المؤلفين المسرحيين القدامى أو ذكر نماذج من مسرحياتهم، فالأسماء كثيرة والعناوين أكثر، وما كان هذا غرضنا، لأن هناك كثيراً من المؤلفات التى اهتمت بتاريخ المسرح والمسرحيين وإبداعاتهم، وهي غير مجهولة عند المهتمين.

وبعد أن عرف العرب هذا الجنس من التعبير الفني، ترجموا العديد من نصوصه الشهيرة، وأنشأوا الفرق المسرحية المختصة، وأسسوا المسارح، فذاع صيتها وأقبل عليها الجمهور؛ وظهرت أسماء عربية في هذا الميدان نالت حظها من الشهرة، ووجدت إبداعات مسرحية مهمة.

وفي هذا الخضم، ظهرت دراسات وأبحاث، تحاول أن تثبت من خلال بعض المظاهر، أن العرب قد عرفوا «المسرح»، وإن لم يكن بشكله الغربي المعروف، فبأشكال مختلفة لا تنأى عن مضمونه وهدفه، مثل الأسواق الشعبية وبعض المهرجانات، والمقامات، وما كان يعرض في قصور الوجهاء من أمسيات واحتفالات وغير ذلك، وما يصاحبها من حركات ورقصات وحوارات وأناشيد ونحوها (أذكر منها على سبيل المثال: «أبحاث في المسرح المغربي» للدكتور حسن المنيعي و«الظواهر المسرحية عند العرب» لعلي عقله عرسان).

وبعد المراحل الأولى من تاريخ المسرح العربي (رغم قصره) وتراكم تجارب عديدة، وتبلور وعي مسرحي مهم، ظهرت اتجاهات جديدة على امتداد الوطن العربي، تعمل على خلق «مسرح عربي» محض، شكلا ومضمونا مستغلة التراث الزاخر للأمة وبعض الأشكال التعبيرية السائدة في الفولكلور الشعبي.

وأوضح تلك الاتجاهات وأنضجها: اتجاه «الحكواتيين» في لبنان، واتجاه «السرادق» في مصر، واتجاه «الاحتفاليين» في المغرب، ولعل هذا الأخير يقف في المرتبة الأولى في صف الاتجاهات



بقلم : الهادي علمي عروسي - فاس - المغرب

أو التجارب المذكورة، حيث قال أحد الباحثين: «تشكل جماعة الاحتفاليين في المغرب أقوى واقع مسرحي عربي في الوقت الحاضر»[١].

وغاية هذه التجارب جميعها، كما سلفت الإشارة، إيجاد «مسرح عربي» مستقل عن الشكل الغربي السائد، شكلا ومضمونا، عن طريق الاستفادة من التراث العربي الثر بالإبداعات والأشكال التعبيرية.

والاحتفالية مشتقة من «الحفل»، والحفل ببساطة هو ذلك التجمع الجماهيري الشعبي، العفوي، للتعبير عن الشعور بالفرح والسرور بحادث ما، أو في مناسبة من المناسبات.

وقد وجد د. عبد الكريم برشيد - وهو أحد أهم منظري هذا الاتجاه - بعد أبحاث جادة، أن هذا اللفظ خير تعبير عن تلك التجمعات الشعبية المتنوعة التي تنعقد في مناسبات مختلفة وتصحبها أناشيد ورقصات وحوارات في التراث العربي الإسلامي، بل ولدى كل الشعوب.. وهو (الحفل) بذلك كان المخاض الذي تولدت عنه كثير من الفنون كالشعر والرقص والغناء، والمسرح جماع هذه الفنون.

وبهذا، كانت العودة الى «الحفل» عودة الى الأصل وليست مجرد نبش في ماض انتهى أو بعثا له.

وقد وجد منظرو الاحتفالية وعلى رأسهم د. برشيد نفس النظرة للاحتفال لدى بعض منظري المسرح الغربيين كميخائيل باختين الذي يقول: «إن الاحتفال هو الصنف الأول والأبدي للحضارة الإنسانية، هذا الصنف الذي نرى فيه جوهر الثقافة الشعبية»[٢].

هذا عن مصطلح الاحتفال وملابسات اختياره ووضعه، إذ لم يكن اختياره اعتباطيا، بل نتيجة بحث ودراسة عميقتين، فماذا عن الاحتفالية وأهدافها؟.

يعرفها د. برشيد بقوله: «ظاهرة فكرية وفنية واجتماعية، ظاهرة أفرزها واقع تاريخي يسعى إلى قتل العناصر الحيوية في الإنسان، وتجريد الحياة من مقوماتها الأساسية، إنها إذن ابن شرعي للواقع وذلك لأن لها جذورا عميقة تشدها الى التربة وتربطها بالمناخ الحضاري العام وبالجغرافية الثقافية والسياسية للواقع المعاصر»[٣].

من هنا، فقد «ارتبط التراث بالاحتفالية، والاحتفالية بالتراث حتى أصبحا في كثير من الأحيان شيئا واحدا موحدا»[٤]، ولا ينحصر هذا التراث في التراث العربي الإسلامي، بل يشمل التراث الإنساني عامة.

فالاحتفالية واسعة الدلالة والاهتمامات، وهي بذلك تتجاوز المسرح إلى غيره من النشاطات المعرفية والفنية، فإن استفاد منها المسرحي بالدرجة الأولى، يمكن أن يستفيد منها القصاص والشاعر



**** جماعة الاحتفاليين في المغرب اقوى واقع مسرحي في العالم العربي.**

**** المسرح العربي الحديث عليه المحافظة على الهوية العربية.**

والانثـــروبولوجي والاجـــتـمـــاعي والسـيـاسي[٥] كـذلك، لأنهـا مـرتبطة «بالمناخ الحــضـاري العــام وبالجغرافية الثقافية والســيـاسـيـة للواقع المعاصر».

وهـي تعـمـل على النزول الى الواقع: الى الأسـواق والاحتـفـالات والتـجـمـعات الشـعبـية لتلمس الواقع عن قـرب وتحـدد مـشـاكل الناس وتدرسـهـا وتقـدم لهم بالتـالى أجوبة تخلصهم منهـا وتخـفـف من معـاناتهم وترفع عنهم القيـود التى تفرضـهـا عليهم الحياة المجتمعية المعقدة، أي أنها ثورة، ثورة على السائد المزيف غير المرغوب فيه.. ثورة غير مضبوطة بقوانين وقواعد جاهزة مسبقة، وإنما هي بسيطة تعتمد رصد الواقع ثم تعمل على دراسته، وتقديم اجابات/ حلول، أي تغيير الواقع نحو الأفضل.. وهي بذلك مشروع مفتوح لكل الاجتهادات.

أما عن أهدافها، فهي ترمي باختصار الى تغيير الواقع بما فيه من ظواهر مرفوضة تحد من حرية الناس وتمس بكرامتهم، وتعيد صياغة هوية الإنسان بتخليصه من كل أشكال العبودية عن طريق خلق لغة إنسانية بواسطة الاحتفالية التي تندمج فيه كل العناصر بعفوية للتعبير عن أحوالها.

إذن، من خلال رؤوس الأقلام السالفة الذكر، يمكن القول إن الاحتفالية ظاهرة واسعة، تتسع الجانب الفني والاجتماعي والسياسي والفكري والايديولوجي، وإن كانت ترفض أن تكون مدرسة أو مذهبا ذا اجراءات معينة، فإنها ببساطتها وتحررها ذات ملامح واضحة، حاولنا الإشارة إليها بتركيز شديد يناسب المقام.

إن هذا التوجه الجديد في المسرح العربي والمغربي خاصة، يتوق الى الخلاص من الهيمنة الغربية على الثقافة والهوية العربية، وقد جذب مجموعة من المهتمين بل المحبين للمسرح الذين عملوا جادين على إقامة صرح «المسرح الاحتفالي».

أولا : باستفادتهم من المسرح العالمي إبداعا وتنظيرا.

ثانيا: باهتمامهم وبحثهم في التراث العربي الإسلامي وخاصة منه الشعبي.

ثالثا: بمحاولتهم إيجاد مسرح عربي خالص متحرر من أي سيطرة أجنبية.

ويمكن أن نذكر هنا بعض الأسماء البارزة في هذا المجال كالطيب الصديقي وعبد الكريم برشيد وأحمد الطيب العلج وعبد الحق الزروالي..

لكن هناك من يرفض هذه المحاولات الرامية الى بلورة شكل مسرحي عربي خاص، وهم من أهل المسرح كذلك، أذكر منهم المخرج الفلسطيني جواد الأسدي، الذي لا يؤمن بهذا الطرح: ايجاد «هوية خاصة للمسرح العربي» ويعتبر «هذا الادعاء نزعة شوفينية ليست لها ارتكازات ملموسة»، ويقول «أن يكون في تراثنا العربي مقامات أو نثريات أو مونولوجات درامية، فهذا لا يعنى أن هذه الأمور هي التى ستشكل الخواص المسرحية، أو من أن المسرح حقيقة إنسانية عامة في جميع أرجاء العالم كله، فبيراندللو أو تشيخوف بالنسبة لي يمكن أن يقدما لي نكهة الخصوصية العربية.. إن النص العربي والنص العالمي مرايا متقابلة لحقيقة مسرحية واحدة تعطي للمسرح حضوره الإنساني».

ولا يؤمن، المخرج نفسه، «بالمسرح الجماهيري»، ويعد ذلك تسمية تجارية لن تلبث أن تجر المسرح الى «الذائقة المسطحة»، لأن المسرح في نظره يجب أن يحافظ على مستوى فني رفيع، «أي أنه لابد أن يخاطب مستوى محددا من المتلقين ممن تتوفر لديهم قدرة على هضم الدلالات المعرفية»[٦].

وعلى كل، فاختلاف الآراء شئ بديهي ومحمود، لأنه يُوَلِّد حوارا ونقاشا، وبذلك تغتني الدراسات والأبحاث وتتعمق.. وقبول أو عدم قبول هذا المصطلح الجديد في ميدان المسرح العربي، ربما شيء شخصي مرتبط بقناعات كل فرد؛ والمهم في الأمر هو احترام الشخصية العربية والذات العربية، والتراث العربي بكل مكوناته، ولا يعني هذا رفض عملية النقد التي هي من واجبات الفنان، وتصحيح المعوج وتقويم الخطأ، ولكن صيانة الذات العربية وإنقاذها من الذوبان والهيمنة الأجنبية. أما الأشكال فهي خاضعة حتما للتبدل والتطور عبر مرور الأجيال وتعاقب الدهور.

**** الحكواتي، والسرادق، والحفل، كانت تمثل بدايات العمل المسرحي.**

**** المسرح الحديث صناعة أوروبية.**

وأخيرا، فإن مصطلح الاحتفالية فرض نفسه على الساحة المسرحية المغربية بالخصوص، بما قدمه رواده من إنتاجات إبداعية ونظرية جادة وهادفة، ويستحيل تجاوزه أو إلغاؤه.

الهوامش :

(١) مفيد الحوامدة، المسرح العربي ومشكلة التبعية - عالم الفكر: ع٤٠ - ١٩٨٧ - ص ٧٦.

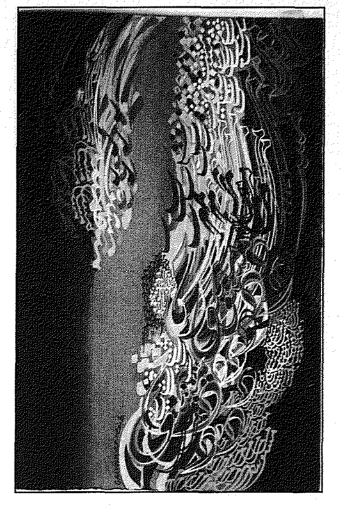
(٢) نقلا عن: مصطفى رمضاني: اشكالية المصطلح في المسرح الاحتفالي - العلم الثقافي - السبت ٩٠/٢/١٠.

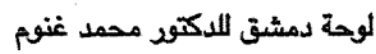
(٣) نقلا عن مصطفى رمضاني: نفس المرجع.

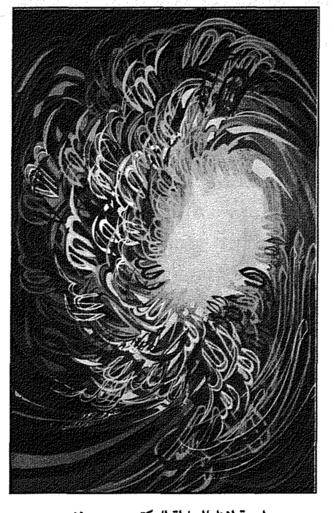
(٤) عبد الكريم برشيد: الاحتفالية في أفق التسعينيات - الاحتفالية والتراث - «العلم الثقافي» السبت ٩١/٥/٤، وانظر كذلك برشيد: الاحتفال والتراث وإشكالية الهوية - العلم الثقافي - السبت ٨٩/٢/١١.

(٥) راجع بحث مصطفى رمضاني.

(٦) نقلا عن جريدة الاتحاد الاشتراكي (المغربية) - ع. ٣٣٣٧ - الأحد ٩٢/٩/٢٧.




لوحة دمشق للدكتور محمد غنوم


لوحة لفظ الجلالة للدكتور محمد غنوم

الخط العربي بين الفن والحرفة

لقد عرف الخط العربي نهضة كبيرة في العصر العباسي حيث وصل عصره الذهبي نتيجة لظهور خطاطين كبار لا يقلون بمستواهم الفني عن ليوناردو دافنشي ومايكل انجلو وغيرهم، منهم ابن مقله وابن البواب علي بن هلال، وتمكنوا من تأسيس مدارس فنية مستقلة متنوعة للخط العربي، والذين شقت شهرتهم الآفاق حيث اسسوا مدرستين اساسيتين في هذا المجال.. الاولى مدرسة الاسلوب اللين والثانية مدرسة الاسلوب الجاف.

بقلم : ممدوح الزوبى - سوريا

وتضم المدرسة الاولى مجموعة من أنواع الخطوط أهمها الخط النسخي الذى يكتب به القرآن الكريم وخط التعليق أو الفارسي الى جانب الرقعة والديواني والثلث وغيره بينما تضم المدرسة الثانية الخط الكوفي وأنواعه مثل الهندسي والمورق والمشجر وغيره.

(ابن البواب) :

كان ابن البواب من أوائل الفنانين العرب الذين تعاملوا مع الخط العربي وقد تتلمذ الكثيرون من خطاطي عصره على يديه وقد ذكره الكثير من الشعراء العرب في أشعارهم مثل ابو العلاء المعرى الذى قال فيه:

ولاح هلال مثل نون اجادها
بماء النضار الكاتب ابن هلال

ولم يذكر المعرى الكاتب بن هلال اعتباطاً وانما استنادا لما لهذا الفنان من شهرة طبقت الآفاق، وابن هلال هو ابو الحسن علاء الدين بن هلال الستري المشهور بابن البواب نسبة الى عمل والده الذى كان بوابا على دار القضاء في بغداد والستري هو البواب لأن البواب يلازم ستر الباب.

ولم يشر المؤرخون الى تاريخ دقيق لولادة ابن البواب هذا الا أن ميلاده كان في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، في حين كانت وفاته في الثاني من جمادى الأولى سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م.

وذكر بعض المؤرخين أنه توفى سنة ٤١٣هـ ودفن بجوار الإمام أحمد بن حنبل في بغداد ورثاه العديد من الشعراء مثل الشريف الرضي الذى قال فيه:

ووريت يا ابن هلال والردى عرض
لم يحم منه على سخط له البشر
فللقلوب التى أبهجتها حزن
وللعيون التى أقررتها سهر

ولم يقتصر ابن البواب على ممارسة الخط انما كان مثل فناني عصره، كان مهتماً بكثير من الأمور مثل النحو والصرف والفقه والحديث، فقد درس النحو على ابي الفتح بن جني وبرع في تفسير الرؤيا ونظم الشعر وكان دهانا يجيد تزويق الأبواب والبيوت.

وكان يُذَهِّب الكتب.. ثم تعاطى الكتابة ففاق الأولين في ذلك حسبما قال الامام الذهبي. الى جانب كل ذلك برع في تطوير الخط العربي ومن الخطوط التى تنسب اليه الخط المعروف بالريحاني

وخط المحقق، وانشأ مدرسة للخط استمرت حتى جاء ياقوت المستعصمي المتوفي سنة ٦٩٩هـ الذى طور الخط وزاد عليه طرقا أخرى.

حفظ ابن البواب القرآن الكريم ونسخه بيده اربعاً وستين مرة وكانت احدى تلك النسخ بالخط الريحاني اوقفها السلطان العثماني سليم الأول لجامع (لا له لي) في اسطنبول، ثم نقلت الى متحف ابراهيم باشا في اسطنبول وهي محفوظة هناك إلى الآن كما كتب ديوان سلاة بن جندل في سنة ٤٠٨هـ وهو محفوظ حاليا في مكتبة (آيا صوفيا) في مكتبة السليمانية في اسطنبول .. كما يوجد مصحف بخطه في مكتبة جستربتي في دبلن في ايرلنده.

وقد ذكر المؤرخون ان ابن البواب أخذ الخط عن محمد بن أسد في حداثته ثم أخذ عن محمد السمساني وهو من تلاميذ ابن مقلة.. وقد بقيت خطوطه بعد رحيله تحكي قصة الرواد الذين آثروا التراث العربي الذى يحتاج منا جهدا كبيرا لبعثه مجددا وحمايته من محاولات التشويه التى يتعرض لها.

(الدكتور محمد غنوم) :

لقد ذكرنا فيما سبق احد رواد الخط العربي في العصر الذهبي، وفيما يلي نتطرق الى احد رواد الخط العربي في العصر الحديث وهو الدكتور محمد غنوم الذى ولد في دمشق عام ١٩٤٩م وحصل على إجازة في الفنون الجميلة من جامعة دمشق بدرجة امتياز عام ١٩٧٦م ثم حصل على ماجستير في الخط العربي ثم دكتوراه في علوم الفن من معهد حمزه للعلوم الفنية في طشقند عام ١٩٩٢م وهو عضو اتحاد الفنانين التشكيليين العرب وعضو جمعية اصدقاء الفن.

وقد أقام الدكتور محمد غنوم تسعة وعشرين معرضا شخصيا في العديد من العواصم العالمية كما اشترك في العديد من المعارض الدولية. وحصل على جوائز متعددة كان أهمها جائزة الشراع الذهبي في معرض الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية السابع في عام ١٩٨١م كما حصل على كأس أفضل نشاط فني متميز في عام ١٩٧٦م في عمان الاردن.

وقد توزعت اعماله على العديد من دول العالم مثل سوريا والاردن والكويت وروسيا الاتحادية وفرنسا وإيطاليا والمانيا والولايات المتحدة الامريكية وكندا وغيرها من دول العالم.

وقد تناوله بالحديث العديد من الفنانين العرب والعالميين مثل الدكتور فاتح المدرس استاذ الدراسات العليا في كلية الفنون الجميلة في جامعة دمشق حيث يقول: (تتكون الحروف العربية بين يديه كما تتكون عناصر الطبيعة في الكون وتتحرك ببطء شديد ولطيف منسابة في الفراغ محملة بسر

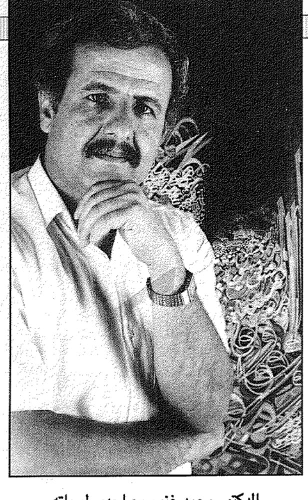
الأثر الانساني العاقل في رمزه للصوت الذى هو وتر الحرف).

كما تتحدث عنه الفنانة البلغارية ايلينا مروتشي التى تقول: (صحيح انني لا أفهم الكتابة العربية ولا أفقه معاني اللوحات المنسابة امامي بشكل واقعي.. انما افهمها بشكل مجرد على أنها خطوط تنساب كانسياب الموسيقا وتتألق كتألق الجمال بأبهى صوره).

وعندما سألت الدكتور محمد غنوم هل يفقد الحرف العربي في وظيفته الحديثة في الفن التشكيلي شيئا من قدسيته فأجاب بشكل مختصر «الحرف العربي ولد فنا تشكيليا» اذن فنحن امام مادة دائما تولد من جديد هذه المادة هي السر الكامن في قابلية حركة التكوين المتجددة في تراثنا العربي الحديث.

وكما يقول الفنان فاتح المدرس: إن محمد غنوم في تجربته الجادة في مجال التشكيل العربي يقف في مقدمة الفنانين العالميين لأجل الروعة الابداعية عند العرب وأن الموسيقى العميقة في عمله الفني حقيقة تجعلنا نقف باحترام أمام هذا الحدس الجمالي الرائع.

اما الفنان طارق الشريف فقد قال: لقد بدأت رحلة محمد غنوم مع الخط العربي من عملية التزاوج بين الألوان الزيتية والمواد الأخرى فاستخدم الحروف في البداية على أساس حرف منفرد يتكرر ويكتب ويلون ويخلق إيقاعات مختلفة



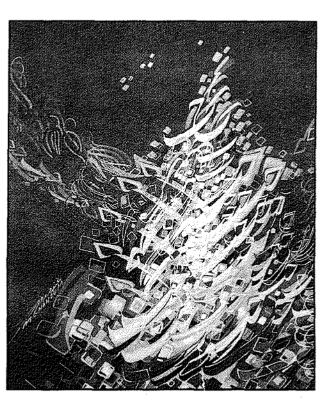
الدكتور محمد غنوم مع احدى لوحاته

معبرة. لذلك اكتشف أن للحرف قيمة فنية بحد ذاته وذلك من جمالية تأليفه، وتكراره مع الاضافات اللونية سوف يجعل للوحة الفنية اهميتها التشكيلية والتجريدية وقدرتها على التعبير الجمالي.

وبالفعل فقد جدد محمد غنوم نفسه حين اكتشف أن بامكانه أن يعكس الكلمات المعبرة عن الموضوع الذى يريده ويقدمها في لوحته ضمن علاقات ملونة ليعكس رؤيته الشخصية للموضوع، وهكذا اعاد محمد غنوم لوحات فنية بشاعرية وجمالية ولوحات أخرى ملونة بصياغة تعبيرية يتناسق الموضوع فيها مع الألوان.. فكتب

الكلمات واضاف اليها رؤيته عن طريق الألوان كما فعل في كلمة دمشق أو الشام فأصبحت للوحة مضمونها الذى يأخذه من الكلمة المكتوبة ولها ألوانها التى تعكس انفعالاته تجاه هذه الكلمة مجددا في علاقات الألوان لتعكس رؤيته وجعلها تتناغم أو تتداخل عن طريق جعل الحرف يمتد ويتطاول مع موجة الألوان التى كشفت عن قدرة لا متناهية لتكييف العمل مع الانفعالات الذاتية ومع الرؤية الشخصية وهكذا جدد في كل مرة.

وكما يقول الاستاذ الفنان طارق الشريف هذا التجديد لا يشمل شكل الحرف وجمالياته أو طريقة استخدامه ليقدم المضمون بل في خلق العلاقة المتوافقة بين المضمون الذى يعبر عنه وبين الحرف المستخدم والألوان التى توزعت لتعطى جميع اشكال التعبير المختلفة للّوحة الفنية.



احدى لوحات الاستاذ تيسير السلبى

(الخط وصراع الحضارات) :

وقد شكل الخط محورا هاما من محاور الصراع الحضارى في العالم العربي على اعتباره احد روافد التراث العربي وخاصة في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث بدأت الحضارات المعادية، كما سماها الأستاذ محمد شامية الخطاط الدمشقي المعروف تتناول الخط العربي وكأنه موضة أو شكل تزييني جميل دون التعمق بفنية هذا الخط.

وقد طرحت في هذا المجال تجارب كثيرة لكن هذه التجارب التى تتميز بالهشاشة غير قادرة على الاستمرار في تشجيع بعض الجهات التى لا تكن ودا للتراث العربي الاسلامي لها، ظنا منها انها قد تخلق فناً عربياً هزيلا ليكون هناك قطع حقيقي وحاسم لعقد الحضارة العربية الذى بدا متماسكا مترابطا الى الآن.

كما يرتبط هذا الموضوع بالنظرة التجريدية للانسان العربي.. على اعتبار أن الفن الاسلامي الصحيح وخاصة الخط مرتبط بالبنية الحضارية للانسان العربي وهو نابع من شخصيته الخاصة جدا.. ويؤكد الاستاذ شامية أن التجارب الهشة لن تنجح في طرح فن عربي بديل وهزيل وخاصة في موضوع الخط العربي.. لأن هذا الخط مرتبط

بالقرآن الكريم بشكل غير قابل للانقسام مما يساهم في حفظ هذا الخط.

ويضيف الاستاذ شامية سببا آخر لاعتقاده بعدم نجاح هذه التجارب هو أنها لا تعتمد الدراسة المعمقة لذلك يؤكد أنه لا يخشاها واصفا اياها بفقاعات الصابون التي سرعان ما تذروها الرياح.

(جمالية الخط العربي) :

إن موضوع جمالية الخط العربي من الصعب التعبير عنه بشكل دقيق لأنه مرتبط بوجدان قارىء اللوحة وبقدرته على مد جسور الحوار بينه وبين هذه اللوحة خاصة في الحالات التى تكون فيها مرتبطة به بشكل مباشر كلوحات القرآن الكريم أو الامثال والحكم وغيرها تكون الفرصة لثبات هذه الجسور اكبر منها لو تناولت اللوحات في مواضيعها امورا لا تمت بصلة الى واقع وحضارة الانسان العربي، لكن هذا لا ينفي قدرة العين التى تتمتع بحس فني على استقراء انغام والحان لوحة معينة وانسيابية ألوانها.

وفي هذا الصدد يقول الاستاذ تيسير السلبي إن موضوع جمالية الخط العربي كثير التفصيلات وإنني أشك في امكانية عكس صورة صحيحة لما يدور بخلدى عن هذا الموضوع خاصة وأن انواع الخط العربي ليست قليلة بل تعدادها تجاوز المئة ولكل نوع من هذه الأنواع جمالية خاصة به.

فمثلا جمالية الخط الكوفي مستمدة من شكلها الهندسي الرزين حيث نشعر امام اللوحة الخطية الكوفية بنوع من الوقار وكأن هذه اللوحة بناء متكامل الاركان لذلك يتميز بالرزانة والوقار.

فيما نرى أنواع الخطوط التى تنطوى تحت ظل مدرسة الأسلوب اللين مثل الخط الديواني الذى نلاحظ في حروفه النازلة الصاعدة المتمايلة يمنة ويسرة نلاحظ فيها لمسة موسيقية عذبة تكاد تقفز ما بين هذه الحروف من خلال رشاقتها لذلك وصفها الرسام الايطالي الشهير اندريولوني بسيمفونية متناسقة الانغام تتجدد كلما نظرت اليها.

ويشير الاستاذ تيسير الى أن جمالية الخط العربي لم تتجمد عند حد معين بل اخذت بالتطور وعبر العصور الاسلامية وخاصة تلك التى شهدت فيها الأمة الاسلامية ازدهارا، فمعظم الخلفاء كانوا يتعلمون الخط العربي ويتتلمذون على ايدى كبار خطاطي عصرهم ولهذا السبب قيم الكثيرون من النقاد العالميين الخط العربي على أنه الأول بين خطوط لغات العالم من حيث الجمالية والمعاني الفنية والتشكيلية.

وتوجهنا بالسؤال الى الاستاذ تيسير عن نظرته للخطاطين الحرفيين فقال انت سميتهم حرفيين أي نفيت عنهم صفة الفن والقضية حرفة بالنسبة لهم وبالطبع هذا غير كاف في الحياة الانسانية فالانسان يجب أن يضيف كي تتحقق انسانيته ويجب ان لا يكتفي بالتقليد.



الخط الكوفى المورّق

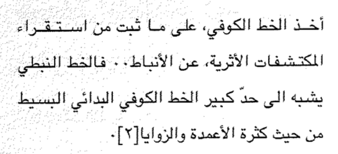
الخط الكوفي .. ودوره في هندسة الزخرفة الاسلامية

تعددت النظريات التى تحدد أصل الكتابة العربية. لكن تلك النظريات المستندة على مصادر ومعطيات تاريخية موثقة تجمع على «أن الخط الذي كتبت به العرب هو خط توقيفي.. أي هو توقيف من عند الله سبحانه وتعالى حيث كان الكتاب العربي من نصيب إسماعيل عليه السلام.

يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته: «إن الخط العربي من جملة الصنائع المدنية والمعاشية، فهو على ذلك ضرورة اجتماعية اصطنعها الانسان ورمز بها للكلمات المسموعة. والكتابة على ما هو معروف المرتبة الثانية من مراتب الدلالة اللغوية تابعة في نموها وتطورها شأن كثير من الصناعات المعاشية لتقدم العمران. وتقرر مجمل النظريات الحديثة على أن العرب لم يصيبوا دراية بالكتابة إلا حيث كان لهم بالمدنية اتصال. وقد كان اتصال العرب بالمدنية نتيجة لانتجاعهم تلك الأطراف الغنية المحيطة بشبه الجزيرة العربية في اليمن ووادي الفرات الاوسط وسورية ونجوع النبط وحوران.



عبدالمجيد الحو



بقلم: د. عصام وهدان - سوريا - دمشق

هذا ولم تتوصل الأبحاث الجارية حول منشأ الخط الاسلامي الى أيّ حكم قطعي، غير أن الغالبية الأعم من تلك النظريات تذهب الى أن الخط العربي قد نشأ نتيجة تطور «الخط النباتي الموصل». فالكتابات التى تظهر على الآثار والقطع النقدية والبردى العائدة الى ٢١٠م تؤكد ذلك، وقد انتهى الى العرب الجاهليين خط يعرف بأسماء عدة كالمكي والمدني والكوفي والبصري. ويتضح من خلال أسمائها أنها كانت تنسب الى المواطن التى كتبت فيها، ولعل الفارق بينها كان تجويديا وتجميليا لا في الخصائص والميزات.

وقد اهتم العرب بالكتابة قبل ظهور الاسلام واستخدموها في المراكز التجارية والأوساط العربية الاجتماعية والثقافية كالقصائد التى كانت تخط وتعلق على جدران الكعبة، وكان يعرف بينهم في ذلك الوقت «الخط المعقلي» وهو خط يكتب بصورة أفقية وعمودية، إضافة الى الخط النباتي، وهى كتابة شامية مستديرة. والخط المعقلي خط صارم ترسم فيه الحروف بتجويفاتها ورؤوسها ضمن مربعات منتظمة أطلق عليها اسم «الخط الشطرنجي»، وله نوعان: الجلي والدقيق[١]. وقد أخذ الخط الكوفي، على ما ثبت من استقراء المكتشفات الأثرية، عن الأنباط.. فالخط النبطي يشبه الى حدّ كبير الخط الكوفي البدائي البسيط من حيث كثرة الأعمدة والزوايا[٢].

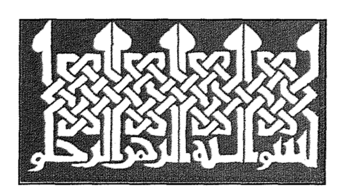
الخط الاسلامي :

شجع الرسول الأعظم {صلى الله عليه وسلم} الكتابة والقراءة وعمل على نشرها بين المسلمين فجعل فدية من يكتب من أسرى قريش في موقعة بدر ممن لا يستطيع أن يفدي نفسه بالمال تعليم الكتابة لعشرة من مسلمي المدينة، كما اهتم الخلفاء والسلاطين بالخط العربي عبر العصور الاسلامية المختلفة. ولعل سبب ذلك يعود الى أن الخط العربي كان وحده أداة لكتابة القرآن الكريم.

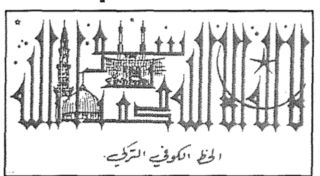
وقد نجح العرب المسلمون خلال العصور الماضية نجاحا كبيرا في نشر اللغة العربية في الأقاليم التى تكونت منها الدولة الاسلامية وتحويل كتابات لغات البلدان الاسلامية الى الخط العربي. وأصبحت الشعوب التى اعتنقت الدين الاسلامي من غير العرب تبذل جهودها في تعلم اللغة العربية، كونها - أيُ اللغة العربية - أضحت الرابطة الوثيقة التى تشد العالم الاسلامي بعضه الى بعض.

** «((الخط العربي من جملة الصنائع المدنية، وهو ضرورة اجتماعية اصطنعها الانسان»

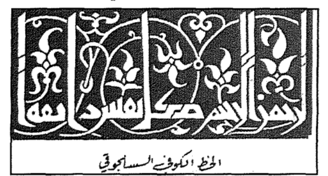
ابن خلدون.



الخط الكوفى الفاطمي



الخط الكوفى التركي



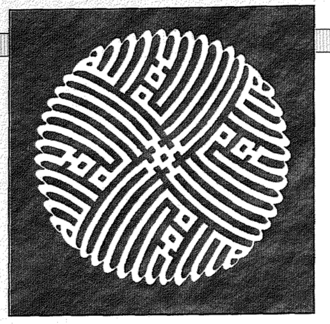
الخط الكوفى السلجوقي

وقد أدى الخط الاسلامي، بمختلف أشكاله، دورا هاما في تزيين العمارة الاسلامية والتحف والقصور والمدارس.. بحيث لم يصل الى مكانته نوع من الفنون الاسلامية الأخرى. ومع ذلك لم يكن المسلمون أول من استعمل الكتابة في الزخرفة، فقد عرفه أهل الشرق الأقصى كما عرفه الغربيون.. ولكن لا يوجد فن استخدم الزخرفة في الخط بقدر ما هو في الفن الاسلامي، وذلك يعود لتنوع الخط وتعدد أشكاله ووضع حروفه التى تسمح أكثر من غيره بالوصل والعومدة والرفع والمدّ.

ويذكر أنه كان قد تم، قبيل نزول القرآن الكريم، تجويد الشكل اليابس للخط النبطي وأبدعت الكوفة في هذا المجال حتى عرف الخط باسمها واشتهر فيما بعد بالكوفي المصحفي لكتابة المصحف الشريف به. كما يذكر أنه على امتداد ما يقارب الاربعة قرون من الزمن، الى أن ابتكر الأتابكة في شمال العراق والشام خطاً جديدا أسرع كتابة من الخط الكوفي سُمّي «خط النسخ»، كتب بالريشة مباشرة عوضا عن استعمال الأدوات الهندسية المستخدمة في الخط الكوفي.

تطور الخط الكوفي :

وبسبب تشعب الحياة وتنامي الحاجة الماسة



الخط الكوفى التربيعي المتأثر بالرسم

الى الكتـابة، وكـذلك نزوع الحكام والأثرياء من المسلمين في مختلف الأمصار الى ترصيع مشيداتهم وطرزهم المعمارية ومؤلفاتهم، وايجاد متنفس للفنانين في الخط العربي للتعبير عن ابداعاتهم الفنية.. كل ذلك ساهم في تحسن الخط الكوفي وتطوره من شكله البدائي الى شكل أكثر حيوية ورونقا. فمثلا عندما انتقلت الخلافة من الكوفة الى الشام تميّز الخط الكوفي في كتب الأمويين وبرع الخطاطون في تجويده. ومن أعلامهم الخطاط «قطبة المحرر» الذي أخرج على يديه أربعة أنواع مشتقة من الخط الكوفي. ومما ساعد في تألق الخط الكوفي، إضافة الى اختصاص الفنانين بعلم الخط العربي، هو اختراع الورق الجيد في الشام الذي كان يسمى بالقرطاس الشامي.

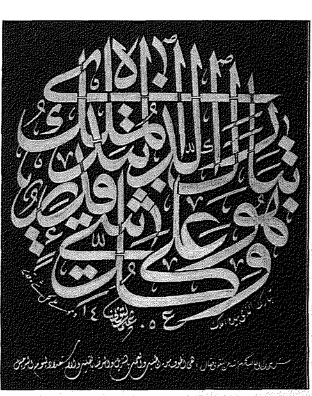
وقد زين الخطاطون كتاباتهم بالزخارف المختلفة، النباتية والهندسية، وكانت بصيغة آيات قرآنية، ودعائية ومديح ورثاء لما وراءها من خير وبركة، لذلك لا نجد فنا ينافس الخط الكوفي المزخرف لما للقرآن الكريم من قدسية ومكانة جعلت آياته تتصدّر اللوحات الزخرفية في المساجد والروضات والمدارس والتحف توخياً للبركة والذكر. وقد خضع الخط الكوفي لسنن التطور ونواميس التدرج شأنه شأن الفنون المختلفة.. تؤكد ذلك المخطوطات والنقوش التى وصلتنا من العصور الاسلامية حتى بلغ أوج عظمته في العصر العباسي. ويشكل الخط الكوفي أساسا للزخارف الجميلة، فرؤوس الحروف وسيقانها، وخطوطها الرأسية والأفقية، أوحت عناصر زخرفية جديدة وسمحت للخطاط العربي أن يطلق عنان ريشته من مدد ابداعه.

وقد بدأت المحاولات

**** تعددت جماليات الخط العربي وتنوعت لتمثل نماذج ابداعية يقاس بها.**

**** الحرف العربي فيه من المرونة والليونة ما يجعل منه ابداعاً دائم التنوع والتجدد.**

الزخرفية الأولى في الخط الكوفي في مصر في القرن الثاني الهجري، وهي محاولة لزخرفة نهايات الحروف بما يشبه فروع الشجرة وأوراقها. وشهد القرن الثالث الهجري أروع أنواع الزخارف الكوفية المتطورة، ثم بدأ الخط الكوفي بالرشاقة في القرن الخامس الهجري، وقد زاد تعقيدا ورقة وجمالا في العصر السلجوقي.. على أن الايرانيين لم يقبلوا على استخدام الكتابة في الزخرفة قبل القرن الرابع الهجري. والواقع أن الكتابة الكوفية كانت تلازم الطراز الزخرفي في ذلك العصر، وكانت الزخارف الكوفية يختلف بعضها عن بعض في هيئة الحروف من حيث الاناقة واتساع الحروف وحسن توزيعها حسب مهارة الخطاط. ومن هذه الزخارف وصلنا نقش مؤرخ في سنة ٤١٢هـ



آية قرآنية بخط الفنان الايراني على رضائيان

محفوظ في المتحف الاسلامي بالقاهرة وتبدو عليه الزخارف النباتية. كما يشهد الخط الكوفي المزخرف بعض المراحل التى تضفي عليه تغيّرات طفيفة كانتقاله مثلا من المورق الى المزهر. كما ظهرت لهذا الخط أنواع هندسية مختلفة منها الكوفي المربع والمثلث والمخمس والمثمن وذو الاطار الهندسي وسواها.

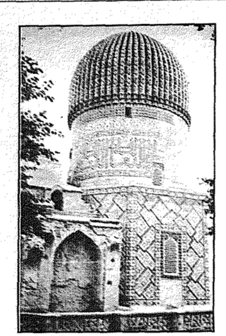
وهكذا اندفع الفنان في هذا الميدان فأخذ يبتكر النقوش والزخارف الكتابية ولم يعتمد على أصول الخط ولم يأبه بصعوبة القراءة، بل كان همّه الوحيد هو الفن، لذلك تراه يتلاعب برؤوس الأحرف وسيقانها وأقواسها ومداتها وحركاتها بعناصر زخرفية جديدة ومتنوعة.

أنواع الخط الكوفي :

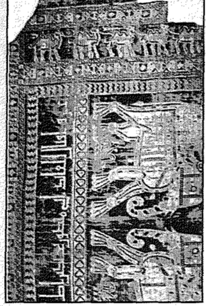
والجدير ذكره أن مؤرخي الخط الكوفي لم يصلوا الى تصنيف متكامل لأنواع الخط الكوفي، الا أنهم اتفقوا على أن الخط الكوفي كتب بشكلين رئيسيين تابعين لتدرجه وتطوره وهما: الخط الكوفي الكتابي البسيط والخط الكوفي التزييني الذي تشعبت فروعه وأنواعه تبعا للهندسة والرسم والعمارة والبلد المكتوب فيه. وثمة تصنيف أكثر شمولية يقسم أنواع هذا الخط الى ما يلي:

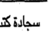
تبعا للعصر: ويمكن تمييزها بالتالي:

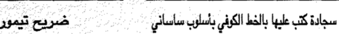
١ ـ الخط الكوفي الأندلسي (١٣٨ ـ ٤٣١هـ):



قبة مسجد الشاه في اصفهان ١٣٠٦هـ







سجادة كتب عليها بالخط الكوفي بأسلوب ساساني

ضريح تيمورلنك

** الخلفاء والسلاطين عنوا بالخط العربي وتطويره عبر العصور

يمتاز هذا الخط بالتشابك الهندسي الفني وقد اعتمد على خاصيتي التناظر والتناسق.

٢ ـ الخط الكوفي الفاطمي (٢٩٥ ـ ٥٦٦هـ): حيث خرج الفاطميون من تونس وفتحوا مصر فكانت القاهرة عاصمتهم، وقد عنوا بهذا الخط عناية كبيرة فجمّلوه وزينوا به قصورهم ومنازلهم وتحفهم.

٣ ـ الخط الكوفي السلجوقي: نسبة الى سلجوق، وهو زعيم تركماني ظهر في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، والسلاجقة ثلاثة فروع: فرع ايران ـ فرع الكرمان ـ فرع آسيا الصغرى.. وقد خدموا العباسيين، وكان للخط الكوفي لديهم شكله المزركش المميز، حيث أنهم اعتنوا بالرسم والنقش أكثر من الحرف.

٤ ـ الخط الكوفي الأيوبي (٥٦٤ ـ ٦٦٨هـ): تولى الأيوبيون الحكم في سورية واليمن ومصر، وهم من سلالة أيوب بن شادي بن أبي صلاح الدين الأيوبي، وقد استعملوا الخط الكوفي في الزركشة والتزيين.

٥ ـ الخط الكوفي المملوكي: يلاحظ في هذا النوع من الخط الاسترسال وطول العبارة والمحافظة على روح التماثل والتناظر.

الخط الكوفي المملوكي

٦ ـ الخط الكوفي التـركي (٧٢٦ ـ ١٣٧٦هـ): أخذه الأتراك عن الايرانيين وتصرفوا بقياساته وأشكال حروفه وأخرجوه اخراجا جديدا. برز في هذا الخط تأثر الأتراك بالإسلام من خلال ترصيع القصور والمساجد من جهة ومن خلال تقارب الحرف الكوفي مع أشكال المآذن والنجوم والرموز من جهة أخرى. وتتحلى الزخرفة بين فراغات هذا الخط برسوم الكعبة المشرفة والقباب والمآذن.

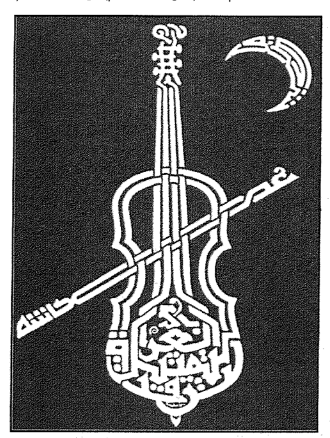


رسالة الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وسلم) الى هرقل ملك الروم

ويمكن تمييز ذلك بالتالي:

١ ـ الخط الكوفي البسيط: شاع هذا الخط في العصر الاسلامي، وأشهر من كتب به الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه. يخلو هذا النوع من النقط والشكل ولا يلحقه التزيين والزخرفة والترصيع حيث كان يكتب بالقصبة مباشرة. من نموذجات هذا النوع رسالة الرسول الأعظم {صلى الله عليه وسلم} الى هرقل عظيم الروم وهي بخط معاوية بن أبي سفيان وعليها خاتم الرسول الكريم.

٢ ـ الخط الكوفي المربع أو المسطر: أهم ما يميزه خلوه من الأقواس والدوائر واعتماده على القياسات الدقيقة. وهو عبارة عن أشكال وخطوط



الخط الكوفي المتاثر بالرسم

عـمودية وأفـقـيـة في زوايا قـائمـة على الأغلب كالشطرنج. ولعل الهندسة المعمارية فرضت هذا النوع من الخط حيث يكثر في الجوامع والأبنية بما يناسب الأحجار المربعة أو المستطيلة الشكل.

٣ ـ الخط الكوفي التربيعي المحبوك: وهو أعقد من الشكل السابق، ذلك أن كلماته محبوكة حبكا هندسيا متقنا، ولا تكتب به أية عبارة ـ بسبب تداخله الشديد ـ إلا ما يختاره الخطاط وفقا لاشباع الفراغات بالحرف المناسب.

٤ ـ الخط الكوفي التربيعي المتأثر بالرسم: يستخدم في التحف واللوحات، وهو يرسم بأشكال تتوافق مع طبيعة اللوحة وهندستها.

٥ ـ الخط الكوفي التربيعي المتأثر بالفلسفة: يبين هذا النوع مدى ثقافة الخطاط قديما ومدى تأثر الخط بالعلوم والثقافات، حيث ترى اللوحات دالة على مفاهيم فلسفية أساسية كالدائرة في الخط مثلا تدل على الكمال المطلق للخالق وعلوه عن المكان والزمان.

٦ ـ الخط الكوفي التربيعي المعدل: سمّي بهذا الاسم لما طرأ على الحرف الكوفي من تعديل وخروج عن القواعد تبعا للشكل المراد رسمه، وللخطاط حريته في ذلك وإن لم يقرأ الخط إلا من بعض المختصين.

٧ ـ الخط الكوفي المورق: ويسمى بالمشجر أو المخملي. وأهمّ ما يميزه تداخل الزخرفة النباتية فيه، ويظهر من خلال زخرفته المحمولة على حروفه كالفروع الباسقة والمتدلية من سوق الأشجار.

**** اللغة العربية والحرف العربي غدا حلقة الوصل الدائمة بين كل الشعوب الاسلامية على اختلاف ألسنتها.**

٨ ـ الخط الكوفي المزخرف: تكون الزخرفة بجميع أشكالها هي أساس اللوحة مع تداخلات لهذا الخط.

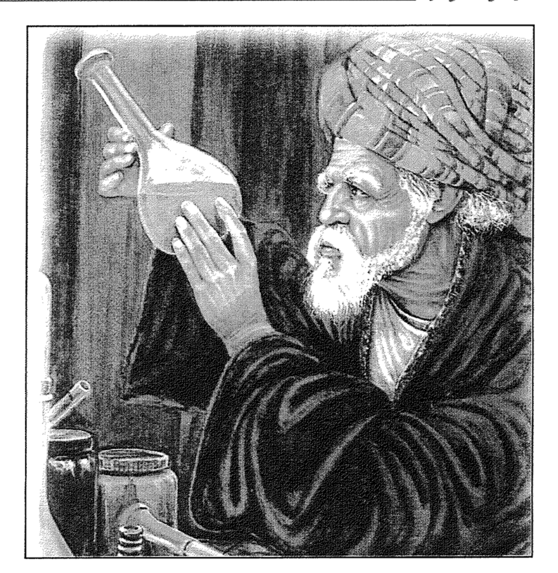
٩ ـ الخط الكوفي المضفور: وهو خط معقد نشأ في القرن الخامس الهجري تميزت به الأندلس، وهو يقوم على زخارف شديدة التضفير والتعقيد الى درجة يصعب فيها تمييز الكتابة عن الرسم.

١٠ ـ الخط الكوفي المتلاصق: لا يمتاز هذا النوع عن غيره إلا بتقريب المسافة بين حروفه الى الحد الأدنى لقراءة الكلمة، حيث تتراص الحروف القائمة فيه وتتساند الحروف المائلة.

الهوامش :

(١) يبرز هذا الخط الشكل البدائي للزخرفة الهندسية الجامدة حيث كان يستعمل في الأعمال الأثرية. وهو لا يكتب باليد والقلم مباشرة. ويقال إنه دخل مكة عن طريق بشير بن عبد الملك الكندي من أهل الأنبار وفي ذلك خلاف.

(٢) يؤكد ذلك الألواح الخمسة المشهورة عند علماء الآثار المكتشفة عام ١٨٧٠م، وهي نقشا أم الجمال الأول والثاني ونقش زيد ونقش حرّان ونقش النمّارة.



الطب المثيل (HOMEOPATHY)

قبل حوالي مائتي عام أسس الطبيب الألماني صموئيل هانمان الطب المثيل (المماثل). ولم يكن هانمان أول من جاء بمبدأ هذا الطب، فقد سبقه أبو قراط عندما أوضح بأن هنالك نوعين من العلاجات:

أولهما: العلاج بالضد، أي أن الدواء المستعمل يحدث أعراضا تعاكس الأعراض المرضية التي يعاني منها المريض.

بقلم: د. فرح فلاح الخواجة - الاردن

ثانيهما: العلاج بالمثل وفيه يتم استعمال دواء ذي تأثير مشابه للأعراض المرضية وبذلك يعمل على تقويتها ليتم التغلب من ثم على المرض.

ولم يسلم هذا الطبيب، كغيره من أنصار العلاجات غير التقليدية (Alternative Therapies)، من محاربة أعدائه، أنصار الطب التقليدي (Orthodox Medicine) الذين حاولوا طوال سنوات عديدة طمر هذا الطب الذي كان يشكل تهديدا لمعتقداتهم.

وعلى الرغم من أن هذا الطب هو أقرب أنواع العلاجات البديلة الى الطب التقليدي، إلا أنه يختلف عنه اختلافا جوهريا في عدة أمور أهمها:

١ - اعتماد العلاج بالمثل (concept of Similars) وليس العلاج بالضد الذي يعمل على اخماد الأعراض والعلامات المرضية (Symptoms & Signs) وتهدئتها الى حين (Palliative). فالأعراض المرضية، لهذا الطب، وسيلة دفاعية يستخدمها الجسم للتخلص من علة أو آفة داخلية.

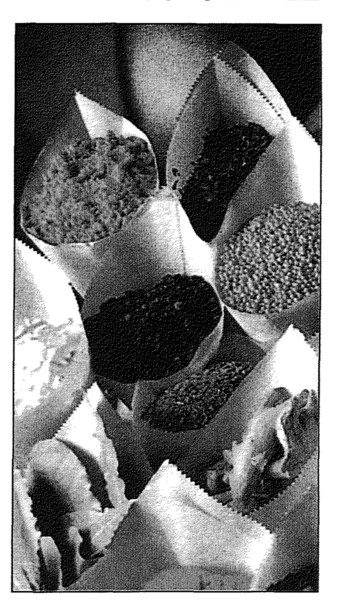
٢ - التركيز على أهمية الجسم الإنساني واعتباره أداة ذكية للدفاع عن نفسها وليس كما يعتبره الطب التقليدي مجرد آلة (Machine) يتوجب ربط أجزائها بأية طريقة ممكنة باستعمال الأدوية الضدية المختلفة.

٣ - يستغرق الحديث بين المريض والطبيب (Interrogation) في الطب المماثل ساعة على أقل تقدير، حيث يقوم الطبيب بسؤال المريض عن أمور تتعدى الحالة المرضية قيد الدرس وذلك من منطلق أن كل شيء في حياة الإنسان يؤثر عليه، كماض أو حاضر، وهذا بالطبع غير معمول به في الطب التقليدي.

٤ - يستعمل الطبيب في الطب المماثل دواء واحدا عادة لعلاج المريض حتى لو كان يعاني من عدة أعراض كألم الرأس (Headache)، الإمساك (Constipation)، القرحة (Peptic Ulcer)، في حين يعالج الطب التقليدي كل عارض بدواء خاص به.

٥ - اعتماد مبدأ التفرد (Individualization)، فلو أخذنا على سبيل المثال مريضين يعانيان من الزكام فان الطب المماثل سيعالج كلا منهما بدواء يختلف عن دواء الآخر ويقرر الطبيب الدواء المناسب بأخذ الحالة المرضية قيد البحث إضافة الى جوانب أخرى من حياة المريض، كعمله وحالته الصحية العامة والنفسية وغير ذلك من أمور . ويمكن الاعتماد على برامج كومبيوترية خاصة لإيجاد الدواء المطلوب.

٦ - إن الأدوية المستعملة في الطب التقليدي ذات آثار جانبية كثيرة (Side Effects)، بل إن القلة القليلة منها فقط تخلو من هذه الآثار التى غالباً ما تكون خطيرة الى درجة التسبب في أمراض جديدة أو ما يسمى (Iatrogenic/Doctor Induced). وفي دراسة قامت بها مستشفى في بوسطن عام ١٩٨١، تبين أن ٣٦٪ من المرضى



الراقدين فيها يعانون من أمراض ناتجة عن الأدوية التى قاموا باستعمالها لعلاج أمراضهم الأصلية! في حين ، بصورة عامة، لا توجد أية أضرار جانبية في الدواء المثيل إلا أنه يمكن أن يضاعف من أعراض المريض (Aggravation) بسبب استعمال جرعة قوية جداً (لم نقل جرعة عالية لأن الجرعة القوية في الدواء المثيل هي الجرعة المخففة والتى قد لا تحتوي حتى على جزئية واحدة من الدواء الأصلي)٠

يعرف الناس القليل جداً، أو لا شيء، عن الطب المماثل، خاصة في وطننا العربي، على الرغم من أن هذا الطب أصبح متداولا بكثرة في العالم اليوم٠ إن مصطلح الطب المماثل Homeopathy مشتق من اللغة الاغريقية (Homois تعني في الإغريقية: مماثل وتعني Pathos: المعاناة)٠ والدواء المماثل يعتمد الاستفادة من جرعات قليلة جداً من مواد طبيعية من عالم النبات (Plants) أو الحيوان (Animals) أو الأملاح المعدنية (Minerals) لتعمل على تحفيز الجهاز المناعي للجسم (System Immune) ليتسنى له بذلك معالجة نفسه بنفسه٠ وذلك لأن الأعراض المرضية (Symptoms)، كما ذكرنا، هي وسيلة الجسم الدفاعية للقضاء على المرض وليس عكس ذلك كما يعتقد الطب التقليدي (Orthodox Medicine) وفي حالات أخرى يمكن استعمال عينات مرضية صغيرة للغاية (No-sodes) كبديل للقاحات المرضية مثل لقاح الحصبة (Measles)، السعال الديكي (Whooping Cough)، التدرن (Tuberculosis) والجدري (Smallpox)٠

يعتمد الطبُ المثيل عدة مبادىء أهمها :

١ ـ مبدأ علاج المثل بالمثل، أو قانون التماثل (Concept of Similars): فإذا كان ارتفاع درجة حرارة الجسم هو العارض المرضي، يقوم الطبيب بإعطاء المريض دواء لو أعطي لشخص سليم لسبَّب له ارتفاعاً في درجة الحرارة٠

٢ ـ مبدأ التقوية (Proving): وذلك من خلال تخفيف الدواء ومعادلته المتكررة (Dilution & Succession) بطرق معقدة٠ والغريب أن القوة

العلاجية (Potency) تزداد كلما ازداد التخفيف وبذلك تكون أقوى جرعة يمكن الحصول عليها من محلول علاجي لا تحتوي حتى على جزيئة واحدة من الدواء الأصلي!.

٣ ـ مبدأ العلاج بأصغر جرعة ممكنة (Dose)، إذ أن معظم الأدوية الماثلة ذات خصائص سُميَّة، وذلك عن طريق تخفيف هذه الأدوية ومعادلتها.

٤ ـ مبدأ العلاج بدواء واحد، حتى لو تعددت الأعراض التى يعاني منها المريض.

٥ ـ مبدأ اتجاه العلاج، إذ يجب أن يبدأ العلاج من أعلى إلى أسفل، فهو يبدأ من الرأس فالصدر تباعاً إلى القدم.

ولكن كيف تعمل الأدوية المثيلة، وهل هي فعالة حقاً في علاج الأمراض أم أن لها فقط تأثيراً اعتقادياً (Placebo)؟ وكيف يمكن لمادة دوائية معالجة ومشافاة المريض رغم تأثيرها المماثل لأعراضه المرضية؟ وكيف يمكن لجرعات دوائية قليلة جداً أن تحدث أثرها رغم أنها قد لا تحتوي حتى ولو على ذرة واحدة من الدواء الأصلي؟! لم تضف الدراسات المضنية للعلماء في هذا المجال سوى نظريات افتراضية، أما الميكانيكية العلمية فلا تزال في حيز المجهول!.

ويستطيع الدواء المماثل معالجة كافة الحالات المرضية على الإطلاق، باستثناء الحالات المتقدمة جداً، فالدواء المماثل فاعل للغاية في الإسعافات الأولية (First Aid & Cpr) وفي معالجة الالتهابات (Infections) والحالات السرطانية (Cancers) والأمراض العقلية (Mental Dis-orders) والحساسيات المتنوعة (Allergies) وغيرها من الحالات المرضية الحادة (Acute) أو المزمنة (Chronic) . وللطب المثيل أهمية خاصة في طب الأطفال (Paediatrics) وفي الحمل (مثل حالات الإعياء والغثيان والتهابات المجاري البولية، ويستعمل في الأشهر الأخيرة لتقوية وإعداد العضلات والأنسجة الرابطة اللازمة للولادة) وذلك نظراً لخلوه من الأضرار الجانبية التى تحدثها الأدوية المتعارف عليها في الطب التقليدي والتى قد تؤثر سلباً على الجنين ونموه الطبيعي في داخل الرحم.

ورغم أن الكثير من الأدوية المماثلة عُشبية (Herbal) بطبيعتها، إلا أن العلاج المماثل يختلف عن العلاج بالأعشاب في كونه يخضع لعمليات التخفيف والمعادلة المستمرة (Dilution & Suc-cession) في حين أن العلاج العُشبي غالبا ما يتم إعطاؤه على هيئة محلول صبغي (Tincture)، هذا علاوة على الاستعمال المختلف للدواء الواحد في كل من العلاجين.

ويمكن استعمال العلاج المماثل مع العلاجات الأخرى، كالعلاج التقليدي (دواء أو جراحة) أو العلاجات غير التقليدية على اختلاف أنواعها، لزيادة الفعالية العلاجية (Potentiation).

لقد شاع استعمال هذا الطب كوسيلة علاجية وذلك بعد أن عجز الطب التقليدي عن علاج الكثير من الحالات المرضية فأصبح الطب المثيل يعتبر المنقذ والشافي ـ بمشيئة الله تعالى ـ وزاده انتشاراً قربه الى الطبيعة وخلوه من الآثار الجانبية.



من روائع الأستاذ أحمد حسن الزيات

٥٤٥ ـ كتاب وحي الرسالة :

من حق هذا الجيل أن يعود الى قراءة كتاب وحي الرسالة بأجزائه الأربعة للأديب الكبير أحمد حسن الزيات، ومن أحسن ما قيل في أدب الزيات ما سطره الأستاذ عباس محمود العقاد حين قال مخاطبا الأستاذ الزيات:

أسلوبك أنت، وأنت أسلوبك، إتقان، واستحياء وسلامه، إتقان صنعة في غير ظهور ولا ادعاء، يوشك من يتبينه أن يلمسه ليعرف موضع الجودة فيه كما يلمس المسوّم النسيج المتين الذى وعى المتانة سرا من أسراره.

واستحياء يخفى مزاياه ولا يفوته شيء بأن يخفيها لأنها أثبت من أن يحجبها الإخفاء وسلامة تطوّع العصى، وتملك الزمام في الوعر والسهل على السواء، وتلك هي الأساليب التى تضاف إلى لغة العرب، فيقال معنى إنسانى في كلام عربي وسأنقل بعض الشذور مفتتحاً بما قال عن الحج.

٥٤٦ ـ الحـــج :

كان الحج ولا يزال مظهر الدنيا، تدحض فيه النفوس عن جوهرها أوزار الشهوات، وأوضار المادة، وكان الحج ولا يزال ينبوع السلامة، تبرد عليه الأكباد الصادية، وترفه لديه الأعصاب الوانية، وكان الحج ولا يزال مثابة الأمن تأنس فيه الروح الى موضع الالهام، ويسكن الوجدان الى منشأ العقيدة، وكان الحج ولا يزال موعد المسلمين على عرفات يتصافون على الوداد، ويتآلفون على البعاد، ويقفون سواسية أمام الله حاسرى الرءوس، خاشعي النفوس يرفعون إليه دعوات واحدة تصعد بها الأنفاس المضطرمة تصَعّد البخار من مجامر الطيب، أو العطور من نوافح الروض.

الحج مؤتمر الإسلام العام، يجدد فيه حبله، ويتعهد به أهله، ويؤلف بين القلوب في ذات الله، ويواخى بين الشعوب في أصل الحق، ويستعرض

علائق الناس كل عام فيوشجها بالإحسان، ويوثقها بالتضامن، وفي كل بقعة من بقاع الحجاز أثر للفداء ورَمْزٌ للبطولة، فالحج إليها إيحاء بالعزة، وحفز للسمو وحث على التحرر، ففي بطحاء مكة درج قواد العالم وهداة الخليقة.

٥٤٧ ـ بعض الفقهاء :

تحدث الزيات عن رجل الدين المؤمن، وعن رجل الدين الدَّعي المغرض، فقال عن الأول: (تدخل على رجل السلطان أو تلقاه، فتغشاك منه مهابة تطأطيء من نفسك، وتكسر من نخوتك، فإذا خرجت من مدار هالته، أو خرج هو من ملكوت سلطانه، وجدته في رأيك الحرّ أشبه بالجذوة الواهجة إذا تحولت الى رماد.

وتجلس إلى رجل الدين أو تراه، فتغمرك منه جلالة تثلج صدرك بالرضا، وتنقع نفسك بالسكينة، فإذا قمت من مجلسه بقى في بصرك نوره، وظل في بصيرتك هداه، وهذا هو الفرق بين قوة تسيطر بمادة الإنسان، وقوة تؤثّر بروح الله.

كان هذا الإشعاع الالهي يفعل فعله في القلوب من غير وعظ ولا إرشاد، كان العالم أو شبه العالم إذا دخل قرية أشرقت أرضها بنوره، واهتز أهلها لمقدمه، فيهرعون إليه ويعكفون عليه، ويجدون فيه الدليل الى الله، فمصافحته عهد لا ينقض، وإشارته حكم لا يرد، ودعوته بركة لا تنقطع، وكنا في ذلك العهد أحداثا ننظر الى الشيخ وهو في بهرة المجلس كأنه برهان الله يُعبِّر وهو صامت، ويؤثر وهو ساكن، والقوم من حوله مطرقون مستغرقون قد فرغت قلوبهم من مطامع الدنيا، وخلت صدورهم من وساوس الشر، فإذا ترك القرية خلّف بها عهد الله يتصل به ما انقطع من أسباب، ويقوى عليه ما وهن من المودة».

هذا عن العالم الأصيل، أما الدخلاء فماذا قال عنهم الزيات؟ استمع!

«من العامة جماعة انتسبوا الى علماء الدين، كما ينتسب الزوائد الى الحنطة نالوا شهادة العلم بالغش، ولبسوا شارة الدين بالباطل، وبلغوا مناصب الدنيا بالملق، ثم اندسوا في المجتمع اندساس الإثم في الضمير، أو الداء في البدن، فكانوا في الوحدة مظهر تفريق، وفي النهضة مصدر تعويق، ثم اتخذوا من دورهم معامل لتفريخ الأكاذيب، ومن ندواتهم وسائل لترويج الإشاعات يشيعون الفاحشة في الذين آمنوا، ويثيرون الريبة في الذين عملوا، ويقعدون من حركات الاصلاح مقاعد التربص والتلصص فإذا دعاهم المصلح هبوا في وجهه هبة الريح العاتية على المصباح الهادى، وإذا دعاهم المفسد نفخوا قلبه الوارى بالنار المشتعلة. ذلك لأنهم لا يختلون فرائسهم الا في الظلام، ولا يشوون ذبائحهم الا في

الحريق، ينفرون من العبير كما تنفر الجعلان، ويفرون من النور كما تفر الخفافيش، ويموتون من الطهر كما تموت الجراثيم، ويفزعون من الخير كما تفزع الشياطين، أما الروح وأما الدين وأما الخلق وأما الأدب فصفات لا تدل على موصوف وكلمات لا تزيد على أنها حروف.

٥٤٨ـ (مجرم خطير) :

كتب الأستاذ الزيات تحت عنوان (لحية بيضاء!)

ماذا كان يمكن هذا المخلوق أن يكون لو أنه تعلم؟ الغالب في الظن أنه لو تعلم الحقوق لما برع إلا في ابتكار الحيل التى تحمى اللصوص، وتأليف الحجج التى تخدع القضاة، وتدبير الخطط التى تضلل الشرطة، ولو كان تعلم الطب لما اشتغل إلا بتركيب السموم، وتزوير الشهادات، وتخدير المدمنين وإجهاض الحوامل، ولو كان تعلم الأدب لما نبغ إلا في قصص الجنس والتلصص والائتمار والدعارة، ولو كان تعلم الزراعة لما اشتغل إلا بزراعة الحشيش والأفيون، ولو كان تعلم الهندسة ما نبغ إلا في اختراع المخابىء السرية والمزالق الجهنمية.

نشأ بين لداته من أطفال القرية كما ينشأ الثعبان بين الحمام، فكان لا ينفك ضارباً هذا بعصا، أو قاذفاً ذاك بحجر، أو خاطفا لعبة من بنت، أو سارقا شيئا من بيت، فلما جاوز الطفولة دخل في خدمة الفجّار والمجّان، فكان يخدم أولئك في تدبير الجرائم ويخدم هؤلاء في اعداد الولائم وكان يمرّن ملكاته الإجرامية لحسابه الخاص فيسرق من البيوت الآنية والثياب، ومن الحقول القطن والذرة، حتى عدّ من ذؤبان القرى وغربان الأسواق، فكل جريمة له فيها يد، وكل سرقة له فيها نصيب.

فلما قيّده السن وحطمه الكبر، أرسل لحيته شبرا تحت ذقنه، ثم ضخم العمامة، وبيض الجلباب وأمسك بالسبحة، ومشى في الأزقة يتمتم بالأدعية، ويجهر بالتحيات، ويواظب على الصلوات ويجلس على المصاطب يتحسس الأخبار، ويتسقط الأسرار، فإذا وقع خلاف بين والد وولده أو بين زوج وزوجه إندس إليهما بالإغراء، وسعى بينهما بالنميمة حتى تقع الفرقة وتحل الكارثة فإذا انتهى الخلاف للمحكمة، وسوس للمتخاصمين بالحيل التى تطمس الحق، وتوسع الخصومة لأنه كما أوهمهم يعلم القانون.

ذلك عمله بالنهار أما عمله بالليل فالعسس في الطريق، فإذا لقى حماراً أو عجلا انطلق بهما الى مراكز اللصوص ليصرفوه، وعاد تحت ستار الظلام نادماً أن فاتته صلاة الفجر.

وفي بعض الليالى شرع في نقب بعض البيوت، فدهمه الحراس، فسيق الى البوليس وحاول أن يدفع التهمة ببياض لحيته، ورعشة يده فلم يوفق!

٥٤٩ـ (سياسيون) :

تحدث الزيات عن أبطال الحرب العالمية، هتلر وموسولينى وتشرشل فماذا قال؟

«هلل الطاغيتان موسولينى وهتلر في أسبوع واحد بعد أن ظلا ستة أعوام ينشران الفزع والجوع

والموت والخراب في كل أمة، دون أن يعصم الناس عاصم من دفاع، أو ملجأ من حياد، ومن سخر الأقدار أن هتلر كان يدعو للنازية في مشرب من مشارب البيرة، وأن موسوليني كان يخطب للفاشية على ظهر مدفع في البندقية، فقتل هتلر وهو يدافع على رأس مدفع، وصرع موسوليني وهو يفر الى الحدود مع مومس، والحق أن هاتين الميتتين، ميتة الأسد لزعيم الألمان، وميتة الكلب لزعيم الطليان هما الخاتمان اللذان صاغتهما الحوادث للرجلين من معدن الأمتين.

انبعث هذان المسيخان من ركنين متجاورين، من أركان التمدن الحديث، فاستوحيا الشيطان دينين جديدين يجعلان الآخرة للدنيا، والعقل للهوى، والعلم للشر، والحضارة للدمار والحياة للموت، ثم خرجت هاتان النحلتان من الكهوف والمواخير، وانتشرت في أجواء برلين وروما، انتشار الظلام المضل، والغاز الخانق، فعميت عيون كانت ترى، وغبيت عقول كانت تفهم، ثم هتكت النازية أسرار الدول بالجواسيس، واشترت ضمائر السياسيين بالمنى ورمت جوانب الأرض بالموت في شتى أحواله فأصبحت أوربا سجونا للأحياء وقبورا للموتى ثم حانت العاقبة فانهار الطود الأشم.

أما تشرشل الذى عارض أمانى الدول العربية في الاستقلال فمما قال فيه الزيات:

«تشرشل الذى وقف ذات يوم على الساحل البريطانى يستقبل الهزيمة الماحقة في دنكرك وقلبه واجف، ودمعه واكف، يدعو الله أن يثبت قدميه العجوزين المتخاذلين أمام الإعصار النازى الجارف، ليعيد نعمة الحرية الى الناس، ويقيم ميزان العدالة في الأرض، قام اليوم يدعو أمريكا الى شركة أخوية تصوّب سهامها المراشة الى كل دولة تطلب المساواة، والى كل أمة تريد التحرر، تشرشل هذا الذى كان كلما لكمه هتلر لكمة الموت خرَّ فاقد القوة والوعى كالثور المنزوف فتدركه أمريكا بالماء حتى يفيق، فإذا أفاق قام مترنحاً للكنيسة يصلى، أو الى مجلس العموم يبكى، أو الى البيت الأبيض يستجدى، يتبجح اليوم بالعصبية، ويألم أشد الألم لأن وزارة العمال البريطانية قررت إجلاء الجنود الإنجليزية عن مصر!.

٥٥٠ـ (من شعر الأستاذ أحمد الزين) :

من ديوان الأستاذ أحمد الزين تحت عنوان (تحية كتاب) هو وحى الرسالة للأستاذ أحمد حسن الزيات قال الزين :

أميـر البـلاغـة فيـمـا كتبْ
إليك تناهـي بيـان العـربْ
فصفْ لى بأي يراع كـتـبت
فـأحـيـا افـتنانك زهو الأدب
وقل لي بأى بنـان تحـيلُ
مداد اليـراع سـلاف العنب
وأي القـرائح تلك التى
لهـا وهب الفنّ مـا قـد وهب
فـهـات من النثـر مـا قـد حـلا
نَقُمْ في الثناء بما قـد وجبْ







صعوبة الفصل

محمد حمد الصويغ
الدمام - السعودية

أكاد لا أميل الى صحة التقسيم العقْديِّ للأجيال الشعرية، فهو تقسيم غير منطقي، ولا أحسب أن بإمكاننا وفْقَه أن نرصد الملامح الأساسية لأي بعد فني قد يتمتع به هذا العقد أو ذاك، بمعنى أننا واجدون من شعراء عقد السبعينيات من لا ينتمي الى التجارب الشعرية لتلك الحقبة من الزمن، وقد لا نجد أي انتماء فني بين ما طالعتنا به تجارب تلك الحقبة، وهي تجارب فنية واضحة وبين كثير من المعطيات الشعرية ذات الدفقات الفنية الجميلة الخاصة بذلك العقد فهل يحق بالفعل أن نصفق كثيرا لتلك التقسيمات؟.

أنا أجد أن من الخطأ السائد أن نستمر في الاهتمام بتلك التقسيمات بطريقة توحي أن لكل عقد زمني معين طريقة معينة في التعبير، أو مدرسة خاصة غير متأثرة بالمدارس السابقة، وأجد أن بإمكاننا بدلا من اللجوء الى تلك التقسيمات أن نحدد التقسيم وفق مرحلتين هامتين مر بهما الشعر الحديث:

أولاهما: حركة التجديد في الشعر، وهذه لها فرسانها المعروفون.

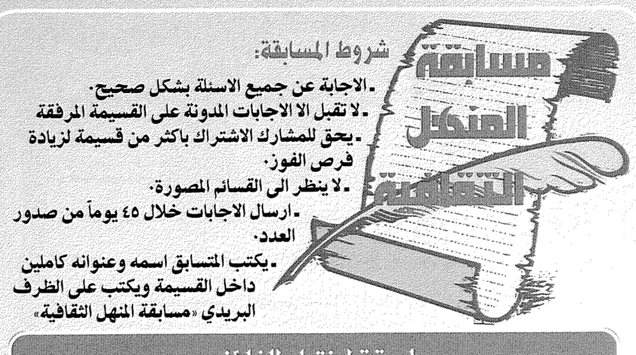
ثانيتهما: حركة الاتباع أو التقليد، وهذه أيضا لها فرسانها المعروفون.

ونأخذ طبقا لهذه التجزئة «العقلانية» في سبر أغوار هاتين المرحلتين، وإعطائهما ما تستحقانه من الدرس والنقد.. وأظن أن الملامح الفنية لشعراء المرحلتين معا واضحة دون لبس، وبالتالي فإن بإمكان النقاد أن يضعوا أيديهم على ملامح هاتين المرحلتين بطريقة تخلو من التعقيد، أما أن يقال أن لكل عقدة زمنية مدارسها الشعرية الخاصة التى قد تختلف مضامينها وأشكالها عن المدارس القديمة، أو القول بمعنى آخر أنها غير متصلة بالتراث.. فهذا أمر يبدو أنه موغل في الخطأ، وربما موغل في العيب أيضا.

ذلك أن الأدب بنثره وشعره متواصل الحلقات، فمن الصعوبة بمكان أن نفصل حلقة عن الأخرى وندعي بعد ذلك أن لكل واحدة من تلك الحلقات خصائصها المميزة التى تنفرد بها، وإذا تأملنا الواقع من خلال معطيات شعراء تلك العقود أو الحقب الزمنية لوجدنا أن «الانفراد» وَهْم لا صحة له على الإطلاق، ولوجدنا أن تلك «الخصائص المميزة» هي وَهْم كذلك يعشش في أدمغة البعض منا، ولا صحة له من خلال تلك المعطيات الفنية المتدفقة.

صحيح أن «التجديد» في الشعر ظاهرة حسنة وهي التى ربما ميزت هذه العطاءات الحديثة الثرة المليئة بالصور الجديدة والرؤى الخيالية التى لا أظن أن بالإمكان فصلها أيضا عن تراثنا الشعري القديم، غير أن من الصعوبة أيضا فصل المرحلتين «التجديدية والاتباعية» فصلا يجنح الى الظلم وعدم التبصر في خصائصهما المشتركة.

أعود للتأكيد على أن الدفقات الشعرية لا يمكن فصلها بحقب زمنية نفتعل خصائصها ومميزاتها افتعالا.



شروط المسابقة:

- الاجابة عن جميع الاسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل الا الاجابات المدونة على القسيمة المرفقة
- يحق للمشارك الاشتراك باكثر من قسيمة لزيادة فرص الفوز.
- لا ينظر الى القسائم المصورة.
- ارسال الاجابات خلال ٤٥ يوماً من صدور العدد.
- يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملين داخل القسيمة ويكتب على الظرف البريدي «مسابقة المنهل الثقافية»

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التى ترد من المشاركين.
- يتم استبعاد القسائم ناقصة الاجابة.
- تجمع القسائم الصحيحة الاجابات ويعمل لها قرعة لاختيار الفائز الاول والثاني والثالث وهكذا الى الثامن .
- ترسل الجوائز الى اصحابها فور الوصول الى النتيجة وتدفع بالريال السعودي او ما يعادله.

جوائز المسابقة

الجائزة الاولى : ١٠٠٠ ريال
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال
الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريال
الجائزة السادسة: ١٥٠ ريال

الجائزة السابعة: اشتراك سنوي في المنهل .
الجائزة الثامنة: مجموعة اعداد متفرقة من المنهل، وبعض اصدارات الدارة.

الاسم : .... **السن:** ....
العنوان : ....

نتيجة سحب جوائز مسابقة المنهل الثقافية العدد (٥٨٥)

الفائـــزون :

١ ـ محـمـد مـرسي مـحـمـد مـرسي ـ (١٠٠٠) ريال ـ كـفـر الشيخ / مـصـر

٢ ـ احـــمـــد مـــسلم مـــحـــمـــد ـ (٧٠٠) ريال ـ جـــدة ـ الســـعـــودية

٣ ـ عـــبـــد الله صـــدوق ـ (٥٠٠) ريال ـ الدار البـــيـــضـــاء ـ المغـــرب

٤ ـ شـــذى سليـــمـــان الغـــربيـــة ـ (٤٠٠) ريال ـ عـــمـــان الاردن

٥ ـ عبد الحميد محمد عبد الحميد الشافعي ـ (٢٥٠) ريال ـ الدقهلية ـ مصر

٦ ـ اشـــرف عـــثـــمـــان حـــسن ـ (١٥٠) ريال ـ جـــدة ـ الســـعـــودية

٧ ـ منى عـــبـــد المعطى شـــاكـــر ـ اشـــتـــراك عـــام واحـــد في المنهل

٨ ـ د٠ ايمن جـاد عـبـد الرحـيم ـ مـجـمـوعـة اعـداد واصـدارات المنهل

ستنشر نتائج مسابقة المنهل الثقافية للعدد (٥٨٦) في العدد (٥٨٨) ٠٠ وذلك لاتاحة اكبر فرصة للمشاركين٠

قسيمة مسابقة العدد (٥٨٧)

ضع علامة امام الاجابات الصحيحة٠٠

** ولد الاستاذ عبد القدوس الانصاري مؤسس مجلة المنهل في المدينة المنورة عام :

☐ ١٣٢٤هـ ☐ ١٣٢٣هـ ☐ ١٣٢٦هـ

** تقع مدينة موستار في :

☐ الهنـد ☐ جنوب افريقيا ☐ البوسنة

** بدأت المحاولات الأولى للخط الكوفي في :

☐ سوريا ☐ مصـــر ☐ المغـــرب

ابحث عن الإجابات داخل هذا العدد..



رجـــل الانســـانيــة

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود.. قدم الكثير الكثير من اعمال البر والخير وأسعد الكثير من ذوي الحاجات واقام الكثير من صروح البر والمعروف.

ومن يصنع المعروف لا يعدم جوازيه..

وتأتي هذه الجائزة (جائزة الشيخ راشد للشخصية الانسانية) للعام ٢٠٠٢م.. تسوقها يد الوفاء والعرفان تكريماً لصاحب السمو الملكي الامير سلطان بن عبد العزيز آل سعود..

تحية إكبار وتقدير لما قدم من أعمال انسانية انتفع بها من انتفع ممن هم في حاجة ماسة لها.

مجلة المنهل .. سعدت بهذا التقدير والوفاء والتهنئة موصولة دائما لصاحب أيادى الخير والمعروف.

مجلة المنهل